

د. إسلام المازني

تاريخ

الطَّبِّ وَالْأَطْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ



تاريخ
الطب والاطباء المسلمين

تاريخ
الطب والأطباء المسلمين

د. إسلام المازني

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية 2013



دار نور حوران

دار النشر الإسلامية في سوريا

دمشق - سوريا - ص. ب. 5658

هاتف - 0096315715430

00963157198420

فاكس: 00963157198425

جوال: 0096393329555

E-MAIL: NOURPUBLISHING@GMAIL.COM



دار العرب

دار النشر الإسلامية في سوريا

دمشق - سوريا - حلبوتي الجادة الرئيسية

هاتف: 00963112247432

009631123485245

فاكس: 009631123485246

جوال: 00963933406321

E-MAIL: daralaraab@yahoo.com

د. إسلام المازني

تاريخ الطَّبِّاءِ الْأَطِبَّاءِ الْمُسْلِمِينَ

موسوعة للطب في عصر ازدهار حضارة الإسلام
قصص العباقرة من أطباء المسلمين ومنجزاتهم وألطف أشعارهم



دار نور حوران



دار العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن التراث العلمي الإسلامي- وللطب منه المنزلة الأغلب والحيز الأكبر- تتنازعه اليوم ثلاثة مواقف:

أولهما موقف تمجيدي يرى فيه الأساس والدعامة للذين لولاهما لما كانت الحضارة العلمية والتقنية الغربية الحديثان؟ وثانيهما موقف تحقيري يرى فيه مجرد مادة قد جمعت تجميعاً من المصادر الأعجمية المترجمة إبان حركة الإنشاء العلمية الإسلامية في قرون الإسلام الأولى. وينزع أصحاب هذا الموقف عن المسلمين فضل السبق والإضافة في كثير من مجالات العلم؟ وثالث المواقف موقف لا يعني أصحابه من شأن التراث العلمي الإسلامي تمجيذاً أو تحقيراً لأنه لا يعدو في نظرهم أن يكون حديثاً من أحاديث الماضي الذي انطلوت صفحاته وأن يفيد اليوم إلا ما يفيد درس الخريج القديم.

والحق أن أصحاب المواقف الثلاثة قد ركنوا إلى الشطط ولم ينجوا من آثار الهوى والعصبية ولم يخلصوا للحقيقة الإسلامية المحضة. فلا شك أن المغالاة في التمجيد هي من باب المواقف العاطفية التي قد تؤدي في بعض مظاهرها إلى ضرب من "التوفيق العلمي" الذي يضر بالماضي وبالحاضر وبالمستقبل على السواء. ثم لا شك أيضاً في أن القول بخلو التراث العلمي الإسلامي من عناصر الطرافة والابتكار مذهب ظالم متجن قائم على جهل صريح بصلات التأثير والتأثير بين الثقافة العلمية لعربية الإسلامية والثقافات الأخرى؟ ثم لا شك أخيراً في أن اعتبار التراث العلمي الإسلامي مجرد صفحة من الماضي قد انطلوت إنكار منكر لذلك التراث جملة وتفصيلاً، وفي ذلك ما فيه من التجني على الحقب العلمية العربية الإسلامية التي استغرقت من تاريخ البشرية في مدارج تطورها ثمانية قرون (من منتصف القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي إلى منتصف القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي).

ولا نريد أن نقع فيما وقع فيه كثيرون ممن سبقنا من تعصب للتراث العلمي الإسلامي أو تعصب عليه، فإن التعصب له لا يضيف إلى قيمته الحقيقية شيئاً كما أن التعصب عليه لا ينقص من أهميته الحقيقية شيئاً. لذلك أردنا أن نقف موقفاً وسطاً وأن نذهب مذهباً معتدلاً فلا نشط ولا نبالغ بل نتطلق في تبيان أهمية التراث العلمي الإسلامي-

قديماً وحديثاً- من معطيات موضوعية وأدلة علمية. ولكن تعميم النظر في التراث العلمي الإسلامي كله مطلب عسير لأنه يقتضي بحثاً استقصائياً موسعاً معمقاً ما أمكن الاستقصاء والتوسع والتعمق وليس ذلك كله مما يطيقه بحث كهذا البحث مخضع لمقتضيات ليس له أن يتعداها. لذلك رأينا أن نقتصر في إثباتنا أهمية التراث العلمي الإسلامي على علم واحد هو الطب، فإن لنا من المعرفة به وبتاريخه وبمراحل تطوره ما يمكننا من الحديث عن أهميته. وسنجزأ هذا البحث جزئيين، نعني في أولهما بأهمية التراث الطبي الإسلامي في القديم، ونخص بالثاني أهميته في العصر الحديث.

أ- أهمية التراث الطبي الإسلامي في القديم:

إن الحديث عن أهمية التراث الطبي الإسلامي في القديم يعني في الحقيقة التاريخ له ولراحله لأنه منذ نشأته في عصر الترجمة إلى تداعيه في فجر النهضة العلمية الغربية الحديثة لم يخل من مظاهر الطرافة والابتكار. ثم إن الحديث عن تلك الأهمية يقتضي أيضاً تعداد الاكتشافات العلمية التي أسهم بها الأطباء المسلمون في بناء الحضارة الإنسانية وتطوير العلوم البشرية. ولكننا لا نخفي خشيتنا من الخوض في التاريخ العام للطب الإسلامي ومن تعداد مآثر الأطباء المسلمين، لأن ذلك يوقعنا في تكرار حقائق أصبحت اليوم معلومة متعارفة. لذلك رأينا أن نقتصر على جانب واحد لم ينل بعد حظه من الدرس ولم يعن به أدارسون عناية خاصة، ونعني به:

- فصل الطب عن الفلسفة:

لقد غلبت على الطب الإسلامي- وخاصة أثناء القرون الهجرية الخمسة الأولى- النظرية اليونانية التي تخضع الطب للفلسفة وتجعله جزءاً منها وعلماً من علومها، وقد قوي تلك النظرية جالينوس خاصة، وقد كان طبيباً وفيلسوفاً. وقد أخذ المسلمون من بين ما أخذوا عن اليونانيين ذلك المذهب واعتمدوه منذ بدايات إنتاجهم العلمي. فقد اعتمده وانطلق منه الطبيب الفيلسوف إسحاق بن عمران (ت. 279 هـ/ 982 م) الذي قال في كتابه "الماليخوليا"- أثناء حديثه عن المعرضين أكثر من غيرهم للإصابة بمرض الوسواس:- وأما المكبون على قراءة الكتب الفلسفية أعني كتب الطب وكتب المنطق وكتب النظر في جميع الأشياء وكتب الناظرين في أصول الحساب وعلمه المسمى باليونانية الأرثماطقي، والنظر في علم الفلك والكواكب وهو علم التنجيم المسمى باليونانية

الاسطرونوميا والتظر في علم الهندسة والمساحة ويسمى علم الخطوط بالعربية ويسمى بالرومية، الجومطيا (...) فإنهم- والله أعلم- قرييون من الوسواس السوداءي.

وقريب من هذا أيضا ما ذكره أبو الحسن علي بن رضوان (ت، 453 هـ/ 1061 م) في كتابه "الكتاب النافع في كيفية صناعة الطب". فقد حدد ابن رضوان للمتعلم مجموعة من العلوم، بعضها يكفي المتعلم من كل واحد منها بعض المختصرات (3) وهي اللغة والنحو وعلم الحساب والعدد والمساحة والهندسة والتأليف (أي تأليف الأدوية المفردة) والتنجيم وبعضها الآخر واجب ويشمل صناعة المنطق والعلم الطبيعى وعلم الأخلاق. ويعلق ابن رضوان على تعلم هذه العلوم كلها بقوله: «وإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالأمر على ما قال جالينوس: إن الطبيب الفاضل فيلسوف كامل».

وقد كان لهذا الجمع بين الطب والفلسفة أثره العميق في نشاط كثيرين من الأطباء الذين كانوا أطباء وفلاسفة في الوقت ذاته، يؤلفون في الطب والفلسفة على السواء. ولنا في أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت، 313 هـ/ 925 م) وأبي علي الحسين بن سينا (ت، 428 هـ/ 1037 م) خير دليل على هذا الاتجاه. فقد كانا طبيبين فيلسوفين امتزج عندهما الطب بالفلسفة وألفا فيهما جميعا. ولقد كان لهذا المذهب التوفيقى بين الطب والفلسفة أثره في تصور الطب وفهمه. فقد كان معظم الأطباء- حتى القرن الخامس- يقسمون الطب إلى علمي وعملي ولكنهم لا يخرجون القسم العملي عن دائرة العلم النظري ونستدل على هذا الاتجاه بموقف ابن سينا الذي نعتبره خلاصة لمواقف سابقه. فقد قال مقدمة كتاب القانون "إذا قيل إن من الطب ما هو نظري ومنه ما هو عملي فلا يجب أن يظن أن مرادهم فيه هو أن أحد قسمي الطب هو تعلم العلم والقسم الآخر هو المباشرة للعمل كما يذهب إليه وهم كثير من الباحثين عن هذا الموضوع، بل يحق عليك أن تعلم أن المراد من ذلك شيء آخر وهو أنه ليس واحد من قسمي الطب إلا علما لكن أحدهما علم أصول الطب، والآخر علم كيفية مباشرته، ثم يخص الأول منهما باسم العلم أو باسم النظر ويخص الآخر باسم العمل، فنعني بالنظر منه ما يكون التعليم فيه مفيد الاعتقاد فقط من غير أن يتعرض لبيان كيفية عمل مثل ما يقال في الطب إن أصناف الحميات ثلاثة وإن أصناف الأمزجة تسعة. ونعني بالعمل منه لا العمل بالفعل ولا مزاوله الحركات البدنية بل القسم من علم الطب الذي يفيد التعليم فيه رأيا، ذلك الرأي متعلق ببيان كيفية عمل، فإذا علمت هذين القسمين فقد حصل لك علم علمي وعلم عملي وإن لم تعمل قط .

وولوع الأطباء بالنظر والرأي قد جعل منهم أطباء قياس، مبالغين إلى الاعتماد على علوم الفلسفة في استنباط الحقائق حول الجسم وطبيعته والآفات التي تجتاحه والأدوية التي تبرئه، وهذه الفكرة هي التي سادت عندهم عند معظم الدارسين وخاصة من الغربيين. وقد زكى هذا الرأي في الأطباء المسلمين فصلهم بين "أعمال النظر" و"أعمال اليد" وتفضيلهم في أحيان كثيرة، الأول على الثاني، بل إن منهم من كان يحتقر العمل باليد. وقد عبر عن ذلك الموقف أبو مروان عبد الملك بن زهر الأشبيلي (ت. 557 هـ/ 1162 م) في كتاب "التفسير في مداواة والتدبير" عند حديثه عن معالجة "فك المفاصل": "وأما محاولة ذلك باليد فهو من أعمال بعض الخدمة للطبيب وكذلك الفصد والكي وقطع الشريان وما هو أشرف من هذه رتبة مثل التشمير ولقط المسبل، وأعلى رتبة من هذه للخدمة إجادة القدرح، وكلها من أعمال الخدام للطبيب وأما الطبيب فمن شأنه أن يدبر بالأغذية والأدوية أمر المريض) ولا يتناول بيديه شيئاً من ذلك، كما ليس من شأنه أن يعقد المعاجن إلا في الضرورة، وإنما ذكرت من أعماله اليد ما ذكرت لأنه إذا اضطر الطبيب في نفسه أو فيمن يحضره ممن يفتتم الأجر فيه لابد له أن يعمل ما يحسن عمله مما خف. وأما ما يكون من الأعمال المستقدرة القبيحة، كالشق على الحصى، فإن الحر لا يرضى لنفسه بعمل ذلك ولا بمشاهدته. وما أظن أن الشريعة تبيحه إذ فيه كشف العورة، وكشفها حرام.

وقد أعتقد نقدة هذا المذهب أنه كان الأعم والأغلب وأن الطب الإسلامي لم يكن قط منفصلاً عن نظريتي أبقراط ثم جالينوس في القوى والأخلاط وعن مذهبيهما في الاستدلال بالقياس النظري الفلسفي. ولم يستثن من ذلك إلا أبو القاسم الزهراوي (ت. 4040 هـ/ 1013 م) الذي كان طبيباً جراحاً وخص الجراحة بالجزء الثلاثين من موسوعته الطبية "التصريف لمن عجز عن التأليف".

والحق أن غلبة هذه النظرية وانتشارها لم يكونا لتمييز حقيقي في الطب الإسلامي أو لغلبة حقيقية عليه بل كان في نظرنا بسبب سيطرة مدرسة طبية يعينها على الطب الإسلامي عامة هي المدرسة التي كان يمثلها أبو بكر الرازي وأبو علي ابن سينا من بعده. وهي مدرسة طبية فلسفية وليست طبية محضاً. وقد ازداد شأن هذه المدرسة قوة بتأثير من المنزلة التي كانت لأهم كتابين يمثلانها - وهما كتاب "الحاوي" للرازي وكتاب "القانون" لابن سينا - في أوروبا بعد نقلهما إلى اللغة اللاتينية وانتشار ذكرهما وتقديم مؤلفيهما على من عداهما من أطباء الإسلام في الشهرة.

ولم تكن هذه المدرسة في الحقيقة إلا اتجاهها ، وقد حجبت شهرة ممثليها الرئيسيين- أي الرازي وابن سينا- مدرسة ثانية يحق لنا أن نسميها بالمدرسة الطبية المحضة وإن لم نقص القياس ولم نقض عليه . ولكن هذه المدرسة لم تستقم معالمها بعد ولم تتم أركانها ولم تتبين خصائصها إلا لاما . والسبب في ذلك هو أن معظم ممثليها لا يزالون مغمورين ، إما لأن آثارهم لم تنتشر بعد أو لأنها لم تدرس بعد ولم يعمق فيها النظر أو لهدذين السببين مجتمعين . ونذكر من خصائص هذه المدرسة اثنتين مهمتين :

1- أولا هما هي أعمال اليد : فإن الطب لم يبق مجرد نظرية في الكليات واستقراء للجزئيات بل أصبح يجمع بين النظر والتطبيق أو بين العلم النظري والعمل التطبيقي . وأهم ما عملت فيه اليد مجالان اثنان :

أولهما هو الجراحة . وقد كان أطباء كثيرون يمارسونها إما جهرا وإما خفية . وأشهر من عرف بها وعرف بها وشهر أمره مما هو أبو القاسم عباس بن خلف الزهراوي في الجزء الثلاثين من كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف " . وقد اشتهر أمر هذا ، هذا الجزء فترجم إلى أكثر من لغة ونشر نصه العربي وحظي بالدراسة والتحليل . وقد طغت شهرة الزهراوي على غيره من الأطباء في مجال الجراحة . ولا شك أن الدراسة المعمقة لهذا المجال في تاريخ الطب الإسلامي- بالاعتماد على النصوص- لا تزال مفقودة .

وثاني المجالين هو تحضير الأدوية . وهذا المجال لا يزال في الدراسات الحديثة غفلا أو كالفضل . فهو اليوم متنازع بين الطب والصيدلة . ويبدو أن مؤرخي الطب الإسلامي مازالوا- مثل كثيرين من الأطباء القدامى- لا يرون ضرورة الجمع بين علم الطب والصناعة الدوائية . ونذكر ممن عني بمباشرة الدواء بيده ثلاثة أطباء :

أولهم هو أبو جعفر أحمد بن الجزار (ت 369 هـ / 985 م) . فقد أكثر في كتبه من الإشارة إلى الأدوية التي ألفها بنفسه ، منها- مثلا- إشارات في كتاب "المعدة" إلى شراب ألفه لإنزال المادة الصفراء من المعدة ، وأطريفل بارد قابض ألفه لأصحاب المعدة الحارة الضعيفة المسترخية ، ودواء ألفه لصاحب القيء الشديد الخ .

وثانيهم هو أبو مروان عبد الملك بن زهر . فقد صرح بأنه لا يحب ممارسة الجراحة لكنه أظهر شدة ولعه بعمل الأدوية . وقد قال في ذلك : " وأما أنا فإن في نفسي مرضا من أمراض النفوس من حب أعماله الصيدلانيين وتجربة الأدوية والتلطيف في سلب بعض قوى الأدوية وتركيبها في غيرها وتمييز الجواهر وتفصيلها ومحاولة ذلك باليد ، ومازلت مغرما بذلك مبتلى به .

وثالث الأطباء هو أبو جعفر أحمد الفافقي (ت، 560 هـ / 1165م فقد أشار في مقدمة كتابه "الأدوية المفردة" إلى أن معظم أطباء عصره في الأندلس صيادلة يتولون عمل الأدوية بأنفسهم: "أطبائنا هؤلاء كلها صيادلة يتولون بأنفسهم عمل الأدوية المركبة وجميع أعمال الصيدلة. وما أقبح بأحدهم- لو عقلوا- أن يطلب أدوية مفردة لتركيب دواء فيؤتي بأدوية لا يعلم هل هي التي أراد أم غيرها فيركبها ويسقيها عليه ويقلد فيها الشجارين ولقاضي الحشائش إن أطباءنا هؤلاء كلهم صيادلة، ولا تكسب لهم ولا معاش إلا من الصيدلة وهم لا يعلمون ذلك".

تلك، إذن هي الخاصية الأولى، وهي تثبت أن الطب لم يكن قبي نظراً هؤلاء الأطباء الذين ذكرنا كليات نظرية وأصولاً علمية محض بل هو تطبيق عملي أيضاً.

2- وثانياً، الخاصيتين هي التجريب: ذلك أن أهم ما ميز هذه المدرسة هو الاعتماد على التجربة والملاحظة والملاحظة. وهذا أيضاً جانب ما زال لم ينل حظه من الدراسة المعمقة لأن دلائله مبثوثة هنا وهناك في مظان كثيرة لا يزال معظمها مخطوطاً. ويمثل التجريب ثلاثة مجالات:

أولهما هو الملاحظة العلمية السريرية، وللقياس في هذا المجال دور كبير. ومهما يكن من أمر فإن هذا المجال مشترك بين المدرستين لأن الملاحظات السريرية عند الرازي وابن سينا كثيرة جداً، ولذلك فإننا لا نريد أن نقف عندها.

وثاني المجالات هو تجريب الأدوية. فإن الطبيب كان لا يقنع بما تخبره به الكتب عن خصائص الدواء العلاجية بل هو يتبين نجاحها بنفسه. إلا أننا لا نعرف كيف يتم التجريب والاختبار. ونورد على هذا المنزاع إلى التجريب مثالين:

أولهما هو ابن الجزار في كتاب المعدة، فإن ابن الجزار كثيراً ما يذكر دواءً مركباً ما ثم يلاحظ أنه قد جربه فحمله. ومن أمثلة ذلك قوله عن الاطريفيل الذي ألفه هو نفسه لأصحاب المعدة الضعيفة المسترخية "وقد جربنا وحمدناه" وقوله عن شراب ألفه يوحنا ابن ماسويه لقمع الصفراء المتولدة في المعدة: "وقد اخترناه فحمدناه" وثاني المثالين هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت، 646 هـ / 1248 م). فقد أبرز في مقدمة كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" منحاء التجريبي فقال في الفرض الثاني: "الفرض الثاني صحة النقل فيما ذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين. فما صح عندي بالملاحظة والنظر وثبت لدي بالخبر لا الخبر ادخرته كنزاً سريراً وعددت نفسي عن الاستمانة بغيري فيه سوى الله غنياً. وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والملاحظة

الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريا وهجرته مليا وقتل لناقله أو قائله لقد جئت شيئا فريا، ولم أحاب في ذلك قديما لسبقه ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه . وقد انتقد ابن البيطار بالفعل أطباء كثيرين قد أخطأوا في الحديث عن: خصائص الأدوية العلاجية أو في تحديد ماهياتها .

وثالث المجالات هو التشريع: وهذا أيضا باب من أبواب الطب الإسلامي لا يزال مغبونا، فلقد اعتقد الدارسون ولا يزالون على اعتقادهم أن الأطباء المسلمين كانوا لا يشرحون الجسم- بشريا كان أو حيوانيا- لتحريم ذلك شرعا، ويمكن أن يستدل على هذا المذهب ببعض من موافقهم وآرائهم، مثل هذا الرأي الذي نسبته كتب التراجم إلى يوحنا بن ماسويه (ت. 243 هـ/ 857 م) وهو قوله "ولو لا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني ذا حيا مثما كان جالينوس يشرح الناس والقرود، فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كانت لها بلاده وأريج الدنيا من خلقته وأكسب أهلها بما أضع في كتابي من صنعة تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوراده وأعصابه علما، ولكن السلطان يمنع من ذلك"، ثم مثل هذا الرأي الذي ذكرناه آنفا لأبي مروان عبد الملك بن زهر في الشق على الحصى- وهذا من الجراحة، والجراحة والتشريح صنوان- وهو قوله "وأما ما يكون من الأعمال المستندرة القبيحة كالشق على الحصى، فإن الحر لا يرضى لنفسه بعمل ذلك ولا بمشاهدته، وما أظن أن الشريعة تبيحه إذ فيه كشف العورة، وكشفها حرام".

لقد كان هذا الموقف الرسمي المعلن، وقد كان له أيضا أثره في بقاء علم التشريح عند كثيرين من الأطباء المسلمين عالة على النظرية اليونانية وخاصة نظرية جالينوس، ويبرز ذلك الأثر جليا في القسم الأول من كتاب الفنون لابن سينا، فلقد أحاط ابن سينا بمختلف أعضاء البدن فبين تركيبها وهيئتها، ولكنه في حديثه كان ناظلا جماعة، ولكن يبدو لنا أن هذا الموقف المعلن لم يكن دائما محترما مطبقا بل كان كثير من الأطباء التجريبيين يتخذونه تقية ويباشرون من أمر التشريح مالا يمحرون به، ونكتفي للتدليل على ذلك بدليلين اثنين:

أولهما هو مثال أبي الحسن علي بن أبي الحزم ابن النفيس القرشي (ت. 687 هـ/ 1288 م) فقد كان ابن النفيس من أكبر شراح كتاب القانون لابن سينا ومن أهم المعلقين عليه، وقد عني ابن النفيس بالقسم الأول الخاص بالتشريح من كتاب القانون عناية

خاصة هالف فيه كتاباً مستقبلاً هو "شرح تشريح القانون"، وقد عارض في هذا الكتاب بعض النظريات التقليدية التي نقلها ابن سينا في التشريح، ومنها معارضته مذهب ابن سينا في أن للقلب ثلاثة بطون، فقد وصف قوله بأنه "كلام لا يصح، فإن القلب له بطنان فقط؛ أحدهما مملوء من الدم وهو الأيمن والآخر مملوء من الروح وهو الأيسر ولا منفذ بين هذين البطينين البتة وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح فيفسد جوهرها، والتشريح يكذب ما قالوه"، على أن أهم نظرية كذب فيها جالينوس وابن سينا وأصاب هي نظرية الدورة الدموية الصغرى (الرئوية). فقد فطن ابن النفيس إلى أن اتجاه الدم ثابت وأن حركته ليست حركة مد وجزر كما كان يظن سابقاً، وقال بأن الدم يمر في تجويف القلب الأيمن إلى الرئة حيث يخالط الهواء، ثم يعود من الرئة عن طريق الوريد الرئوي إلى التجويف الأسر للقلب .

ولنا أن نسأل بعد هذا كيف يمكن لابن النفيس أن ينقض نظرية جالينوس وابن سينا من بعده في الدورة الدموية الصغرى بعد استقرار في أذهان العلماء دام حوالي اثني عشر قرناً (من القرن الثاني إلى القرن الثالث عشر الميلادي) لو لم يعتمد التشريح الحقيقي؟ أما هو نفسه فيكاد ينفي ذلك بقوله "وقد صدنا عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما في أخلاقها من الرحمة، فلذلك ينهي أن نعتد في تعرف صور الأعضاء الباطنة على كلام من تقدمنا من المباشرين لهذا الأمر" وإما الدارسون المحدثون فقد اعتمدوا هذا القول له وقالوا إنه قد انتهى إلى نقض النظرية الجالينوسية بالاستدلال الذهني المحض - أو البرهان المجرد وليس بطريق التجريب وأما نحن فنذهب إلى أن ما قاله عن مباشرة التشريح مجرد تقيية، ومن الأدلة على ذلك قوله - عند التعقيب على مذهب ابن سينا في أن للقلب ثلاثة بطون - "والتشريح يكذب ما قالوها، فإن الذي يستطيع التأكيد ليس النقل أو الاستدلال المجرد بل المشاهدة والتجريب. ثم إن في عناية ابن النفيس بقسم التشريح من كتاب القانون عناية خاصة مغايل دليل على مباشرته له .

وثاني الدليلين هو مثال أبي عبد الله محمد بن عثمان الصقلي التونسي (ت: حوالي 825 هـ / 1417 م)، فقد ألف الصقلي كتاباً جليل القدر هو المختصر الفارسي نسبة إلى السلطان الحفصي الذي ألفه له وهو أبو فارس عبد العزيز المتوكل على الله (796 هـ / 4 139 م - 837 هـ / 1434 م). والكتاب في جملته مختصر لكتاب القانون محكم البناء والتبويب، جيد العرض وأضح التحليل. ولم يتقيد الصقلي بآراء ابن سينا بل أضاف إليها إضافات مهمة وخاصة في مبحثين اثنين: أولهما هو مرضى جرب العين والحكة الملزمة

له، وأثبت المؤلف للمرة الأولى تطور المرض ومراحله، وكانت أربع وهذه المراحل الأربع لم يقع إثباتها من طرف (كذا) الأطباء إلا في منتصف هذا القرن (العشرين)، فيكون الفضل لمحمد الصقلي في الأسبقية في تحقيقها وترتيبها بست مائة سنة وثاني الباحثين هو السل، فإن القدماء قد تحدثوا عن السل وعرفوه بأنه "قروح في الرئة" ووصفوا أهم علاماته وهي السعال ونفث الدم والحمى ونحافة الجسم. أما الصقلي فقد أنهى إلى تشخيصه بدقة إذ حدده وحدد أسبابه بقوله: "وسبب السل قرحة في الرئة، فإن الإنسان إذا جاوز في النفث أربعين يوما صار مسلولا يعسر برؤ، وقد يكون عن قروح في الصدر والحجاب إذا أنخرق، وإذا لم ينخرق يسهل النحاح تلك القروح لعدم حركتها. وقد يمتد هذا المرض بصاحبه سنين لاسيما إذا كان في القرحة جفوف وخشكرشة غير ساعية". وواضح أن تحديد الصقلي على قدر مهم من الدقة فقد حدد نوع العلة وموضعها ووصف القرحة في بعض حالاتها وصفا دالا على المعاهدة الحسية وهي "الجفوف" ثم "الخشكرشة غير الساعية". ويرى الدكتور أحمد بن ميلاد أن الصقلي ما كان له أن يتمكن من تحديد الخشكرشة في القرحة بالذات إلا بوضع أذنه على صدر المريضة فوق القرحة نفسها. ثم إنه ما كان له أن يستطيع تحديد موضع القرحة وموضع الخشكرشة منها لو لم يطلع على رئة أحد المسالولين تشريحات. وقد كان ذلك ميسورا له في المستشفى الحفصي بمدينة تونس حيث كان مباشرا.

وخلاص القول في الفصل بين الطلب والفلسفة في التراث الطبي الإسلامي أن الأطباء المسلمين لم يكونوا مجرد نقلة للنظريات اليونانية في الطب ولم يكونوا أطباء قياس فقط بل إنهم قد أنشأوا أيضا مدرسة طبية محضا. على هذا التقسيم الذي نلناه يقتضي ملاحظتين: أولاهما هو أن ما سميناه مدرسة طبية فلسفية لم تكن خلوا من التجريب والملاحظة العلمية، كما أن ما سميناه مدرسة طبية محضا لم تكن خالية من أثر الفلسفة والقياس؛ وثانية الملاحظتين أن معالم المدرسة الثانية لا تزال في معظمها مجهولة أو مدروسة درسا سطوحيا، ولا يمكن أن تدرس دراسة معمقة إلا إذا عني الباحثون بالنصوص الطبية الإسلامية تحقيقا ودراسة وتمحيصا، فإن ما نظر من التراث الطبي الإسلامي لا يزال ضئيلا، أما ما نشر منه محققا تحققا علميا فأقل من الضئيل.

ب- أهمية التراث الطبي الإسلامي في الحديث؛

لا شك أن كثيرا من النظريات الطبية الإسلامية قد فقدت أهميتها العلمية، فإن معظم أقوالهم في التشريح ووظائف الأعضاء قد تجاوزها العلم الحديث، ولكن جوانب

أخرى لا تزال مهمة ولكنها في حاجة إلى الدراسة المعمقة لتبين مظاهر الجدة والحدثة فيها. ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الجوانب الخاصة مثل طرق حفظ الصحة ومسألة التغذية ومسألة الأدوية النباتية. على أننا نريد أن نترك جانباً هذه المسائل الخاصة لنعني بجانبين نراهما على قدر كبير من الأهمية.

أ- الجانب التاريخي:

لقد كون الطب الإسلامي حلقة أساسية في تاريخ تطور الطب ضمن المسار الحضاري الإنساني، بل يمكن لنا القول، جازمين أنه لولا الإسهام الإسلامي في الدراسة الطبية لكان الناس اليوم على غير ما هم عليه من مستوى البحث متطور. ولكن الدارس يلاحظ باستغراب كبير غلبة الغفلة والتجاهل على مؤرخي العلوم الأوروبيين المحدثين اليوم لأنهم يحذفون في تاريخاتهم المرحلة العلمية الإسلامية فكأنها لم تكن، وإذا هم سخوا عليها بالذكر اعتبروها مجرد مرحلة وسيطة بين المرحلة العلمية الهلينية ثم البيزنطية والمرحلة الأوروبية الحديثة، فإن المرب في نظرهم كانوا مجرد نقلة جماعيين قد اكتفوا بالترجمة والتبويب ولم يكن لهم فضل ابتكار أو سيق. ولا شك أن هذا كله يجد الأذان المصنفة والمواقف المؤيدة ما لم تخلص الدراسة العربية الإسلامية من المواقف العاطفية وتتنصرف إلى النصوص المخطوطة لنشرها محققة ودراستها دراسة موضوعية علمية منهجية دقيقة؟ على أن ذلك لا يكفي، إذ لابد من الانكباب على دراسة التراث الطبي الأوروبي بداية من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي للبحث في ظاهرتي التأثير والتأثير بين الثقافة الطبية العربية الإسلامية والثقافة الطبية الأوروبية ذات اللسان اللاتيني.

فإن الدراسة المعمقة للعلاقات بين الثقافة الطبية الإسلامية والثقافات السابقة لهما والألاحقة لها هي الكفيلة بإبراز المنزلة الحقيقية التي تتنزلها الثقافة الطبية الإسلامية في تاريخ العلوم عامة ثم في تاريخ الحضارة الإنسانية. نريد أن نؤكد هذه الحقيقة تأكيداً لسببين رئيسيين: أولهما إظهار حقيقة إسهامنا في الحضارة الإنسانية أمر يعيننا نحن قبل أن يعني غيرنا وخاصة الأوروبيين الذين يعتبرهم الكثيرون من باحثينا طرفاً ذا قدر من العداء لنا، والحق أن الأوروبيين اليوم لا يمتنون بأمر تاريخ علومهم كثيراً لأن تقدمهم العلمي الحديث في يشغلهم عن ذلك. وثاني السببين هو أن حقيقة الصلات بين التراث الطبي الإسلامي والتراث الطبي الأوروبي اللاتيني ما زالت غامضة الجوانب مجهولة المظاهر والأبعاد وذلك لأن النصوص الطبية الإسلامية المترجمة في القرون الوسطى إلى

اللاتينية أو إلى العبرية أو إلى اليونانية أو إلى القشتالية الإسبانية قد نشر كثير منها أثناء القرون الخامس عشر والسادس والسابع عشر ثم توقف نشرها وكادت تسمى تماماً، أما البعض الذي لم ينشر من قبل فإنه لا يزال حتى اليوم مخطوطاً، وليس لنا أن نلوم الأوروبيين على نشر نصوصهم وحال نصوصنا الأصلية كحال نصوصهم لا يزال معظمها دفينا في المكتبات العامة أو الخاصة على فرق ما بين حاجتنا إلى نصوصنا وغناهم عن نصوصهم.

يضاف إلى هذا أن التراجمة الأوروبيين لم تكن لهم دائماً الأمانة التي كانت لتراجمة العلوم اليونانية إلى العربية. فلقد نشطت حركة الترجمة الأوروبية في عصر كانت فيه الأهواء الصليبية جياشة والمصيبات الدينية مستفحلة، وذلك يعني أن المترجم كان لا يجد حرجاً أحياناً عندما ينتحل نصاً فينسبه إليه أو يغير من نص تفييراً منكراً. ولنا على هذا كله مثال جيد للاستدلال هو أبو جعفر أحمد بن الجزار القيرواني في علاقته بمترجمه قسطنطين الأفريقي، فقد ترجم قسطنطين من كتاب ابن الجزار "زاد المسافر وقوت الحاضر" و"الاعتداد في الأدوية المفردة" و"المعدة وأمراضها ومداواتها" ومقالة في الجذام "وأنتحلها جميعاً فنسبها إلى نفسه، ثم السطو على نظرية طبية إسلامية لم يكن في عالم تغلب عليه الشحنة - غريباً مستكراً ويمكن أن نستدل على ذلك مطمئنين بما أخذ ميخائيل سرفاي عن شرح "تشريح القانون لأبي الحسن علي بن النفيس في الدورة الدموية الصغرى، فلقد أخذ سرفاي بنظرية ابن النفيس ونقلها حرفياً في كتابه (CHRIST- IANSMO RESTITUTIO) الصادر بفيينا سنة 1553م.

ومهما يكن من أمر فإن التراث الطبي الإسلامي مازال مصدراً أساسياً للدراسة التاريخية الحضارية في نطاق توضيح الرؤية في التاريخ لفترة من الزمن غير قصيرة هي الفترة الحضارية الإسلامية في صلاتها بالحضارات التي أثرت في فيها.

2- الجانِب اللغوي:

وهذا أيضاً مظهر أساسي نعتقد أن التراث الطبي مازال يقدم له العون الكبير، وخاصة اللغة العربية التي كانت لغة ذلك التراث الأساسية. فإن العربية اليوم قد رجعت إلى الحالة التي كانت عليها في القرن الثاني ثم في القرن الثالث الهجريين، أي لغة متلقية متأثرة تحتضن النصوص المترجمة وخاصة من اللغة اليونانية. ولقد أصابتها هذه الحالة منذ بدايات القرن الميلادي الماضي، وهي لما تتقه بعد. فإن العرب - كشأن المسلمين

عموما - مازالوا ناقلين- في مجال العلوم عامة- غير مبدعين، ولا يمكن للغة العربية أن تصبح لغة علاجية بحق إلا إذا عبرت عن ابتكار أهلها في علم ما من العلوم أو في العلوم جميعا .

فالعربية اليوم إذن لغة ناقلة، أو هي لغة منقول إليها . ولعل من أغرب الأمور المشاهدة في مجال نقل العلوم عامة- ومصطلحاتها خاصة- انطلاق النقلة والمصطلحين في الغالب من النقطة الصفر وكان العلم الذي تنقل مصطلحاته حديث الظهور وليس للعربية فيه إسهام مصطلحي قديم . وهذا يعني أن ساعات طوالا تقضى في مناقشات ومحاولات حول هذا المصطلح المقترح أو ذاك في ندوة ما من الندوات المصطلحية وهي في الحقيقة وقت مهدور وجهد ضائع لأن المتخاذلين يجهلون المصطلح العربي الدقيق الذي اتخذ حيزه في الثقافة العلمية العربية وفي الرصيد المعجمي المصطلحي العربي.

وما يقال عن الطب في هذا السياق أجدر بالعناية لأن التراث الطبي في اللغة العربية كان أغلب منزلة وأظهر مكانة، ولذلك فإن الرصيد المصطلحي العربي في مجال الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية ذات الصلة بهما على قدر كبير من الاتساع والإتقان. ولا شك أن جمع ذلك الرصيد من مظانه جمعا منهجيا دقيقا ووضع في معجم علمي مختص وضعا معجميا مصطلحيا معكما يذللان من مشاكل المصطلح الطبي العربي الحديث ما لا يستهان بعدده. ولكن أني لنا ذلك ونحن لم نعد بالمعجم التاريخي الذي يجمع شتات اللغة في مختلف عصورها وأمصارها وعلى الخلاف مجالات استعمالها ومستويات رصيدها؟ ولكن كيف لنا أن نضع ذلك المعجم التاريخي الشامل والمخطوط من التراث العربي الإسلامي أكثر بكثير من المطبوع الذي لم تراعى فيه دائما مناهج التحقيق العلمي ؟

واعتقادنا أن أول مرحلة ينبغي أن تتجزى في الاستفادة من التراث الطبي العربي الإسلامي هي فهرسة الرصيد المصطلحي الطبي والصيدلي العربي فهرسة منهجية محكمة التنظيم بالاعتماد على جميع المظان المتوفرة، مخطوطة كانت أو مطبوعة. على أن هذا العمل لا يغني عن عمل آخر هو أعم فائدة وأكثر جدوى لعامة التراث الطبي الإسلامي، ونعني به تحقيق نصوص هذا التراث ونشرها على الناس حتى يفيدوا منها ويفيد منها العلم الحديث، فإن الناس يتكلمون عن التراث الطبي الإسلامي ولا يعرفون من نصوصه إلا النذر القليل. وليس ذلك بمنته إلى نتائج علمية يطمئن لها .

أثر العلوم الإسلامية في تطور الطب

أن الهدف من هذا البحث هو جمع سلسلة من الوقائع التي توضح الأثر الحاسم للعلوم الإسلامية فيما يتعلق بتطور الطب، والهدف الرئيس هو أن نقرر الأهمية الحقيقية لتأثير العلوم الإسلامية، فهي من الناحية الموضوعية قد ساعدت على وجود المعايير الطبية الحالية، وأن من الإجحاف تجاهل هذه الحقيقة بل أنها لم تكن معروفة بوجه عام. كذلك يحاول البحث أن يساعد على خلق فكرة صحيحة عن الإسلام الذي أضحت شعوبه وحكوماته بعد سنوات عديدة من الحروب والمأناة تشعر بمدى حاجة الدول إلى ضمان روح التعاون بين الجميع لخير البشرية.

ولكي نوضح هذا المفهوم من وجهة نظرنا نحن المسلمين نقول أن ما يسميه الشخصية الجماعية هو ما ورد في القرآن الكريم: (أن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ريكم فاعبدون) (92/21) هذه الأمة فيها القوة الجامعة لشتاتها "تركزت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؛ كتاب الله، وسنتي". هذا الكتاب الخالد جمع الأمة الإسلامية على مر العصور ومهما ضعفت فإن الله يقيض لها على رأس كل قرن من يجدد لها دينها طالما كان بينهم كتاب الله. ومن هنا حرصنا أعداء الإسلام على أن يطعنوا الأمة في موقع قوتها وذلك بعزلها عن كتاب الله فقي البلاد التي تتكلم بلغته حاولوا عزلها عن التطبيق لفاهيمه وتحويله إلى شعائر تتلى في المآتم. أما البلاد التي تتكلم بلغات أخرى وكانت حروفها عربية فقد حرصوا على تبديل الحرف العربي الذي يربطها بالقرآن وإدخال حروف أجنبية تمهيداً لعزلها عن مصدر (الشخصية الجماعية لأمة القرآن).

أن من المستحيل أن ننكر أن الشخصية الأدمية تظهر أفكاراً عديدة وصنوهاً من التفكير في حدود الذاكرة، وهذا ينطبق على الشخصية الجماعية للمجتمع وفي هذه الحالة فإن التقاليد العامة توضح الذاكرة الجماعية التي تحفظ معا جميع صنوف التفكير في المجتمع. وبالتحديد فإن الذي يميز البلد هو التقاليد العامة التي هي الذاكرة الجماعية. وتسري تلك القاعدة على النطاق الجغرافي أو الأجناس أو نطلق السلالة القومية وكذلك أي حدود أخرى، ويمكن، سريانها أيضاً على المدنات.

ومن الناحية السيكلوجية فإن المدنية هي مجموعة التقاليد العامة للبلد مستقلة عن ظروفها الجغرافية والبشرية. ومن الناحية الفنية فإن المدنية هي مجموع التطورات في المجتمع بالنسبة للعلوم النظرية والتطبيقية وفروع الصناعة والعلوم الاجتماعية والآداب والفنون وأي أنشطة فكرية أخرى.

هذه هي المدنية ولكنها ليست الحضارة، فالحضارة لا تقوم على الفكر المكتسب ولكن هي الحالة المعنوية، وهي حالة دائمة لها روح شخصية، أو روح جماعية للمجتمع. فالحضارة مفهوم أخلاقي بحث، وهي بقايا معنوية كلية غير ملموسة على الرغم من وضوحها حسياً، وهي تتكون في النفس أو في المجتمع بوساطة الأفكار والأحداث المستمرة وتبعاً للمبادئ الأخلاقية- والمدنية هي التربة الخصبة للحضارة ولكنها غالباً تستطيع التواجد بدونها وعلى العكس من ذلك فإن الشخص أو المجتمع قد يبدي درجة عالية من الحضارة بلا مدنية وهذا ما نطلق عليه عموماً بلا تعليم وبلا معرفة بالعلوم والآداب. أن الطائرات وأقلام الحبر والأمصال المضادة للسموم نتاج للمدنية وأن استخدام الطائرات في نقل المصل المضاد للسم، وكذلك استخدام قلم الحبر في التوقيع على شيك لصالح مستشفى هي من وجوه الحضارة.

ومن هذا المنطلق، فقد أرسى الإسلام مدنية متقدمة تعد في الوقت الحاضر من أروع المدنيات في كل العصور، كذلك فإنه أيضاً قد جمع حضارة متينة متقدمة وذلك إذا ما طرحنا جانباً الاضمحلال الواضح للقوى السياسية، والتفكك الظاهر للدول الإسلامية، فإن الشخصية الجماعية للإسلام قد صمدت أمام كافة أنواع التغيرات، ذلك لأن معيار الشخصية الجماعية هو المدنية عامة والتقاليد التي لم تتطعن أو تخمد. هذه هي روح الإسلام كما يجب أن يفهمها أولئك الذين يحاولون عمد وسوء نية تشويه صورته.

وعلى الرغم من ذلك فإن الاضمحلال الواضح لقوة نفوذ العالم الإسلامي في تطور مختلفة أنواع الأحداث في العالم قد حدث كنتيجة لبقاء سلسلة كبيرة من الضلالات والأخطاء التي لا يقبلها العقل، وهذان قد أديا في مجال الطب إلى الأساس السيئ للاتجاهات الزائفة ضد الإسلام. وعلى ذلك فإننا نهدف إلى محو تلك الأخطاء التي تؤدي إلى الحكم السيئ على اتجاهات الإسلام المحتضرة على الدوام.

وعلى سبيل المثال، فإن نظرة للوراء إلى قصة الخليفة الذي أعطى أوامره إلى عمرو بن العاص بأن يجعل من كتب مكتبة الإسكندرية الشهيرة وقوداً لنيران التدفئة في حمام المدينة والتي كان من بينها مؤلفات طبية ثمينة، هذه حكاية تعد واحدة من تلك الافتراءات الكبيرة التي تستغل في خلق قصص وضيفة وكتب تاريخ سيئة. حيث أن المكتبة الشهيرة قد أحرقتها يوليوس قيصر عام 48 قبل الميلاد، كذلك فإن مكتبة أخرى شهيرة تسمى " المكتبة الابنة " قد خربت عام 389 م. تبعاً لأمر من الإمبراطور تيوديسيوس... وعلى ذلك فإن من الزيف تماماً والخطأ أيضاً أن تلقى باللوم على العرب لتخريب منبع

العلوم الذي كان يتجسد في مكتبة الإسكندرية الشهيرة، وأن من المسخف والبشاعة، أنه لا زالت كتب التاريخ تطلع فيها مثل هذه، الأكاذيب (وينفس الطريقة سارت الأمور حتى نهاية القرن العشرين دون فهم أو تدبر فلم يبرهن عكس ذلك إحقاقاً للحق ووضعاً للأمور في نصابها). وتبرز هذه الحقيقة بالنسبة لتاريخ الطب حيث أنه بفضل العلوم الإسلامية والممارسة العملية للطب عند العرب وبفضل مؤلفاتهم وأبحاثهم وترجماتهم استطاعت أوروبا الحصول على قدر كبير من المعرفة مكتنهم من تطوير العلوم فيما بعد. وأنه لولا الدعاية والمعلومات الزائفة فإن، هذه الحقيقة لم تكن لتخفى على أحد فالمؤلفات والخبرات العملية التي جاد بها العالم الإسلامي على العصور الوسطى، في أوروبا حيث كان الظلام يعم أوروبا فيما بعد وفي هذا الميدان ما يستحق الإسهاب في الفصول التالية كي نبرهن على الدور الحاسم للإسلام في تقدم علوم الطب.

لقد كان الإسلام منذ نشأته على صلة مباشرة بأربع مدنيات كبيرة هي البيزنطية، والساسانية الفارسية، والهندية، والصينية، كذلك فإن الخشب الذين فتحوا مساحات شاسعة شملت ما بين جبل طارق والصين كانوا يتسلحون بثلاث عوامل هامة هي: الذكاء، والنشاط، والروح العالية، وبالنسبة للعامل الأول وهو الذكاء الحاد الذي يهدف إلى الوسائل البناءة، والعامل الثاني وهو الدافع الروحي القوي الذي يبعث الحماس الديني، وكان العامل الثالث هو تلك الهبة غير العادية لفهم الجمال والخلق والقوة المعبرة والذي كان بلا شك منشأ تلك الدرجة العالية من تقدير الفكر والميزات الروحية.

وكنتيجة لكل ذلك وبعد مضي قرن من الزمان أصبح للإسلام واحدة من أعظم وأهم المدنيات والحضارات، وبعد أن امتدت الدولة الإسلامية واستقرت أحوالها فإن الحماس الجماعي القوي للعرب قد دفعهم إلى القيام بتجميع الإنجازات الفنية والعلمية والصناعية والاقتصادية والصحية والأدبية والفنون والفلسفة.

وفيما يتعلق بمجال الطب فقد احتل الإسلام مكان الصدارة بين الدول وأرسى قاعد قوية ووضع الأساسات لحضارتنا ومدنيتنا.

ومن المعروف تماماً أن مراكز الاتصال بين العالم الإسلامي وأوروبا الغربية وأمريكا، كانت تتمثل في أسبانيا وجزيرة صقلية والشرق الأوسط، وخلال الحملات الصليبية كانت سوريا وفلسطين من بين مراكز الاتصال بالعالم الإسلامي، حيث تم الاتصال السياسي والاقتصادي والحضاري عندما ساد الهدوء بين العالم الإسلامي والدول الصغيرة في تلك المناطق خلال قرنين من الزمان.

وعلى وجه التحديد فإن من بين الأدوار الأساسية التي قام بها الإسلام في مجال العلوم كان المحافظة على الأفكار والمعرفة وتعظيمها والتنسيق بينها وتطويرها، وبالنسبة للمدنيات القديمة فقد تم تجميع المؤلفات ودراستها وقد أضاف العرب إليها الكثير من المؤلفات الأصلية والأفكار البارزة.

وإن من دواعي السرور أنه قد بدأ بالفعل الاعتراف بأن الطب والصيدلة من فروع العلم التي كان للإسلام أثر حاسم في الأبحاث الموجودة فيهما وفي تطورها، وأن الترجمة المنظمة لآلاف المؤلفات العربية كانت، مصدر ثراء للمعرفة وساعدت على نقل الطب العربي إلى أوروبا في العصور الوسطى. وعلى نفس المنوال، فقد أنشأ العرب مستشفى مجهزاً تجهيزاً كافياً قبل أن يقوم مثله في العالم الغربي بألف عام تقريباً.

وبعد مضي قرن من الزمان كان في بغداد ستة آلاف دارس للطب وحوالي ألف ممارس طبي، ثم بعد مضي مائة عام أخرى وجد في دمشق مستشفى مركزي تتبعه كلية كبيرة للطب، وفي ذلك الوقت أيضاً أقيم المستشفى الكبير في القاهرة والذي ضم عدة أبنية وأربعة حدائق واسعة وقد زود بالموسيقى لراحة المرضى، كما كان يدفع للمريض الذي يشفى خمس قطع ذهبية لتمكته من مراعاة صحته خلال فترة النقاهة. ويتضح من هذا أن المستشفيات كانت ابتكاراً إسلامياً وبعد أن انتشرت في العالم العربي انتقلت إلى أوروبا مع الحروب الصليبية.

كذلك فقد أنشئت في العالم الإسلامي أولى الصيدليات ومعامل الكيمياء وكانت تعد بالئات في قرطبة وبغداد وكثير من المدن الأخرى، وكان العرب هم أول من قدموا لأوروبا الأدوية مثل الراوند Ruibarbo والكافور camphor وجوز الطيب Vomicanut وعلى سبيل الذكر أورد ابن سينا في مؤلفه الطبي أكثر من سبعمائة دواء.

وقد انتقلت كل العلوم الإسلامية والطب العربي العظيم إلى أوروبا وذلك بفضل الروابط، القوية بين الباحثين الأوائل من المسيحيين ومن بينهم روجر باكون Roger Bacon الذي يعرف بأنه مبتكر العلوم في أوروبا والذي استقى المعرفة من العرب، كذلك جريوتو Gerberto، الذي أصبح فيما بعد البابا سيلفستر الثاني والذي عاش قبل باكون وكان يعيش في قرطبة المسلمة حيث درس على يد الأساتذة العرب، أيضاً البرت العظيم Albert the Great الذي يشير في مؤلفاته إلى ما يقرب من اثني عشر عالماً عربياً أطلع جيداً على كتبهم من خلال ترجماتهم اللاتينية، وأخيراً وتفادياً للإطالة نذكر رابمندويليو

Raimundo Lulio المولود في باليرز والذي كان يتقن اللغة العربية وتحوي مكتبته مئات المؤلفات الإسلامية، ومنها استقى معرفته العلمية العالية.

وإن الموسوعات العظيمة التي ينسب ابتكارها خطأ إلى أوروبا لها أساسها في العمل الشاق والطويل لمؤلفي الموسوعات المسلمين، ويقتخر الغرب بظهور الموسوعات في القرن الثامن عشر على الرغم من أن مؤلفي الموسوعات ظهروا في العالم الإسلامي قبل ذلك بأربع أو خمس أو ست قرون قبل زملائهم في أوروبا.

ولقد ألفت أول موسوعة منظمة بالعربية بواسطة جماعة وجدت في البصرة خلال القرن العاشر، وقد قسموا أنفسهم إلى أربع مجموعات وأطلقوا على أنفسهم اسم "أخوان الصفا"، وقد عملوا معاً مشتركاً يضم واحداً وخمسين بحثاً عليهم تفطياً فعلاً جميع المازف في ذلك العصر وتشمل الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية والتوحيد، وقد استخدم المسيحيون فيما بعد تلك المؤلفات في أبحاثهم بغية المعرفة وجرياً وراء الحقيقة. وظهرت فيما بعد موسوعتان أكثر اتساعاً واكتمالاً وقد ألف كلاهما مؤلف على انفراد، فالمؤلف الأول هو النويري Nuwayri الذي عاش في القرن الثالث عشر، والمؤلف الآخر هو ابن فضل الله العمري Ibn fadl Allah وكان معاصراً له، كما ألف القلقشندي موسوعة أخرى طبعت في القاهرة وكانت تضم 14 مجلداً.

وتعتبر المعاجم من الوجوه الهامة للتأليف التي قام بها علماء المسلمين، وهو شيء لا قياس عليه، والمثل البارز على ذلك القاموس المري العظیم الذي يماثل قاموس أكسفورد، والوبستر، ولاروز، وقد كتبه الصفدي safidi الذي عاش في القرن الرابع عشر، وقبل ذلك بمائة عام ألف ابن القفطي Ibn Qifti موسوعة ضخمة سميت "طبقات اللغويين والنحاة" كما كون جاكوت Jakut قاموساً سمي "الرجال والأعلام كذلك كتب الكاتب العظيم ابن أبي أصيبعة Life of doctors طبقات الأطباء".

قد يكون من الإسهاب غير المجدي أن نذكر جميع الشخصيات العظيمة التي كان لها السبق في تكوين الطب الإسلامي والذين كان لحكمتهم ومعرفتهم الفضل في تطور علم الطب، علي أنه قد يكون أيضاً من الإجحاف عدم ذكرهم ولو باختصار كدليل إعجاب واحترام ولكي يعم ذكرهم أرجاء العالم لمكانتهم في تطور الطب.

على قمة هذه المجموعة من الأطباء العرب الحارث بن كدة الذي ظهر في القرن الأول للإسلام (توفي عام 734 م)، وكان قد درس في فارس وهو أول من تنقّف علمياً من

العرب في شبه الجزيرة وحصل على لقب الشرف (طبيب) في الطب حسب قواعد العصر، وقد خلفه النضر بن الحارث، وكانت أمه خالة النبي عليه السلام.

ومن الأطباء الذين ضمهم ديوان الأمويين كان أبرزهم ابن أنثال وتياذوق Tuyadhuq ولا زالت بعض المصطلحات التي أطلقها تستخدم حتى، وقتنا الحاضر، كذلك نجد الطبيب البارز ماسرجويه Masar Jawayh وهو من أصل فارسي وقد ترجم من السريانية إلى العربية بحثاً طبياً كتب أصلاً باليونانية يسمى "أهرون Ahron" والذي يعد أول كتاب علمي كتب باللغة العربية وقد ذكر أن الخليفة الوليد قام بعزل المرضى المصابين بالجذام وأعطاهم علاجاً خاصاً.

ومن بين الشخصيات البارزة في الطب الإسلامي والتي تناستها أوروبا الغربية، مع الأسف، كان علي بن عيسى، أعظم طبيب مشهور للعيون، في العالم الإسلامي، وابن جزلة الذي كتب أهم بحث علمي عن العلاجات الطبية.

وفي الحقيقة قد يطول بنا السرد إذا أردنا ذكر جميع أسماء أعلام الطب العربي، ولكننا ننهي هذا البحث بإلقاء الضوء على كثير من المؤلفات غير المعروفة تماماً والتي صنفها العلماء المسلمون ورغم أهميتها فلم تحظ بالذكر حتى وقتنا الحاضر.

فبعد البحث الطويل تمكنت من تحقيق مؤلفات هامة كثير منها مستقاة من ترجمات عن المؤلفات اليونانية القديمة جداً وأشياء أخرى لا يمكن تعويضها وجميعها أصول. وأقدم هنا نماذج يمكن أن تكون ويجب أن يستفاد بها كأساس للبحث في المستقبل.

أولاً: العمل الهام الذي أنجز في أسبانيا المسلمة على يد الطبيب ابن زهر الذي يعتبر استمراراً لاتجاه أبقراط (525-113م).

ثانياً: إن استخدام سلملة السببية واللاقياس والتجربة هي ما يميز الاتجاه البحت المحكم لعلماء المسلمين (والذي اتبعته مدرسة القواعد العربية بالكوفة) وأهميتها العظمى نجدها في كافة أنواع المؤلفات العلمية الإسلامية.

ثالثاً: أن نعي الحاجة إلى تكريس جهد خاص لما قد يكون غير معروف من ذخيرة المعلومات بالمؤلفات العربية فيما يتعلق بالطب والعلوم الأخرى، والتي نبرز منها المجموعات التالية من المؤلفات:

- 1- المجموعة التي أنجزها ابن النديم الوراق والتي تضم 22 مجلداً .
- ب- المؤلفات التي تسبب إلى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتطبيق كيمياء القرون الوسطى في الطب .

ج- مجموعة المؤلفات الخاصة بالعلاقة بين علوم السحر والطب والتي يمكن أن نبرز منها المؤلفات التي أعدها أحمد ابن محمد المصمودي.

د- الترجمات العربية من الفارسية التي تمت في المركز الطبي في جنديسابور، وكذلك ترجمة إلي البحث الهندي الهام في علم خصائص السموم.

هـ- المؤلفات التي أنجزها الطبيب الفيلسوف المسلم الأندلسي ابن سابين وهو ليس من الأسماء اللامعة- والتي جمع بعضها ابن طولون وهي لم تحظ بالاهتمام الكافي للاستفادة منها وتطويرها .

من كل ما ذكر فإن الأهمية الحقيقية والحاسمة للعلوم الإسلامية في الماضي تكمن في أثرها في تطور الطب في المستقبل، فبفضل الإسلام وجدت القواعد الحالية لعلوم الطب، لقد حان الوقت لنعرف مثل "هذه الحقائق وأن يحتل العالم الإسلامي مكانته الصحيحة في حقل العلم إحقاقاً للحق، ففي عام 953 م أرسل أوتو العظيم ملك الألمان سفيراً من لدنه إلى قرطبة إلى راهب يدعى جون الذي عاش ما يقرب من ثلاث سنوات في عاصمة الخلافة الأندلسية. وقد تعلم العربية بإتقان وعند عودته إلى موطنه حمل معه مئات المخطوطات الطبية العلمية القيمة والتي ساعدت على نشر جوهر علوم العرب العظيمة في أوروبا الغربية بصورة سريعة ومدهشة.

لجنة الترجمة والتحقيق

تمهيد

الطب علم وفن يبحث في العناية بصحة الحي وبنائه. وحين نقول تاريخ الطب الإسلامي نعني تاريخ أطباء رواد جهايزة، نشأوا في ظل حضارة عظيمة رائعة. والإسلام هو دين المرسلين كلهم، ولكننا نعرض هنا تاريخا لمباكرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل المبليين لرسالة الإسلام إلى أهل الأرض قاطبة. هدفنا هو الإنصاف أولا ورد الحق لأهله. ولا ندعي أن قومنا وحدهم تألقوا وبرعوا، وإنما نوضح أن حضارتنا كما تلقت فقد أعطت وأسست وأينعت، بل أبدعت أكثر مما ورثت بكثير.

وتركت من العلم والأثر ما بني عليه مجد العلوم المعاصرة كلها، وتسببت في تقدم البشرية حتى الساعة بفضل الله وحده. ولم تكن -كما قال قائل جاهل- حضارة لم تضيف للإنسانية! وهو لا يعلم أن متاحف بلده بها مخطوطات خرائط ومراجع رائعة لأجدادنا، فقد كانوا يرسمون خرائط العالم ويجرون جراحات دقيقة.

أما قومه وغيرهم -في نفس الزمن- فقد كانوا يسكنون كهوها، ولا يعلم جنوب بلادهم شيئا عن شمالها من فرط الجهل والتخلف...

وأشير إلى أننا لا نتأسف للمصطلح ولا نقول: الطب واحد بل الحقيقة أن هناك طبها إسلاميا، وأن نظرة الإسلام للجسم البشري تختلف عن النظرة المادية وعن الفرور الغربي المادي...

وديننا كما أنه لا يخلق في دجى الخرافة، لكنه لا ينكر كل ما لا يراه وما لا يدركه -حمقا أو تجاهلا أو لأي سبب كان- فهناك روح وهناك جسد، وهناك ما تحت الثرى مما لم يعرف بعد.

فلم يفهم الغرب كل أسرار الحجاماة، ولا الكي ولا شتى العلاجات غير التقليدية كالإبر الصينية، وإن كان أقر مؤخرا بنفعها، وفهم بعض طرقها في التأثير...

ودور الطبيب المسلم هو أن ينقح، ولا يرفض كل غريب بلا برهان، وهو يسعى للعلاج موثقا أن الشفاء أعلاء، ويوقن أن هناك بركة وتوفيقا أيضا يؤثران، ماديا ومعنويا بلا مرية، في المريض وفي الدواء...

ويوقن المسلم أن هناك علما فوق ما علم، فمن هنا لا يكل ولا يسأم ولا ييأس من بحث وتقصى وتجريب.

إن جو الحضارة الإسلامية جو رائع، تتفتح فيه الملكات البشرية، ويوقن فيها العالم أنه عايد لريه بعلمه وبحته، فيكون لديه الحافظ والدافع.

فلا يوجد فصام بين الدين والعلم، مثلما حدث مع غيرنا....حين كان رجال الدين هم العدو الأول للباحثين.

والحقبة العلمية الإسلامية في أوجها استغرقت من تاريخ البشرية عدة قرون (من منتصف القرن الثاني الهجري/ التاسع الميلادي إلى منتصف القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي)

موقف الإسلام من الطب

نحن مأمورون بالتداوي شرعاً، وهي مسألة محسومة في السيرة النبوية، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمح للنساء بالتطبيب عند الضرورة. ويوضح الإمام الذهبي رحمه الله عدم منافاة التطبيب والمعالج للتوكل على الله، فيقول: "التوكل اعتماد القلب على الله، وذلك لا يناه في الأسباب ولا التسبب، فإن المعالج الحاذق يعمل ما ينبغي ثم يتوكل على الله في نجاحه، وكذلك الفلاح يحرق ويبذر ثم يتوكل في نمائه ونزول الغيث.

قال تعالى: "خذوا حذركم" سورة النساء

وقال عليه الصلاة والسلام: "اعقلها وتوكل"

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي قوله: "لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب" حتى إن الإمام مالك -رحمه الله- جعل علم الطب من العلوم المحترمة بعد علم الشريعة، فلا يجوز امتحان ورق به كلام طبي لشرفه وكرامته وتعاليم الإسلام كانت رائدة في النهضة بالصحة العامة للمجتمع والخاصة لكل فرد، فهذا هو الفيلسوف البريطاني "برنارد شو" في مقدمة كتابه "حيرة الأطباء" يقول أن الاستعمار البريطاني عندما Dilemma The Doctors احتل بعض الجزر وضع خطة لتغيير دين السكان، فأرسل وهود الميشرين ليعدهم عن الإسلام.

ثم يقول "برنارد شو" أن الاستعمار للأسف الشديد قد نجح في ذلك ولكن كانت النتيجة هي تفشي الأوبئة والأمراض الفتاكة بينهم بسبب بعدهم عن تعاليم الإسلام التي كانت تأمرهم بالطهارة والنظافة على كل شيء إلى حد التدقيق على تقليم الأظافر".

ونقل الدكتور شوقي الفنجري نصوصاً بديعة توضح بعض ما قدمه الإسلام لمهنة الطب من فضل:

أولاً: فالإسلام أتى بنظرية علمية وواقعية عن مفهوم المرض ويعترف بالطب والأطباء والدواء. فقبل الإسلام كانت الفكرة السائدة في العالم أن المرض شيطان ويدخل جسم الإنسان عقاباً له على معصية ارتكبها في حق الآلهة وأن السبيل الوحيد للشفاء هو صلاة الغفران لكي تطرد شيطان فإذا لم يشف المرض فمعنى ذلك أن إيمانه ما يزال ضعيفاً.

وكانت الكنيسة في القرون الوسطى تمنع الناس من التداوي وتحارب العلماء وتحرق كتبهم أو تضعهم على الخوازيق بتهمة السحر والشعوذة وتحدي إرادة الله.

ويصف برنارد شو هذه الحالة قائلاً "كان الناس يستغنون عن الأطباء ويوكلون العلاج إلى العناية الإلهية، ولم يمكن التخلص من هذا الاعتقاد الذي كان سائداً في بريطانيا حتى القرن التاسع عشر إلا بسن قانون يقضي بحبس الأب الذي يموت والده دون أن يعرضه على الطبيب بحبسه لمدة ستة أشهر".

فلننظر الآن إلى تعاليم الإسلام في هذا المجال:

فعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة جاءته أسر المرضى يطلبون على يديه الشفاء.. فكان يزور المرضى ويدعو لهم بالشفاء ويقول تداووا عباد الله.. فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له الدواء. رواه الترمذي وأبو داود.

ثانياً: ومن أفضال الإسلام على الطب أنه قد نفى هذه المهنة من الخرافات التي كانت عاقلة بها والتي كانت تصاحب العلاج: مثل وضع التماثيل من رؤوس الحيوانات ومثل الوشم وقراءة الطالع والنجوم وزجر الطير والاستقسام والأزلام وضرب القداح.

وفي هذه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من علق تيممة فلا أتم الله له" وقد بلغ من حزم الإسلام في هذه الأمور قول الرسول صلى الله عليه وسلم "من أتى كاهناً أو عرافاً فآمن بما يقوله فقد كفر بها أنزل على محمد" وبذلك وضع الإسلام حداً فاصلاً بين الطب والكهانة.. وكانت كلاهما مهنة واحدة حيث كان الطبيب يسمى الكاهن أو العراف.

وقد أعلن الإسلام حقيقة علمية خطيرة وهي أن كل مرض في هذه الدنيا له علاج يشفيه إلا داء واحداً وهو الهرم أي كبر السن وأنه إذا كانت هناك أمراض لا نعرف لها دواء اليوم فذلك راجع إلى قصور في علمنا وأن علينا أن نجتهد ونبحث حتى نجد لها العلاج الشافي. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "أن الله لم ينزل داء إلا له دواء علمه من علم وجهه من جهل فإذا أصيب دواء الداء برأ المريض بإذن الله" رواه الترمذي وأحمد.

ثالثاً: والإسلام أمر بالنظافة الشخصية كوسيلة للوقاية الصحية واعتبرها مكملة للإيمان "النظافة شطر الإيمان" ونفى أن تكون القذارة نوعاً من التواضع لله والتقرب إليه. وقد أشار الإسلام إلى تلوث الأطعمة والملابس والأيدي، وحبب في الطهارة ونهى عن النجس والقذارة وحدد المواد النجسة فمنها القيح أي الصديد والبراز والقيء ولعاب الكلب وجسم الخنزير وكل شيء عفن مثل بقايا الحيوان.

كما أطلق الطهارة على الشيء الخالي من هذه النجاسات وحدد طرق الطهارة بالفسيل بالماء الجاري أو الحرق بالنار أو الغلي في الماء أو التجفيف. ولم يترك الإسلام تعاليمه عن النظافة بصفة عامة ومطلقة بل إنه دقق على نظافة كل عضو من جسم الإنسان يمكن أن يكون متقدماً للمرض أو مصدراً له.. وعلى سبيل المثال قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لستم أظافركم فإن الشيطان يقعد على ما طال تحتها" والإسلام أول ما أشار إلى الحجر الصحي قبل أن تعرفه الإنسانية.

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوردن ممرض على مصح (البخاري) ومعنى الحديث أنه لا يجوز أن يختلط المريض، بمرض معد، بالأصحاء بل يبقى بمعزل عنهم حتى لا ينقل إليهم العدوى.

ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم أن من القرف التلف" رواه أبو داود... والقرف هو مقارفة المريض أي الاختلاط به والتلف هو الهلاك أي العدوى والمرض.

وقد طبق الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ على المجذومين فقد جاءه رجل مجذوم لكي يبائمه فلما استأذن بالدخول قال له الرسول "أبلغوه أنا قد بايعناه فليرجع" وقال أيضاً "اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين".

رابعاً: وقد جاء الإسلام بقاعدة علمية في مكافحة الأوبئة كالكوليرا والطاعون والجذري.

إذا يقول عليه السلام إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، فهذه القاعدة هي نفس ما تطبقه الدول للوقاية من الأوبئة في عصرنا الحديث إذ يمنع الدخول إلى المنطقة الموبوءة كما يمنع من فيها من الخروج منها.

ولكي نعرف قيمة هذا الحديث النبوي الذي جاء في القرن السابع the story of medicine الميلادي اقرأ الفقرة من كتاب قصة الطب ف عندما ظهر وباء الطاعون في فلورنسا، by Joseph Garland سنة 1348 كان الناس في المناطق الموبوءة يأمرن بالفرار منه بأسرع ما يمكنهم وإلى أبعد ما يستطيعون ولم يكن ذلك القرار بالبداهة يؤدي إلا إلى ازدياد رقعة الوباء حتى وصل إلى روسيا سنة 1352 وكانه كان حريقاً في غاب لم ينطفئ نهييه إلا بعد أن أكل ربع سكان أوروبا.

خامساً: قد جاء الإسلام بأوامر محددة وقاطعة تسير أحدث النظريات العلمية في القضاء على بعض الأمراض المتوطنة. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبولن

أحدكم في الماء الدائم فإن عامه الوسواس منه" رواه ابن ماجه ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام "اتقوا الملاعن الثلاث التبرز في الظل وفي الموارد وفي طريق الناس".
فمن المعروف مثلاً أن مرض البلهارسيا ينتقل إلى الناس عندما يتبول المريض في الماء وخاصة الماء الراكد (الدائم) وإننا لو منعنا المرضى من التبول في الماء لقضينا على المرض وهذه حقيقة علمية لم تكن معروفة إلا في القرن التاسع عشر عندما اكتشف العالم الألماني بلهارس دورة حياة البلهارسيا .

طب المسنين

يقول الدكتور جوزيف جارلاند في كتابه أن الفضل في احترام الشيخوخة ورعايتها يرجع إلى تعاليم الإسلام.

فقد عكف أطباء المسلمين على ابتكار طب المسنين وهو المسمى اليوم وكان أول من أشار إلى ذلك ابن سينا في كتابه القانون. Geriatrics.

وكان في المستشفيات الإسلامية قسم خاص بكبار السن كتب عليه "وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً".

وأورد ملخصاً لتبنيته أعجبنى للفاضل الدكتور إبراهيم بن مراد من تونس في مبحث له على الشبكة العنكبوتية:

حيث نبه إلى تطور هام نور به الإسلام للطب ديراً، وهو فصل الطب عن الفلسفة الخرافية الأسطورية. لأن المتعارف عليه في النظرية اليونانية أن الطب جزء من الفلسفة وعلم من علومها. وقد قوى تلك النظرية جالينوس خاصة، وقد كان طبيبا وفيلسوفاً، فمزج الطب بالخرافة وبالحكمة وبالأسطورة و ببعض الحقائق والنصائح، كما هو حال الفلسفة، فهي خليط من كل تلك الأمور، فهي عقول تبحث فيما يصح وفيما لا يصح فتصل حيناً وتضل أحياناً.

وقد أخذ بعض المسلمين عن اليونانيين ذلك المذهب، واعتمدوه منذ بدايات إنتاجهم العلمي. وكانت لهؤلاء القلة شهرة، فظن بعض الغربيين أن الطب في الإسلام كان تابعاً مطابقاً للطب اليوناني، وأنه كان يرى الطب قسماً من الفلسفة والنظر المنطقي النظري الفرضي فقط، ولكن بالتمحيص نجد ملاحظتين:

1- أن من دمجوا الطب بالفلسفة زادوا عليه تجريباً عملياً وممارسة للصيدلة والجراحة والتشريح بقدر أكثر من اليونانيين بكثير، فلم يكونوا مجرد نقلة ولا مترجمين كتبة.

2- والنقطة الثانية التي لاحظها الباحثون، هي أن هناك الكثير مما لم يحقق ولم يخرج للنور من تراث الأطباء المسلمين، وهو يملأ المتاحف ودور الكتب والمخطوطات، ويتحدث عن مشاهير آخرين لم يسلط عليهم الضوء، وبه أسماء برعت في الطب كعلم حقيقي عملي تجريبي مستقل، وليس كمزيج من الفلسفة والنظر.

فهناك أمثلة توضح أن المسلمين كانوا يتعاملون مع الطب برؤية علمية كطبنا الحديث،
وفصلوه عن خرافات الفلسفة وعن الأنفة من عمل اليد .

فأبو القاسم الزهراوي (ت 404 هـ 1013م) الذي كان طبيباً جراحاً، لم يكن من العامة بل كان أشهر وأميز القوم، وقد خص الجراحة بالجزء الثلاثين من موسوعته الطبية "التصريف لمن عجز عن التأليف".

فسبب الظن بأن المدرسة الإسلامية كانت طبية فلسفية وليست طبية محضة هو ترجمة كتابين كبيرين واعتبارهما يمثلانها وحدهما -وهما كتاب "الحاوي" للرازي وكتاب "القانون" لابن سينا -ترجما في أوروبا بعد نقلهما إلى اللغة اللاتينية، وكان انتشار ذكرهما وتقدم مؤلفيهما على من عداهما من أطباء الإسلام في الشهرة لدى الغرب عاملاً فعالاً في تلك الشبهة.

والواجب أن يتم تنقيح التاريخ لبيان الحق، فقد أبدع السابقون ولكن الغرب ترجم لمن مالوا للفلسفة فقط..

ولنتأمل مثلاً مجالاً عملياً طبياً غير الجراحة، وهو تحضير الأدوية، حيث يثبت أن قومنا لم يتقروا للتفلسف كاليونانيين، ولم يأنقوا الطب كعلم تجريبي مبني على حقائق مادية، والصيدلة لا تتفك عنه بالطبع ولا تتفصل أبداً.

وقد عني بمباشرة الدواء بيده أطباء جهابذة:

أولهم هو أبو جعفر أحمد بن الجزار (ت 369 هـ 985 / م). فقد أكثر في كتبه من الإشارة إلى الأدوية التي ألفها بنفسه، منها - مثلاً- إشاراته في كتاب "المعدة" إلى شراب ألفه لإنزال المادة الصفراء من المعدة ، ودواء ألفه لصاحب القيء الشديد الخ.

وثانيهم هو أبو مروان عبد الملك بن زهر، وهو نفسه من يأنف أحياناً العمل اليدوي. حيث قال مثلاً: "وأما أنا فإن في نفسي مرضاً من أمراض النفوس من حب أعمال الصيدلانيين وتجربة الأدوية والتلطّف في سلب بمض قوى الأدوية وتركيبها في غيرها وتمييز الجواهر وتفصيلها ومحاولة ذلك باليد، وما زلت مغرماً بذلك مبتلى به".

وأبو جعفر أحمد الفافقي (ت، 560 هـ 1165 / م) فقد أشار في مقدمة كتابه "الأدوية المفردة" إلى أن معظم أطباء عصره في الأندلس صيادلة يتولون عمل الأدوية بأنفسهم:

"أطبائنا هؤلاء كلهم صيادلة يتولون بأنفسهم عمل الأدوية المركبة وجميع أعمال الصيدلة. وما أقبح بأحدهم -لو عقلوا- أن يطلب أدوية مفردة لتركيب دواء فيؤتى بأدوية لا يعلم هل هي التي أراد أم غيرها فيركبها ويسقيها عليه ويقلد فيها الشجارين ولقاطي الحشائش. إن أطباءنا هؤلاء كلهم صيادلة، ولا تكسب لهم ولا معاش إلا من الصيدلة".

فهو يقول إنه عار أن تكتب دواء فيأتيك المريض به، وأنت لا تعلم هل هو هو أم لا، فلا بد أن تكون عالماً بشكله ووصفه، لكي لا تصبح مثل جامع الحشائش... وهو تعبير استعمله بعض أساتذتنا في علم الدواء (الفارماكولوجي) في الجامعة. فالطب لدى هؤلاء الأطباء المسلمين علم يتصل بالكيمياء، وليس فلسفة جالينوس ولا أساطير إغريقية نقلوها كما هي...

وهو أيضاً علم به تجارب وملاحظات، فلم يكن حتى الداخلين في بعض الفلسفة منهم كغيرهم، فالملاحظات السريرية عند الرازي وابن سينا كثيرة جداً، ومجال تجريب الأدوية كان له وضعه البارز.

فإن الطبيب كان لا يفتن بما تخبره به الكتب عن خصائص الدواء العلاجية بل كان يتبين نجاحها بنفسه، كإبن الجزار في كتاب المعدة.

فإن ابن الجزار كثيراً ما يذكر دواء مركباً ما ثم يلاحظ أنه قد جربه فحمد. ومن أمثلة ذلك قوله عن الإطريقل الذي ألّفه هو نفسه لأصحاب المعدة الضعيفة المسترخية "وقد جربنا وحمدناه"، وقوله عن شراب ألّفه آخر لقمع الصفراء المتولدة في المعدة "وقد اخترناه فحمدناه".

وهناك أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت. 466 هـ / 1248 م) فقد أبرز في مقدمة كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" منهج التجريبي.

فقال في الغرض الثاني: "الغرض الثاني صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين. فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبر (بتسكين الباء) لا الخبر أدخرته كنزاً سرّياً، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنياً. وما كان مغالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والمأهية للصواب والتحقيق، أو أن ناقله أو قائله عدلاً فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهرياً وهجرته ملياً وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئاً فرياً. ولم أحاب في ذلك قديماً لسبقه ولا محدثاً اعتمد غيري على صدقه".

وقد انتقد ابن البيطار بالفعل أطباء كثيرين قد أخطؤوا في الحديث عن خصائص الأدوية العلاجية أو في تحديد ماهياتها.

التشريح

وفيه نبغ أبو الحسن علي بن أبي الحزم ابن النفيس القرشي (ت. 768 هـ / 1288 م) وهو من أبرع شراح كتاب القانون لابن سينا والمعلقين عليه. وألف في التشريح كتابا مستقلا هو "شرح تشريح القانون"، وقد صوب في هذا الكتاب بعض الكتابات التي أوردها ابن سينا في التشريح. وصوب كلام جالينوس وابن سينا في نظرية الدورة الدموية الصغرى (الدورة الرئوية).

فقد تنبه ابن النفيس إلى أن اتجاه الدم ثابت وأن حركته ليست حركة مد وجزر - كما كان يظن سابقا - وقال بأن الدم يمر في تجويف القلب الأيمن إلى الرئة حيث يخالط الهواء، ثم يعود من الرئة عن طريق الوريد الرئوي إلى التجويف الأيسر للقلب. فقد نقض نظرية جالينوس وابن سينا من بعده في الدورة الدموية الصغرى، بعد استقرار في أذهان العلماء دام حوالي إثني عشر قرنا (من القرن الثاني إلى القرن الثالث عشر الميلادي).

وهناك دكتور من أجدادنا أيضا هو أبي عبد الله محمد بن عثمان الصقلي التونسي (ت. حوالي 825 هـ / 1417م)، فقد ألف الصقلي كتابا نافعا هاما هو "المختصر الفارسي" نسبة إلى السلطان الحفصي الذي ألفه له وهو أبو فارس عبد العزيز المتوكل على الله (679 هـ - 1394م / 837 - 1434 م). وهو ملخص لكتاب القانون، لم يقلد فيه الصقلي آراء ابن سينا بل أضاف إليها إضافات هامة، خاصة في مبحثين اثنين:

أولهما هو مرض جرب العين والحكة الملازمة له، وأثبت المؤلف للمرة الأولى تطور المرض ومراحله وكانت أربع. وهذه المراحل الأربع لم يقع إثباتها من طرف الأطباء إلا في منتصف هذا القرن (العشرين)، فيكون الفضل لمحمد الصقلي في الأسبقية في تحقيقها وترتيبها بستمائة سنة.

وثاني المبحثين هو مرض السل (الدرن)، فإن القدماء قد تحدثوا عن السل وعرفوه بشكل عام، لا يفصله عن غيره، بأنه "قروح في الرئة" ووصفوا أهم علاماته وهي: السعال ونفث الدم والحمى ونحافة الجسم.

أما الصقلي فقد انتهى إلى تشخيصه للسمل بوضوح، إذ حدده وحدد أسبابه بقوله: "وسبب السمل قرحة في الرئة، فإن الإنسان إذا جاوز في النفث أربعين يوما صار مسلولاً يسر برؤه، وقد يكون عن قروح في الصدر والحجاب إذا انخرق، وإذا لم ينخرق يسهل التحام تلك القروح لعدم حركتها، وقد يمتد هذا المرض بصاحبه سنين لاسيما إذا كان في القرحة جفوف وخشكرشة غير ساعية".

هنا يتضح أنه اطلع على تشريحات للموتى وسمع بأذنه صدر المرضى، وقد كان ممارساً في المستشفى الحفصي بمدينة تونس. من هنا ندعم النصح -كما نصح الطبيب التونسي الفذ- بأن يعنى الباحثون بالنصوص الطبية الإسلامية تحقيقاً ودراسة وتحصيماً، فما نشر منها محققاً تحققاً علمياً فهو أقل من الضئيل.

فقد طمرت إبداعات وغمطت حقاها، ولا زالت هناك درر في طرق حفظ الصحة ومسألة التغذية ومسألة الأدوية النباتية.

والبحث المنصف يبين أن الطب الإسلامي كان حلقة أساسية في تاريخ تطور الطب، ضمن المسار الحضاري الإنساني.

ونيهت مؤتمرات ومواقع تمنى بتاريخ الطب الإسلامي على الإنترنت، مثل المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وإسلام أون لاين وغيرها، إلى أن أحد أسباب الظلم هو أن حركة الترجمة الأوروبية كانت في عصر به أهواء مضلة شديدة وتمصّب أعمى، وذلك يعني أن المترجم كان لا يجد حرجاً عندما يسرق نصاً فينسبه لنفسه، أو يغير من نص ترجمه فيحرفه لأنه يحقد على الحضارة الإسلامية.

ولنا على هذا كله مثال جيد للاستدلال، هو أبو جعفر أحمد بن الجزار القيرواني في علاقته بمترجمه قسطنطين الأفريقي.

فقد ترجم قسطنطين من كتاب ابن الجزار "زاد المسافر وقوت الحاضر" والاعتماد في الأدوية المفردة و"المعدة وأمراضها ومداواتها" ومقالة في الجذام وانتحلها جميعاً فنسبها إلى نفسه! وكشف التاريخ التزوير بعد سنين طويلة...

ثم سرقة وانتحال الفضل في نظرية طبية إسلامية، مثل ما حدث مع ميخائيل سرفاهي في شرح "تشرية القانون" لأبي الحسن علي بن النفيس في الدورة الدموية الصغرى.

فلقد أخذ سرفاهي بنظرية ابن النفيس ونقلها حرفياً في كتابه الصادر بفيينا سنة

1553 CHRIST- IANSMO RESTITUTIO م.

وفضحه الله بوضوح التاريخ أيضاً...

تحرر أطباؤنا من رق جالينوس

أشار الدكتور/ منصف المرزوقي من تونس إلى ملاحظة أصيغها لكم بلفظي هي أن التخلص من هيبة جالينوس وأبقراط لم يكن شيئاً هيناً، ويدل على مدى الاستقلال الفكري الذي أظهره الأطباء المسلمون تجاه التراث الإغريقي والروماني، رغم أن اسم جالينوس وحده كان حجة وذريعة، ولعب نفس الدور الذي لعبه أرسطو في الفلسفة فشل من حركية البحث والتنقيب لتشبه أتباعه بكل ما كتب وصنف، وإيمانهم الأعمى بأنه فيه كل الحقيقة.

ومن النواذر التي تعطينا فكرة عن طغيانه الفكري قول بعض أتباعه بأن بنية الإنسان تغيرت منذ عهده لما اضطروا لتفسير أخطائه المتعددة في علم الأعضاء. أما المسلمون فإنهم لم يماشوه في كل ما قال بل نجد عند الكثيرين منهم نقداً حاداً له وتجاوزاً لأقواله ولنظرياته. فنقده الرازي وابن سينا وابن زهر وابن أصيبعة في تاريخه تعريضاً. فالاستقلال والمنهجية العلمية يتجليان عند ابن زهر الذي كان يشرح الموتى غير مقتنع بتشريح جالينوس للحيوان، ومثله ابن النفيس إذ يقول: "أما منافع الأعضاء فيعتمد في تعريفها على ما يقتضيه النظر المحق والبحث المستقيم، ولا علينا وأهق ذلك رأي من تقدمنا أو خالفه".

وكان رفض ابن النفيس تقليد آراء جالينوس حول وظيفة الكبد والقلب والرئتين هو بداية اكتشاف الدورة الدموية الصغرى إذ لم يؤمن بنظريته القائلة بأن الدم ينساب من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر عبر ثقب، وأن وظيفة الرئتين الرفرفة فوق القلب لتبريده

من لم يصن نفسه ساءت خليقته بكل طبعٍ ثميم غير منتقل
فخُذ مقالَ خبيرٍ قد حوى حكماً إذ صغفها بعد طولِ الخبرِ في عملي
ليس حديثنا تعصباً لعروية، بل هناك من كل الأجناس عباقرة في الطب الإسلامي،
فهناك من إيران وهارس وهناك من أوروبا وهناك الأسمر والأبيض....
وتلك عظمة الإسلام وروعه كدين كوني إنساني عالمي...

ويخصوص من كان لهم باع في الطب ولكنهم لم يلتزموا منهج السنة الشريفة - صلى الله على صاحبها وسلم- في كل كتبهم مثل ابن سينا، فنقول: إن ابن سينا مهما كان من انحراف في معتقده فهو وليد الثقافة الإسلامية والبيئة العلمية التي أنشأها الإسلام، فهو ابن الحضارة الإسلامية والفضل في حاله يرجع بتوفيق الله لتلك الحضارة التي شجعت وأسست الجو العلمي.

والضرر في حال ابن سينا -أو غيره- يرجع لشططه فيما وراء ما سمحت به قيم الإسلام، حين يعمل المرء عقله فيما وراء ما خلق له فيسقط في مهاوي الفلسفة والجدليات..

وقد وردت توبيتهم عن تلك النظرة الفلسفية في مباحث تاريخية وكتب شرعية عدة، والله تعالى أعلم وقد تحدث الكثيرون عنه قديما وحديثا، منهم مباحث للباحث البير زكي اسكندر (من إنجلترا) ودكتور إحسان دوجر وغيرهم.

يجب أن ننظر في تاريخنا المشرق ونستلهم منه المستقبل الأفضل الذي نحن أحق وأجدر به إن شاء الله..

لم يكن أجدادنا مغرورين ولا منغلقي التفكير ولا كسالى ولا بعيدين عن روح القرآن وهديه، بل كانوا قعما في التواضع وآيات في الاستقامة.

ومعلوم أن الأمم تقاس بحضارتها، فبمقدار ما يكون للأمة من يد على الحضارة بمقدار ما يكون لها من عظمة التاريخ. وكل أمة لا حضارة لها لا حضور لها ولا تاريخ.

والفارق الجوهرى بين حضارة الإسلام وغيرها هو أنه مع الرقي المادي كان هناك سمو روحي وقيم إنسانية راقية. وكان لحضارة الإسلام من التفوق في الشأن العقلي والعلمي في كل مناحي الحياة نصيبا لا يدرك، وتقاس خيرية الأمم بقدر عطائها، ومن ناحية العطاء فقد كانت في مرحلة الإلتزام خير أمة أخرجت للناس.

ويجب أن يعرف أبناؤنا أننا كنا أفضل شعوب العالم يوما ما، وأن يدركوا أنه ليس الطب العباسي فقط هو ما نبغ فيه الجدود...

بل إن الهندسة العباسية بلغت شأوا عظيما وشيدت عمارة متقنة وجسورا ضخمة وقلاعاً حصينة.

وأن الرياضيات الإسلامية كان لها عصرها الذهبي وأقيمت إدارات للإحصاء والمواريث والمسح!

وأن علم الفلك الإسلامي ألغى أوهام الكهان وسحريهم وحدد الاتجاهات في كل بقعة للصلاة وللسفر في البحر! ونهضت جغرافيا الخرائط نهضة مذهلة.

كل تلك الأمور في وقت كان العالم فيه متأخرا بمراحل

أَطَفَّ قَتَّ تَهْذِي لِلْجُودِ بِمَا تُرَى	وَقَطَّنَ نَتَّ أَنْتَهْدِي لِـدَرْبِ صُوبِ
فَجَعَلَتْ قَرْبَ الْأَرْضِ دَارَ حَضَارَةِ	وَجَعَلَتْ شَرْقَ الْأَرْضِ لِلْإِرْهَابِ
وَجَعَلَتْ دَرْبَ الظُّلَمِ دَرْبَكَ سَالِكًا	وَجَعَلَتْ دَرْبَ الْعَدْلِ بَحْرَ سَرَابِ
يَا أَيُّهَا الْقَرْبُ الَّذِي عَبْدَ الْهُوَى	رِيًّا ، وَتَاءَ عَلَى رُؤْيِ الْإِعْجَابِ
هَلْ غَرَبَ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَائِنَا	تَحْتَآلُ فِيهِ بِنَاطِحَاتِ سَحَابِ
أَمْ غَرَبَ الْعِلْمُ الَّذِي مَنَّبَعُنَا	عِلْمُ ابْنِ سَيْنَا فِيهِ وَالْفَارَابِ
أَمْ غَرَبَ السَّيْفُ الَّذِي كُنَّا بِهِ	فِي حَدِّهِ لِلْحَقِّ قُصْلَ خَطَابِ
إِنِّي أَنَا الْعَرَبِيُّ وَابْنُ عَقِيدَةِ	لِلْمَصْطَفَى مَنَقَاهُ وَهَابِ
إِنِّي أَنَا الْعَرَبِيُّ مَصْبَاحُ الدُّجَى	نُورِ الْهَدَايَةِ لِلْمُورَى الْمُتَابِ
اللَّهُ رِيِّي ، وَالرَّسُولُ مُحِبَّتِي	وَالْحَقُّ دَرْبِي ، وَالْخِلَالُ ثِيَابِي
إِنَّكَ نَتَّ تَجْهَلُ مَزَّتِي وَكِرَامَتِي	فَلْتَسْأَلِ التَّارِيخَ عَنْ أَلْقَابِي
أَوْكَ نَتَّ تَجْهَلُ فِي النُّزَالِ صِرَامَتِي	فَاسْأَلْ صِلَاحَ الدِّينِ مِنْ إِبْغَضَائِي
أَنَا لَا أُنَامُ مِنَ الْمَهَاةِ وَالْأَذَى	حَتَّى وَإِنْ كُنْتُ يَسْدِي وَرِيَابِي
اللَّهُ أَكْبَرُ طَوَّقُ كَيْدِ شُرُورِكُمْ	شَتَانُ بَيْنِ الْغَنَانِ وَالْمَحْرَابِ
إِصْدَعْ نُبُورَ الْحَقِّ دُونَ جَهَاةِ	فَالنُّصْرَ لِلْإِسْلَامِ يَا مَتَصَابِي

ونهضة أوروبا الحديثة مدينة للحضارة الإسلامية بلا شك، وشتان ما بين العقل الوثني اليوناني والعقل الإسلامي. فالإسلام يفتح لك الملكات ويصونك عن الترهات ويشجع العلم ويرفع قيمته، ويحض على التثنية، ويحارب الأهواء والخرافة، ويستمد شحنات لا متناهية من المدد الإيماني تدفعه للأمام.

والأجداد الأفذاذ لم يعملوا لكي تكون مؤلفاتهم مصدر كسب، بل كتبوا شكلا وموضوعا احتسابا للأجر كالخوارزمي في كتاب الجبر والمقابلة أو إثباتا للغالب من خلال

المخلوق كالجاحظ في كتابه "الحيوان". وخلت مصنفاتهم من الخرافات والأساطير، ولم تخش الحقيقة والنقد، كما كان حال أبناء فلسفة اليونان الخرافية.

ولم يأتف أجدادنا أن ينقلوا عن الأمم الأخرى، فالحكمة ضالة المؤمن، ولا يضره من أي وعاء خرجت. وتلك قيمة عظيمة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم أقر ما علمه إبليس لأبي هريرة رضي الله عنه، ولم ينكره لمجرد أنه من إبليس فهو درس لفهم أن الحق حق في نفسه.

فالعلوم عند المسلمين لم تنطلق من الصفر، إنما بنت على ما وصل إليه أقليدس وجالينوس، وأبقراط، وبطليموس، وأفلاطون، وأرسطو، والأفلاطونية المحدثة وحاكمات ما تركوه.

ولننظر مثلاً تعريف الطب:

قال ابن خلدون "هو علم ينظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، لحفظ الصحة عليه أو لشفائه من المرض بالأدوية والأغذية" فلم يمزجه ابن خلدون بالفلسفة والأساطير كما ورثه عن اليونان وغيرهم.

بل بين العباقرة كالرازي أن الطب هو ضروري في المدن أكثر منه في البادية، لأن أصل الأمراض الأغذية الفليضة، ثم الأهوية الفاسدة من تزاحم الناس في المدن وتزاحم فضلاتهم، ثم قلة الرياضة.. وهو عين ما نقوله الآن.

فكان طبناً متفوقاً صائباً، خلافاً لجنوح الطب في شتى الحضارات وخلطه بأمور أخرى. أما الطب الهندي - مثلاً - فقد اتجه نحو الجانب النفسي الروحاني إلى جانب المزاجي الطبيعي، فابتكر اليوجا.

أما الطب الإسلامي فلم يهمل المادة ولم يركز على النفس، فلم يكن ما فعله الأجداد نقلاً آلياً عن سابقين، بل أخذوا ثم تنقيحاً ونقداً وتحقيقاً وتجربة، ثم إضافة وتطويراً وإبداعاً.

ومما اثنيت إلا بعد علمكم وكم من جاهل أثنى فعابا
وليس بهامر بنيان قسوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
أو تلك أمة ضربوا المصالي بمشرقها ومغربها قبابا

وقد رأينا كم اكتشف العرب عند اليونان من أخطاء طبية، ثم كيف أصلحوها، ما بين خطأ في فهم تركيب الجسم ووظيفته، إلى خطأ في فهم المرض ثم العلاج وطرقه.

وطريقة التشخيص الطبي عند العرب لا تختلف كثيراً عما هو عليه التشخيص الطبي هذا العصر. لقد كان التشخيص العربي للمريض عملياً وسرياً، وكان يمتد على مراقبة النفس وجس النبض، ومتابعة الحرارة، وصفات عينة البول من ترسبات ولون.

ومن المناسب أن نتذكر أن الطبيب علي بن العباس المجوسي قد أبطل قول أبقراط بأن الطفل في رحم الأم يتحرك بنفسه تلقائياً ويخرج بواسطة هذه الحركة من الرحم، وقال علي بن العباس بحركة الرحم التي تدفع بالطفل إلى الخروج بواسطة انقباض عضلات هذا الرحم، والطب الحديث يذهب هذا المذهب بالطبع. ولم تكن تلك هي البصمة الوحيدة التي أضافها العباقرة العرب فهناك أيضاً اكتشافات طبية كثيرة:

- 1- استخدام التخدير بالافيون وغيره لتخفيف آلام العمليات الجراحية.
- 2- استعمال الكاويات لوقف النزيف.
- 3- اكتشاف أعراض السل (الدرن) في لون الأظافر وشكلها.
- 4- وصف علاج ناجع للصفراء
- 5- معالجة النزيف الدموي بالماء البارد الذي يحدث انقباضاً بالأوعية ويتوقف بواسطته سيلان الدم.
- 6- إصلاح خلل أقواس الأسنان.
- 7- اكتشاف أن البواسير ناتجة عن الإمساك كسبب رئيس، ووصف نظام غذائي لها.
- 8- اكتشاف بعض الأمراض السارية أو التي تنشأ بالعدوى، حيث اكتشف ابن سينا أن السل الرئوي تتمرب عدواه إما بواسطة الماء أو التراب.
- 9- اكتشاف ابن سينا الدودة المستديرة ووصف الدودة الخيطية وأعراض الإصابة بها.
- 10- بين ابن سينا أعراض داء الفيل الفياري.
- 11- اكتشاف بعض الأمراض الوراثية على يد الرازي.
- 12- وصف مسبب الجرب (حشرة مرض الجرب) على يد الطبري في كتابه "المعالملة الأبقراطية".
- 13- عرف العرب التغذية الفهوية الصناعية بواسطة الأنابيب المعدنية المصنعة من الفضة.

14- تطوير علم الأمراض النفسية: فالطبيب ابن عمران وضع كتاب [المانخوليا] واصفا الداء والدواء. والرازي تحدث عن العلاج النفسي والحالة المزاجية والعلاج بالإيحاء ومما قال "على الطبيب أن يوهم مريضه بالصحة ويرجيه بها"

15- فرق ابن سينا بين حصاة الكلية وحصاة المثانة.

16- التعرف على الأورام الخبيثة وأن سبيلها هو الجراحة

17- تطوير طب العيون وجراحاتها: حيث أجاد ابن الهيثم في وصف العين وتحديد وظائفها بدقة علمية لم يسبق إليها. ونجح الزهراوي في إخراج الماء الأزرق من العين بعملية جراحية، وألف في طب العين كتاب "نور العين".

18- التشريح والجراحة: ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، وللزهراوي كتاب طبي شهير "التصريف لمن عجز عن التأليف" وفيه بسط لكل ما عرف عن الجراحة إلى عهده، وقد تضمن رسوماً لبعض الآلات الجراحية، ومن الآلات التي وصفها الزهراوي ورسمها:

- مبضع قصير نصله مستدير لشق الأورام والتجمعات الصديدية والخراج.
- مبضع معقوف الطرف أحد أطرافه حاد والطرف الآخر غير حاد يشق به على البواسير.
- جفت لإخراج المواد الغريبة المساقطة في الأذن.
- جفت وله حابس لوقف النزيف.
- سنارة لثني الجلد أثناء الجراحة.
- خافض اللسان لعمليات استئصال اللوزتين.
- مكعب لجفن العين للرمد الحبيبي.
- إبرة مستقيمة لخيطة الجروح.
- إبرة مستديرة لخيطة الجروح.

* علي بن عباس المجوسي وصف عملية الشق لاستخراج الحصاة.

* الرازي وصف استئصال الأورام.

توجد ذخيرة رائعة في الكتب الطبية من عصر ازدهار الحضارة الإسلامية، بها وصف العديد من الآلات الجراحية التي ابتكروها مثل:

أ - كلاب: آلة لخلع الأسنان.

ب - جفت: آلة تستعمل لاستخراج العظم المكسور في الفك والأنف والفم.

ج - المروء: يستعمل لوضع الأدوية على الجروح.

د - الصنارة: تستخدم في استخراج الأجسام الدقيقة والأشواك.

هـ - الأنابيب: للتغذية وأفضلها من الفضة.

و - يبرم: لتقويم العظم.

فتذوقوا طعم الحياة وأدركوا ما في الجهالة من أذى وتباب

العلم في البأساء منزلة رحمة والجهل في النعماء سوط عذاب

ولعل ورد العلم ما لم يرهه ساق من الأخلاق ورد سراب

التقنية وصناعة الحيل النافعة الطبية في كتب الجراحة

قد قرأت فصلاً حسناً بقلم الدكتور سامي خلف حمارنة، يتحدث فيه عن عباقرة مثل: أبي الفرج بن موفق الدين يعقوب بن إسحاق بن الكركي الملكي، والذي ساهم في إحياء وتقديم المهن الصحية. وهو مؤلف كتاب: جامع الفرض في حفظ الصحة ودفع المرض، هو أول كتاب من نوعه يبحث في أحوال الصحة العامة والخاصة والوقاية من الأمراض في منهج واضح وأسلوب علمي رصين.

وله بعد ذلك كتاب العمدة (تم تأليفه عام 681 هـ) في الجراحة. يذكر فيه مثلاً الأخطاء الشائعة بسبب عدم معرفة ممارسة المهنة بإتقان وعدم تمييز الأمراض وأسبابها وأعراضها وتركيب الأدوية والأغذية اللازمة للشفاء، وكيف اعتذر آخرون بأنه ليس لديهم كتاب جامع نافع يمكن الرجوع إليه في هذه الصنعة. لذلك كان منهم من أكثر السؤال بلزوم تأليف مثل هذا التصنيف الشامل ليشرح حدود الجراحة وأصول الأمور الطبية والأورام وحدوثها وتقاسيمها وعلاماتها والمفردات البسيطة والمركبة وماهياتها ومعالجة الأمراض فاستجاب لهذا الطلب في عشرين مقالة!

ووضح أنه يشترط في الممارس أن يكون عارفاً بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها وما يجاورها وكيف يحفظ المبيض نقياً من الصدأ والنمش!

المستشفيات

فقد أنشأ العرب مستشفى مجهزاً تجهيزاً كافياً قبل أن يقوم مثله في العالم الغربي بمئات السنين.

وتأمل حين بنى المستشفى الكبير في القاهرة والذي ضم عدة أبنية وحدائق فسيحة! فليس غرظاً ضيقة ولا مجالا متهاكاً عليه سيماء المرض، وقد سميت المستشفيات في ذلك الوقت "بالبيمارستان" وهي كلمة تتكون من جزئين "بيمار" معناها مريض و"ستان" ومعناها منزل أو منشأة وقد اختصرت فيما بعد إلى "ماريستان" ومن أشهرها:

1. بيمارستان العتيق أنشئ عام 1172 م وقد أسسه صلاح الدين الأيوبي. وكانت لعلاج المرضى وبها قسم لتأهيل المعاقين أيضا وهو قسم بدأه أجدادنا.

2. بيمارستان قلاوون الذي أسسه السلطان المملوكي المنصور قلاوون عام 1283 م وكان مقسماً لأقسام. وكان ملحقا به كلية للطب تدرس نظريا وعمليا

يا قوم ما لي أراكم قطنتم الجهل داراً
أضمتهم مجد قوم شادوا الحياة فخاراً
أبقوا سماء المعالي بما أضواء مناراً

ووصفه د. خالد محمد عزب من مصر بأنه واحدة من أعظم مدارس الطب في العالم الإسلامي، وكان به نبهاء فطناء غيروا مجرى التاريخ، مثل داود الأنطاكي، حيث نفع بعلم وانتفع بخبرة واكتسب شهرة واسعة.

وقد أسس على يد السلطان المنصور قلاوون، ويذكر النويري أن السلطان قد رتب بالبيمارستان من الحكماء على مختلف تخصصاته من طبائعيين وكحاليين وجراحية ومجبرين لمعالجة أمراض الرجال، والفراشين والفراشات لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام.

كما جهز البيمارستان بما يحتاج إليه من السرر والفرش والمخدات واللحف والملاءات حتى يكون لكل مريض فرش كامل.

وبه قسم لمرضى الحميات، وقاعة للرمد والثانية للجرحى والثالثة لمن أضرط به الإسهال والرابعة للنساء.

وملحقات شملت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين (الصيدلية ومصنع الأدوية) وتركيب الأكحال والمراهم والأدهان وتركيب الترياقات..

هناكى النفس لمن يعقل خير ممن هنى المال

وقضيل الناس في الأنفس ليس الفضيل في الحال

وفي العصر العباسي وجه العرب الكثير من عنايتهم للمستشفيات فأنشأوها وطوروها .

كان المسلمون يختارون موقع المستشفى بعد الدرس والبحث (وهو عين ما نفعله الآن). وجاء في كتاب طبقات الأطباء أن عضد الدولة إستشار الرازي ليختار له مكاناً لبناء مستشفى يحمل اسمه، فطلب الرازي أن علق في كل ناحية قطعة من اللحم من أنحاء بغداد فأصاب العفن بعضها قبل الآخر، فأتاهم بيمارستانه في الموضع الذي أبطل فيه سير العفن أكثر من غيره، وبذلك تحقق له المكان الصحي المناسب لبيمارستانه .

المستشفيات عند العرب

الخاص كمستشفيات العيون والأمراض العقلية.

والشامل لجميع الأمراض.

ومنها الثابت والمتنقل الموجه للسجون ومناطق الحروب حيث كانت تنقل على الدواب بمستلزماتها وخزائن العلاج. وأولها كان في عهد الوزير على الجراح وزير الخليفة المقتدر بنصيح الطبيب ابن الطبيب (سنان بن ثابت بن قرة).

وإن المجدد في الدنيا رحيق إذا طال الزمان عليه طابا

أولئك أمة ضربوا المعالي بمشرقها ومغربها قبابا

نبتة عن بعض أشهر المشايخ في التاريخ العربي والإسلامي

1- المستشفى الذي بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك

وهو أول مستشفى ثابت أنشئ في الدولة الإسلامية، ولكن لم يصل أي علم أو إشارة عن المكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان، لذلك فإن هناك جدلا تاريخيا حول هذا البيمارستان، وحقيقة وجوده من عدمه.

2- المستشفى العضدي (بغداد - العراق):

أنشأه عضد الدولة بن بويه (البويهبي) 338-372هـ، 949-983م على طرف الجسر الغربي من مدينة بغداد، وفرغ من بنائه عام 368هـ، 978م وكان يضم 24 طبيبا وأشهر من قام بالتدريس به أبو الفرج الطيب ت 435هـ، 1043م الذي كان معاصرا لابن سينا، كما يجب أن نذكر أمين الدولة ابن التلميذ، والذي انتهت إليه رئاسة صناعة الطب في بغداد وبقي (ساعورا) للبيمارستان العضدي حتى وفاته 560هـ، 1164م.

3- المستشفى المنصوري (دمشق - الشام):

بناه السلطان نورالدين محمود بن زنكي عام 549هـ، 1154م، من المال الذي حصل عليه كفدية من بعض ملوك الفرنج الذين أسرهم أثناء الحروب الصليبية، قال عنه المؤرخون انه لم يكن له نظير في العالم في ذلك الوقت، يذكر انه بين سنتي 545 و906هـ، 1150 و1500م، بنيت ستة بيمارستانات كان اثنان منهما لنور الدين زنكي بدء العمل بهما أثناء زيارة ابن جبير 580هـ، 1184م، أحدهما هو البيمارستان النوري، وظل هذا

المستشفى يعمل حتى عام 1899م، حيث كان أطباءه وصيادلته لا يقلون عن العشرين، ويعرف حاليا باسم المستشفى الوطني بعد تسميته أيضا بمستشفى الغرياء، ومن أهم أطبائه مهذب الدين النقاش وموفق الدين بن المطران الذي خدم صلاح الدين الأيوبي، واسلم على يده وغيرهم، يقول ابن جبير عند زيارته للقاهرة ذاكراً صيدلية هذا الليمارستان: (... وعين له قيماً من أهل المعرفة ووضع لديه خزائن العقاقير، ومكثه من استعمال الاشربة وأقامتها على اختلاف أنواعها)

4- المستشفى المنصوري (القاهرة - مصر):

بناه الملك المنصور قلاوون الصالح الشهير بالألفي عام 693هـ، 1283م، وذلك لما شاهد الليمارستان النوري عندما أصيب بمغص كلوي هنذر ببناء بيمارستان يفوقه ان ولاد الله الملك، ووفى بنذره وشيّد أعظم مستشفى في العالم في القرون الوسطى وقد ألحقت به مكتبة وقاعة للمحاضرات وصيدلية وخزانة للعقاقير، أما أطباؤه فهم كثر لطول الفترة الزمنية التي عمل بها المشفى ومنهم: أحمد بن يوسف الصفدي والشيخ ركن الدين التونسي.

وقد أوضح الدكتور الفاضل حسان شمسي باشا في مقالة طيبة أنه في الوقت الذي كانت فيه المشاية تشاد في كل مدينة من المدن الإسلامية، كانت أوروبا تفرق في ظلام الجهل والتخلف.

وكان من أشهر المشاية في أوروبا في القرون الوسطى مستشفى "أوتيل ديو" في باريس. وقد جاء ذكره في كتاب ألفه "ماكس نوردو" قال فيه عن هذا المستشفى:

"كان يستلقي في الفراش الواحد أربعة مرضى أو خمسة أو ستة. فترى قدمي الواحد في جانب رأس الآخر. وكان الأطفال الصغار إلى جانب الشيوخ الشيب.

حقاً إن هذا لا يصدق، ولكنه الحقيقة والواقع. كانت المرأة تثن من مخالب المخاض إلى جانب رضيع يتلوى من التشنجات، ورجل يحترق في هذيان الحمى إلى جانب مسلول يسعل سعلته الجارحة، ومصاب بإحدى الأمراض الجلدية يمزق جلده الأجرب بأظفاره الثائرة.

كانت رائحة الهواء في قاعات المرضى فاسدة حتى أن الزوار ما كانوا يجروُن على دخولها إلا بعد أن يضعوا على وجوههم إسفنجة مبللة خلا. وبقى جثث الموتى أربعة وعشرين ساعة في الفراش. وقد وصفه في القرن الثامن عشر بالي ويتون ولافوازيه في

تقريرهم وصفاً تقشعر منه الأبدان، إذ رأوا الموتى جنباً إلى جنب مع الأحياء، كما رأوا الناقهين مختلطين في غرفة واحدة مع المحتضرين، وكانت غرفة العمليات حيث الشق والقطع والبتر تأوي الذين تعمل لهم العمليات في الغد، فكانت تعمل في وسط الغرفة نفسها، وكان المريض يرى أمامه تحضيرات العذاب ويسمع صراخ المذبذب، فإن كان ممن ينتظر دوره في الغد كانت أمامه صورة أوجاعه المقبلة. وإن كان ممن مر بهذا الجحيم كان أمامه منظر يذكره بالأوجاع التي قاساها".

ولم تعمل يد التحسين في هذا المستشفى الذي أنشئ عام 660 م إلا بعد الثورة الفرنسية عام 1789 م.

هكذا كانت حال أحد أشهر مشافي أوروبا في العصور الوسطى كما يصفها الدكتور أحمد شوكت الشطي، فماذا كانت حالة مستشفياتنا التي كان يطلق عليها البيمارستانات؟

يقول المؤرخون إن المشافي العربية والإسلامية كانت تركز للرعاية والوضيعة، والملك والمملوك، والجندي والأمير. وكان الخلفاء والأمراء والسلاطين وذوو الجاه يتبارون في بناء المشافي حتى أصبح في كل مدينة من المدن الكبرى في الإمبراطورية العربية الإسلامية مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى. وكان البيمارستان مؤسسة حكومية يقوم بنفقاتها أحد الخلفاء أو الأمراء.

كان المرضى يفحصون في المستشفى فيعطى من لا يحتاج إلى الاستشفاء فيه وصفة تحضر في صيدلية المستشفى. أما المرضى الذين يحتاجون إلى دخول المستشفى، فتدون أسمائهم لقبولهم، ثم يستعملون ويبقون في المستشفى حتى الشفاء التام، وعلامته أكل رغيف من الخبز وفروج كامل!! وعندما يخرجونهم يعطونهم ثوباً مع كمية من الدراهم لتقوم بنفقاتهم الضرورية خارج المستشفى.

وكان الناس يتماثلون رغبة منهم في الدخول إلى المستشفى والتعقيم بما فيه. وكان الأطباء يفضون الطرف أحياناً عن هذا التحايل.

قال خليل بن شاهين الظاهري في كتاب النجوم الزاهرة بعد أن زار دمشق:

"وبها بيمارستان لم ير مثله في الدنيا، وعندما دخلت دمشق سنة 831 هـ كان بصحبتى رجل أعجمي من أهل الفضل والذوق، فلما دخل البيمارستان تمارض وأقام به ثلاثة أيام ورئيس الأطباء يتردد إليه، فلما فحصه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة والفواكه والحلوى. وبعد ثلاثة أيام كتب له الطبيب كلمة جاء فيها:

إن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام، وهذا يوحى بأنه أدرك أنه متمارض، ومع ذلك فقد عامله كأحد الضيوف.

وكان لكل مستشفى عام أروقة خاصة للذكور والإناث. وخصصت فيها شعب للحمى والإسهالات والجراحة والتجبير والإصابات العينية وغيرها. وألحق بأكثر المستشفيات حمام عام.

ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز، ومجهزة بالأدوية والشرابات والمقاهير المختلفة.

وجيز كل مستشفى بمكتبة تضم المفيد من مخطوط أبقراط وجالينوس وأطباء المسلمين، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولة الصباح على المرضى.

وكان للمستشفيات أوقاف تعولها، وكانت الإدارة الطبية يرعاها الطبيب الأول يعاونه رؤساء مختلف الشعب، ويعاون هؤلاء معاونوهم وتلاميذهم.

أما المجازم: فقد خصصت لعلاج المجذومين، وأول مؤسسة عرفت في بلاد العرب هي مجذمة الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة 88 هـ، ثم تعددت المجازم بعد ذلك.

وتعد المجازم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية، وكان الدخول إليها غير تابع لقيد أو شرط، بينما كانت المجازم في الغرب مخصصة لفئة من الناس. وكان على المقبول فيها أن يدفع رسماً باهظاً وإن يصطحب معه ما يحتاج إليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب.

وأما بيمارستانات الأمراض العقلية فقد تأسست في زمن الأمويين للعناية بالذين أصابهم مس أو اعتراهم ضعف عقلي. فقد كان المسلمون يعتبرون المعتوهين معدمين وعالة على إحسان الدولة، لأن إصابتهم بقضاء من الله وقدره.

ولقد جاء في صك الأوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق بحلب أن كل مجنون يخص بخادمين هينزعان عنه ثيابه كل صباح، ويحمانه بالماء البارد، ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة، ويسمعانه قراءة القرآن يقرأه رجل حسن الصوت، ثم يفسحانه في الهواء الطلق.

أما في أوروبا، فكان المجانين يحرمون من دخول المستشفيات، وكانوا يقيدون بالسلاسل في بيوت الجنون، تلك البيوت التي كانت شراً من المسجون، فيبقون فيها حتى ينتهي أجلهم!

فهل أتاك بعد هذا كله أن الغرب سبق حضارتنا بقرون حين اهتموا إلى المستشفيات؟

ولعلنا في الختام نذكر كلمة رينان التي يقول فيها :
 « ما دخلت مسجدا قط إلا اعتراني خشوع يمازجه أسف على أنني لم أكن مسلماً »
 فيتمنى أن يكون مسلماً من ذلك الطراز: طراز نور الدين وصلاح الدين.
 انتهى ما نقله وخطه د. حسان مختصراً.

وما أثنيت إلا بمسءلهم وكم من جاهل أثنى فعابا
 وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
 أولئك أمة ضربوا المعالي بمشرقةا ومغربةا قبابا
 والحقيقة الثابتة أن الطب الإسلامي كان مصدراً للطب الأوروبي منذ القرن الحادي
 عشر حتى السادس عشر، وجامعة باريس تزدان جدرانها بصورتى العالمين الطبيين: ابن
 سينا والرازي!

الصيدلة العربية

المسلمون هم مؤسسو الصيدلة الحديثة، فلم تعد تجارة للعقاقير، بل صارت علم تحضير الأدوية، وإدارة لإقامة الرقابة على الصيدليات والصيدلة، ومدارس خاصة للتعليم، وقد حضر الصيدلة العرب الدواء المسمى الترياق المؤلف من عشرات الأدوية لمقاومة السموم.

وغلف المسلمون بعض الأدوية التي كانت تؤخذ بواسطة البلع، لتحاشي طعمها الكريه وكان ابن سينا رائداً في تلك النقطة.

وقد اشتملت المراجع الإسلامية على مئات الأصناف من العقاقير، دخلت كلها في علم النبات والصيدلة الحديثين، والأسماء العربية لا تزال هي عند الغرب مثل الكافور والمسك...

من علماء الصيدلة المسلمين:

ابن واقد الأندلسي الفافقي الإدريسي القرطبي أبو المنصور الصوري نسبة إلى صور أحمد بن البيطار.

ابن البيطار: توفي 1245 م وهو من أشهر الصيادلة العرب. كان ينتقل في البلاد يجمع ما سمعه أن يجمع من أصناف النبات والحشائش الطبية لدراستها.

ألف موسوعته الجامع لمفردات الأغذية والأدوية. وهي مرتبة على حروف الهجاء، يذكر الدواء ومنافعه وطرق استعماله. أورد أكثر من ألف وأربعمائة عقار. وترجم الكتاب إلى لغات ثلاث هي الألمانية، واللاتينية، والفرنسية.

أبو المنصور الصوري: لقبه الصوري نسبة إلى مدينة صور. كان يسافر لدراسة الأعشاب وتتبع شكلها وخواصها، وكان دقيقاً وتخصصياً حتى إنه كان يصطبغ معه مصوراً لتصوير النباتات في مختلف مراحل نموها ! وكان يسجل لون العشب ووصف شكله ثم منافعه في حال كونه برعماً أو ناضجاً.

متلطف في التصح غير مجادل والنصح اضيع ما يكون جدالاً

من عادة الإسلام يرفع عاملاً ويسود المقام والفعلا

ظلمته السنّة تؤاخذ به بكم وظلمتموه مفرطين، كمسالى

ولكي ترى مدى الفارق الشاسع والبون العظيم قارن بين الحالين:

أوروبا في العصور المظلمة _عصور الفتن والحروب والأوبئة، حيث لم تعرف أوروبا النظام الصحي، وأهملت كتب أبو قراط وجالينوس" 824 - وظهرت كتب الدجل، حتى ورد أن الامبراطور شارلمان" 688لم يأمر بتعليم الطب للشبان إلا في أواخر أيام حياته عندما أحس بشيخوخته _ ودار الخلافة وهي تبني أرقى المستشفيات وكلّيات الطب والصيدلة...

استحداث التخصصات في الطب بعد أن كان شيئاً واحداً.....

(أ) طب العيون: وقد اختص به ممارسة وتأليفًا جماعة منهم أبو القاسم عمار بن علي الموصلي الذي ألف بمصر في زمن الحاكم أي بين 386 هـ / 996 م و 411 هـ / 1021 م كتاب المنتخب في علاج العين.

وعلي بن عيسى الكحال (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) مؤلف كتاب تذكرة الكحالين.

ومحمد بن قسوم الفاقي (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) مؤلف كتاب المرشد في الكحل.

وصلاح الدين بن يوسف الكحال (ت . بعد 696 هـ / 1298 م) مؤلف كتاب نور العيون وجامع الفنون.

(ب) الجراحة: وقد خصها الزهراوي بالمقالة الثلاثين من كتاب التصريف، فكانت لهذه المقالة الشهرة والإنتشار أكثر من باقي الكتاب كله. وهذه المقالة هي المظهرة في الحقيقة لقيمة الزهراوي والدالة على غلبة الإختصاص في الجراحة عليه.

(ج) طب الأطفال: وقد خصه ابن الجزار بكتاب مستقل هو سياسة الصبيان وتدريبهم.

(هـ) طب المسنين: وقد خصه ابن الجزار بكتاب مستقل أيضا هو طب المشايخ وحفظ صحتهم.

وعن طب الأطفال في تاريخنا الإسلامي يتبين للمنصف أن اختصاص طب الأطفال لم يكن صنعة الغرب كما يسوق البعض لتلك الفكرة، بل تنبه العباقرة من قومنا لخصوصية أمراض الأطفال عن أمراض الكبار.

وقد أضاف الباحثون في التاريخ بالدليل الملموس أن أول كتاب ألف في تخصص طب الأطفال هو كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم لأحمد بن محمد بن يحيى البلدي المتوفى عام 368 هـ يعني من أكثر من ألف سنة بفضل الله تعالى.

كذلك وضع "الرازي" رسالة خاصة في مرضى الحصبة والجذري وهما يخصصان الأطفال أكثر من غيرهم.

بل حتى إن عبارتنا سبقوا في عمل مؤلفات تعنى بتخصصات دقيقة داخل طب الأطفال كما هو الآن فهناك تخصص حديثي الولادة والتغذية. فقد ألف أحدهم كتابا عن المولودين لسبعة أشهر وأصول تربيتهم. ومنهم من بحث في شروط المرضعة وأصناف الحليب، وفي علل الأطفال ووسائل معالجتهم.

ومن أبرز من تخصصوا في طب الأطفال "أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه"، الذي ألف رسالة في هذا التخصص هي "رسالة في أوجاع الأطفال". وقال الفاضل د. خالد عزب - وهو باحث فاضل في علم التاريخ- أنه لم تصل إلينا ترجمة لهذا الطبيب الحاذق، وكل ما وصل إلينا عنه أنه توفّي في عام 410 هجرية. أما رسالته الموجودة في مخطوط نادر ففيها يسلك "ابن مندويه" المسلك العقلي المرتب فيعرف كل مرض باسمه، ثم يوضح أعراضه ويعدّها طرق علاجه....

وهو الأسلوب المعتمد حتى الساعة في تأليف الكتب الطبية. وفي كتابه يشدد على ضرورة تسجيل الحالات الطبية النادرة للاستفادة منها.. فهو يكتب في جو علمي رائع جدا، وحب للبحث ولنفع الغير، وترك الخير لمن سيأتي من بعد، وروح التشوف يادية عليه.

ونبه "ابن مندويه" في مخطوطته إلى سابقة في العلاج الطبي، وهي استعمال الشرج لإعطاء الأدوية. وهذه إحدى الطرق التي لا زالت فعالة حتى اليوم، مثل التحاميل (الأقماع.. اللبوس) والحقن الشرجية أحيانا.

ومن الملفت للنظر ما جاء في الرسالة حول "السرة" وقطعها، فهو يقول: "إذا ولد الطفل فينبغي أن نقطع سرته أربعة أصابع، وتطويف المنخرين والضم والأذنين" ونحن نعرف أهمية تلك الأمور لأنه يكون بها بعض السائل المتجمع حول الولد في الرحم وأثناء خروجه من المهبل.

والرائع أنه ينصح باستعمال إصبع مقلبة الظفر حيث إن ذلك لا يؤدي إلى جروح الفم التي تحدث عرضيا، وهو بذلك رائد في التنبيه لتلك الأمور التي يمتحن فيها الآن طلبة التمريض والطب.

ثم ينصح بربط المصرة بصوف نقي وهو بالفعل أمر يمنع الإلتهابات والجراثيم التي تدخل من جرح السرة. ولا ينسى الطبيب الأريب أن ينصح بأن الطفل يجب أن يدهأ جيداً، حيث إنه وليد جديد ولا قدرة له

على تحمل البرد، وهذا ما نمارسه في الأقسام الخاصة بحديثي الولادة من تدفئة في حضانات وأسرة ضوئية ولمبات خاصة ومكيفات دافئة.

سبحان من لو سجدنا بالجباء على حرارة الجمر والمحوى من الإبر
لم نبلغ العشر من مقدار نعمته ولا العشير ولا عشرا من العشر

تلك هي روعة الحضارة وذلك سموها... الحضارة التي أنشأت الصيدليات ومعامل الكيمياء بالمئات في قرطبة وبيداد والقاهرة وشتى الأمصار.

وظهرت فيه الموسوعات قبل ظهورها في الغرب بأربعمائة سنة، فكانت الموسوعة عبارة عن أبحاث علمية تغطي جميع المعارف في ذلك العصر وتشمل الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية والتوحيد.

وأفضلها للنويري الذي عاش في القرن الثالث عشر.. والمؤلف الآخر هو ابن فضل الله العمري وللقشندري موسوعة أخرى طبعت في القاهرة وكانت تضم 14 مجلداً.

كما فعل الصفدي الذي عاش في القرن الرابع عشر ومثلها المعاجم، وقبله ابن القفطي له موسوعة ضخمة سميت "طبقات اللغويين والنحاة".

ومثلها طبقات الأطباء الذي نتعرض له في كتابنا ذلك... فامة وصل التطور بها وكثرة العلماء أن تكتب مرجعا في أسمائهم وتاريخهم في فن واحد لهي في قمة المجد..

وبدأت جامعة بولونا في إيطاليا، تدرس كتاب القانون في الطب لابن سينا وتضعه ركيزة منهجها ومثلها جامعة باريس..

من عاش في الدنيا ولم يستفد خيراً بها فعمره عدم

اليوم يجزون بأعمالهم كل امرئ يحصد ما قد زرع

وسبقت أمتنا العالم بتفصيل اللوائح والنصوص التي تحدد أهمية الخبرة، وتحمل الطبيب نتيجة الخطأ الفاحش أو الإهمال أو الجهل...

وتحدد كيف يكون الترخيص للطبيب.. فالقاعدة الموروثة من تطيب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن.

الترخيص بمزاولة الطب

قام الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 319 هـ بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه الطبيب ستان بن ثابت بن قره فسبق الخليفة بذلك سائر الأمصار. ولقد كان أمين الدولة هبة الله بن التلميز عميداً لأطباء بغداد يتولى امتحان الأطباء في العراق.

الآداب الطبية:

حافظ أطباء الحضارة الإسلامية العربية على تعاليم أشمل وأفضل مما سطره أبقرات في ميثاقه ويد كتابه الطب.

فأحكام وآداب الشريعة الإسلامية على الطبيب المسلم أن يلم بها وأن يحترمها في مزاويلته المهنة، وعلى الطبيب أياً كان تخصصه أن يراعيها لدى فحصه المسلمين والمسلمات.

1- أن يبدأ المعاينة والوصفة وتطبيق المعالجات والمداخلات الجراحية ووسائل التشخيص المخبري والشعاعي بقول "بسم الله" أو "بسم الله الرحمن الرحيم" وذلك قبل كشف العورة إذا اضطر للكشف.

2- أن لا يكشف من العورة إلا بقدر ما تستدعيه المعاينة لأن الضرورات تقدر بقدرها.

3- أن لا يصف دواء من المحرمات لغير ضرورة، والمحرمات في الإسلام ذات أضرار على صحة الإنسان البدنية أو النفسية أو الاعتقادية.

ومن المعلوم أن الطبيب يفضل اللجوء إلى الدواء الخالي من التأثيرات الجانبية إلا عند الضرورة حيث يفقد الدواء الأمل ويكون ضرر المرض أشد من ضرر الدواء ذي التأثيرات الجانبية فيعطي هذا مع المراقبة والحذر.

4- أن لا ينهي حياة مريض ميؤوس من شفائه متعذب من آلامه بأي واسطة، بل يساعده في تخفيف آلامه وتهذئة نفسه حتى يأتي أجله المحتوم.

5- أن لا يقوم بتعقيم نهائي لغير ضرورة صحية ميؤوس من زوالها.

6- أن يستند إلى معارفه الطبية وإلى وضع المريض الصحي العام وإلى فن المداواة وإلى تقوى الله في فتواه للمريض بالفطر في شهر رمضان. فهناك أمراض تستفيد من الصيام، وهناك أمراض لا تتأثر منه، وهناك أمراض تستدعي الإفطار.

7- أن تراعى تعاليم الإسلام في فحص الجنس للجنس الآخر كما هو موضح فيما يلي من بيان:

ومن الواجب وجود ثالث عند فحص الطبيب للنساء (وبالعكس) تجنباً للخلوة بهن. ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخير المتطوعة للتمريض في الغزوة بين أن تكون في رفقة نساء قومها أو عشيرتها وبين أن تكون في رفقة أم المؤمنين التي وقعت القرعة على خروجها معه عليه الصلاة والسلام على أنه في الحالات الاسعافية يجوز للجنس معالجة الجنس الآخر بغض النظر عن وجود ثالث فإن الضرورات تبيح المحظورات.

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

وهناك أيضاً مبادرات رائعة أخرى تشبه مبادرة الرازي في الحديث عن الأطباء وواجباتهم المهنية وأخلاق المهنة.. و"أدب الطبيب".

فأبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاج العبدري، المتوفى سنة 737 هـ 1336 م بالقاهرة، كتب كتابه الذي جمع فيه نصائحه ودعوته، وهو كتاب "المدخل"، ويشتمل على تفاصيل غاية في الروعة.

وفي نص المدخل أن يكون الطبيب خالص النية في عمله لله تعالى، حتى يكون عمله من أعظم العبادات لا يريد عليه عوضاً من الدنيا، وأن قصده امتثال السنة المطهرة في التطبيب وكشف الكرب عن إخوانه المسلمين ومشاركتهم في مصائبهم والتوازل التي تنزل بهم كما ينوي الشفقة عليهم.

وهنا الإخلاص والחסن والضمير والرقابة الشخصية.. "أما عند مباشرته لمريضه فيتعين عليه أن يؤنسه ببشاشة وطلاقة وجه ويهون عليه ما هو فيه من المرض اقتداء بالسنة المطهرة. وينبغي للطبيب أن يكون آمناً على أسرار المريض فلا يطلع إذا علم أن المريض لم يأذن له في ذلك إلا بقصد استجلاب خواطر الإخوان أو من يتبرك بدعائه".

"ومن أكد ما على الطبيب حين جلوسه عند المريض أن يتأنى عليه بعد سؤاله حتى يخبره المريض بحاله، ويعيد عليه السؤال لأن المريض ربما تعذر عليه الإخبار بحاله لجهله به أو تأثره بقوة ألمه".

ويتنقد المؤلف بعض الممارسات الطبية في زمنه من عدم أخذهم بهذا السلوك فيقول "فهم لا يمهلون المريض حتى يفرغ من ذكر حاله بل عندما يشرع في ذلك فإن الطبيب يجيب أو يكتب والحال أن المريض لم يفرغ من ذكر حاله. ويزعم بعضهم أن ذلك من قوة المعرفة والحدق وكثرة الدراية بالصناعة، فالمجلة لغير الطبيب قبيحة لمخالفتها لأداب السنة المطهرة فكيف بها في حالات الطبيب.

فيتعين على الطبيب أن يسمع كلام المريض إلى آخره فلعل آخره ينقض أوله أو بعضه ولربما يفلط المريض في ذكر حاله أو يعجز عن التعبير عنه، فإذا تأنى الطبيب وأعاد عليه السؤال برفق أمن من الفلط فإن الفلط في هذا خطر لأن أصل الطب والمقصود منه هو معرفة المرض فإذا عرف سلمت مداواته غالباً.

ويتعين على الطبيب إن كان لا يعرف المرض أو كان عارف بدوائه أن لا يكتب شيئاً من الأدوية لما في ذلك من إضاعة للمال.

وينبغي للطبيب أن لا يقتصر على سؤال المريض وحده بل يسأل من يخدم المريض إذ ربما يعرف عن المريض أكثر مما يعرفه هو - وهو وخاصة في الأمراض النفسية وكبار السن ما نفعله نحن والأطفال وهو سبق منه - وينبغي للطبيب أن يعرف حال المريض في حال صحته في مزاجه ومرياه وأقلية وما اعتاده من الأطعمة والأدوية سواء بالسؤال من المريض أو ممن يولّد به. وإذا تعذر عليه ذلك فليسأل عن والدي المريض وبطبيعته بمقتضى حالهما.

وأكد ما على الطبيب النظر في القارورة، لأنها تبين كل ما مر ذكره، فالهاء إذا دخل جوف المريض تغير إلى حالة المرض الذي يشكو منه، فيعرف الطبيب إذ ذاك العلة أو يقرب فيها من اليقين.

وينبغي للطبيب أن يشهي المريض في الأغذية ثم ينتظر بعد ذلك، فإن رأى في ذلك منفعة أو عدم ضرر حالاً أو مآلاً وسع له فيه، وإن انعدم النفع والضرر فالأولى المسامحة في ذلك لحصول الراحة للمريض بذلك.

وإن رأى فيه الضرر تطف في منعه وأعدا إياه به تطيباً لنفسه ولئلا ينزعج فيزيد مرضه. فالتلطف بالمريض والإشفاق عليه هو الأصل الذي يرجع إليه لقوله [اللّه الطبيب، بل أنت رجل رقيق].

وينبغي للطبيب أن ينظر في حال المريض فإن كان غنياً أعطاه من الأدوية ما يليق بحاله، وإن كان فقيراً أعطاه ما تصل إليه قدرته من غير كلفة ولا مشقة.

إن المكسارم أخلاق مطهرة الدين أولها والعقل ثانيها
 والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل سادسها
 والصبر سابعها والشكر ثامنها والصبر تاسعها واللين باقياها

وإن أعطاه أحد منهم شيئا أخذه ويكون بنية الاستعانة على ما هو بضدده، ويكون على حد سواء من أعطاه ومن لم يعطه، والذي لا يعطيه أعظم منزلة عنده لأنه كان لله تعالى وانتفت عنه حظوظ النفس.

وينبغي للتطبيب أن يكون الناس عنده على أصناف فصنف يأخذ منه، وصنف لا يأخذ منه، وصنف إذا وصف له شيئا من الأدوية أعطى لهم ما ينفقونه فيه.

فالصنف الأول من له سعة في دنياه.

والصنف الثاني العلماء والصلحاء المستورون في حال دنياهم فلا يأخذ منهم شيئا إلا إن يكون محتاجا.

والصنف الثالث الفقراء الذين لا يقدرّون على كفايتهم في حال الصحة فهؤلاء يعطهم ثمن ما يصفه لهم إن كان في سعة.

ولم يكن الأمر رقابة شخصية فقط، بل كانت هناك حسبة على الأطباء والطبابة لمنع القش والتغريب والشموعة والدجل والكشف عن الوسائل المزيفة والتلفيقات الخادعة.

التمريض في العصر الإسلامي

وأن المجيد في الدنيا رحيق إذا طال الزمان عليه طابا؟
وولئك أمة ضربوا المعالي . بمشرقها ومغربها قبابا
لا يجب أن ننسى التمريض ونحن نبحث في روائع أطباء العرب الذين برعوا في الطب
كمهنة وكانوا هم من أبدع التخدير كوسيلة لتخفيف ألم المريض، وقد أطلقوا على من
يباشرها اسم "المرقد".
كما كانوا أول من استخدم الكاويات في الجراحة. ويذكر التاريخ أن الأطباء العرب
أول من كتب في الجذام وخصصوا له أماكن بالمستشفيات منذ القرن السابع الميلادي.
أما عن التمريض فقد كانت المسلمة العفيفة تعمل عند الضرورة في ميدان الإسعاف
والتمريض للرجال.
فمنذ فجر الإسلام تطوعت صحابييات طاهرات مع الرسول صلى الله عليه وسلم
بقصد خدمة المصابين والعناية بالمرضى منهم رغبة في ثواب الله تعالى. وكان
اسمهن "الآسيات أو الأواسي"
ويشمل معناها الخدمة والعطف فلم تكن فلورانس نايتنجيل أول من عمل بقلبه مع
المريض، فكن يحملن الضمادات والماء للسقاية.
وكانت المتطوعة تدرك الخطر وتقوم بالدفاع عن نفسها، فحملت بعضهن الخناجر
لتبقر بطن المعتدي إن لزم الأمر.
وكان إذن الرسول صلى الله عليه وسلم يسبق عملهن احتراما للشرع أولا. وله ضرورة
هامة هي علم القائد بالمتطوعات فيجيز ذوات الأهلية ومن لا يحدث خروجهن فتنة
لغيرهن أو لأسرهن بغيابهن، وينظم
صفوفه على دراية ويختار المكان المناسب لهن ويحميهن. فهي أسس إدارية رائعة
تمارس حتى الآن في الحرب والسلام.
وورد أنه حين أصيب سعد بن معاذ بسهم في ذراعه أدى إلى نزيف كان الكي لمكان
النزيف بنصل سهم محمى على النار
وهو علاج صحيح معروف فالكي وسيلة لإيقاف النزيف الآن.

ومن أشرف المرضيات أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي السيدة الأولى في وقتها، شهدت غزوة أحد مع الرسول صلى الله عليه وسلم أم أيمن (حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم) شهدت غزوة أحد .
وأيضا وكانت تمرض الجرحى وتقوم على الزمنى.
ووالدة أنس ابن مالك شاركت في غزوات كثيرة حتى يوم حنين..رحمها الله ورضي عنها .

ورقيدة الأنصارية وقيل اسمها أيضا كعبية الأنصارية شهدت الخندق وخيبر، وكانت تعمل بنظام المستشفيات العسكرية المتنقلة حيث اتخذت خيمة في المسجد ومساعدات لها ، وكانت تعمل بالتمريض في وقت السلم أيضا .
وأم سلمة رضي الله عنها وهي سيدة أولى في وقتها، زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، شهدت خيبر وحنين ومعها أميمة بنت قيس الغفارية وأم زياد الأشجعية، وأم حبيبة الأنصارية كانت تداءي الجرحى وتعد الطعام وتقوم على رعاية المرضى .
وفي عصر خلفاء بني أمية، كانت زينب طيبة بني أود" تعالج العيون وتشرف على مداواة الجروح حتى تبرأ بالطهيز والغيار. وورد في عيون الأنبياء وغيره أنه كانت هناك فاضلة هي أخت الحفيد ابن زهر الأندلسي تعمل في أمراض النساء .
وأن أم الحسن بنت القاضي أحمد الطنجالي من أهل الأندلس طيبة .
وورد أن الزهراوي كان أحيانا يشهد الولادات ويتواجد خلف ستر ليوجه القابلات في الحالات المتعسرة، وهو أمر يوضح أن العلم كان يحترم، وأن الشرع قبله كان يقدر، فلم تضع حياة الناس ظلما أن الشرع يمنع التداءي والتكشف للضرورة، ولم تضع مهارة الطبيب تشددا وتكلفا .

أمة ينتهي اليها وتؤول العلوم والعلماء
فلمن حاول النعيم نعيم ومن أثار الشقاء شقاء
وقد أهدانا الشاعر سمير العمري قصيدة في محلها ...

أطفقت هذي للوجود بما ترى وظننت أن تهدي لدرج صواب
فجعلت غرب الأرض دار حضارة وجعلت شرق الأرض للإرهاب
وجعلت درب الظلم دربك سالكا وجعلت درب العدل بحر سراب

يا أيها الغرب الذي عبد الهوى
هل غرك المائل الذي هو مائلنا
أمفرك العلم الذي منبعمنا
أمفرك السيف الذي كُنّا به
إني أنا العربي وابن عقيدة
إني أنا العربي مصباح الدجى
الله ربي، والرسول محبتي
إنك نت تجهل عزتي وكرامتي
أو كنت تجهل في النزال صرامتي
أنا لا أنام عن المهانة والأذى
الله أكبر فوق كيد شريككم
إصدع لنور الحق دون جهالة

رياً ، وثأه على رؤى الإعجاب
تحتال فيه بناطحات سحب
علم ابن سينا فيه والقارابي
في حده للحق فصل خطاب
للمصطفى من فاهر وهاب
نور الهداية لنورى المرتاب
والحق دربي، والخلال ثيابي
فلتسأل التاريخ من ألقابي
فأسأل صلاح الدين من إغضابي
حسنى وإنكلت يدي وركابي
هتان بين الخان والمحراب
فالنصر للإسلام ياتمصابي

تعليم الطب في العصور الاسلامية

الصارخون إذا أسئ إلى الحمى والزائدون إذا أغير على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيسود تبخترا

نقل إلينا الطبيب المؤرخ ابن أصيبعة صورة جميلة، وإليك مقتطفات تشير للوضاء:
شرح مذهب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار في تدريس صناعة الطب، واجتمع
إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرؤون عليه.. وإذا فرغ من البيمارستان وافتقد
المرضى من أعيان الدولة وأكابرها يأتي داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة!
ولا بد له مع ذلك من نسخ، فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد
قوم، وكان يقرئ كل واحد منهم درسه ويبحث معه فيه ويفهمه إياه بقدر طاقته، ويبحث
في ذلك مع المتميزين منهم إن كان

الموضع يحتاج إلى فضل بحث أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير. وكان لا يقرئ أحدا إلا
وييده نسخ من ذلك الكتاب الذي يتصفحه التلميذ ينظر فيه ويقابل به. فإن كان في
نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه.

وكانت نسخ الشيخ مذهب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحة، وكان أكثرها بخطه،
وكان أبدا لا يفارقه إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبية، ومن كتب اللغة كتاب
الصحاح للجوهري، والمجمل لابن فارس، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري. فكان إذا
جاءت في الدرس كلمة لغة يحتاج إلى كشفها وتحقيقها نظرها في تلك الكتب
ونكمل كفاحه:

عرض لهذا الشيخ ثقل في لسانه واسترخاء، وعجز عن الإسترسال في النطق. ثم زاد
به ثقل لسانه حتى صار لا يفهم له كلام إلا بسر مع ذلك استمر في إعطاء دروسه، فإذا
استعصى عليه الشرح كتبه في لوح ليقراء تلاميذه!

أو تلك قومي خير قوم بأسرهم فما عد من خير قومي له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى وليس على معروفهم أبدا قفل
وقائلهم بالحق أول قائل فحكمهم عدل وقولهم فصل

إذا حاربوا أو ساءلوا ثم يشبهوا فحسبهم خوف وسلمهم سهل
وأوضح الأستاذ الدكتور فؤاد الحفناوي من مصر في مبحث نفيس دلالات بازغة على
أن الطب لم يكن مستهجنا شرعا بل كان في قمة أشرف المهن.
فمن أعلام الطب في الأزهر القديم:
الحسن بن الهيثم، وعلي بن رضوان، وموسى بن ميمون، وعبد اللطيف البغدادي.
عائجاو الحكمة واستشفوا بها وانشدوا ما ضل منها في السير
واقروا أداب من قبلكم ربما علم حيا من غير
وقدم نموذجا لمن اتصلوا بالأزهر القديم من علماء وأطباء تعلموا منصب شيخ
الأزهر.

الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدنهوري: من علماء الأزهر - ولد في محافظة البحيرة
بمصر، ودرس الفقه وعلم الأصول والطب، وكان عالماً بمذاهب أئمة الفقه الأربعة،
وينسب نفسه لها جميعاً، وقد وصفه معاصروه بأنه كان عالماً فذاً وأصبح شيخ الجامع
الأزهر، ولبت في منصبه هذا عشر سنوات وهكذا يسجل تاريخ الطب في الأزهر لأول
مرة أن طبيباً عالماً أزهرياً قد ارتقى إلى منصب شيخ الإسلام.
وقد ترك أستاذ الطب الأزهرى الذي أصبح شيخاً للأزهر مؤلفات طبية متعددة
يذكر المؤرخون منها كتابه المسمى "القول الصريح في علم التشريح" وكتابته المسمى "القول
الأقرب في علاج لسع العقرب" وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، وقد جاء في مقدمته:
حمداً لمن تفضل علينا بالإيجاد، ويمد فهذه كلمات قليلة مشتتة على فوائد جلية،
يحتوي على مقدمة في وصف وكنية العقرب، ومقصود في دفع السم، يذكر فيها وصفات
منها ما يحتوي الدارصيني الذي ينفع من لسع العقرب والنعناع والثوم المطبوخ بالسمن
النافع في لسع الزنبور والنحل والحية.
روائع ولفات تدريسية راقية من كتبهم
مقتطفات مهذبة مختصرة من الكتاب الفريد (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) مع
تعليقات واجب أن أسطرها لنفسى ولكم؛

المؤلف هو أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، الخزرجي، موفق الدين، أبو العباس،
المعروف بابن أبي أصيبعة وموضوع الكتاب هو سير الأطباء عبر العصور والأقطار،

ولنتخيل أمة يصل بها الرقي الفكري وانتشار الطب واحترام العلم إلى أن تؤلف في سير الأطباء وتراجهم!

مقتطفات من مقدمة الكتاب لتروا الجمال في اللغة وفي الأسلوب وفي التسلسل المنطقي للأفكار، والمزج بين العلم والمشاعر في إطار ديني فريد.

"الحمد لله ناشر الأمام بارئ النسم ومبرئ السقم، مخرج الخلائق بلطف صنعه إلى الوجود من العدم، مقدر الأدوية ومنزل الدواء بآتم الصنع وأتقن الحكم، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة خالصة بوفاء الذمم، مخلصنا من موبقات الخطل والندم. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم، المرسل إلى كافة العرب والعجم، الذي أنار بلالاء نور مبعثه حنادس الظلم، وأباد بسيف معجزه من تجبر وظلم، وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما لمعت البروق وهممت الاديم، وعلى آله أولى الفضل والكرم وعلى أصحابه الذين جعلوا شريعته لهم أمم، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين المبرعات من الدنس وشرف وكرم.

وبعد... فإنه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع وأريح البضائع وقد ورد تفصيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية، حتى جعل علم الأبدان قريناً لعلم الأديان. وقد قالت الحكماء أن المطالب نوعان خير ولذة. وهذان الشيتان إنما يتم حصولهما للإنسان بوجود الصحة لأن اللذة المستفادة من هذه الدنيا والخير المرجو في الدار الأخرى لا يصل الواصل إليهما إلا بدوام صحته وقوة بنيته وذلك إنما يتم بالصناعة الطبية، لأنها حافظة للصحة الموجودة، ورادة للصحة المفقودة" إلى أن قال:

"وأما هذا الكتاب الذي قصدت حينئذ إلى تأليفه فإني جعلته منقسماً إلى خمسة عشر باباً وسميته كتاب عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. ومن الله تعالى أستمد التوفيق والمعونة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباب الأول: في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها

الباب الثاني: في طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها.

الباب الثالث: في طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراط فيهم صناعة الطب ((وهنا لا يدفعه دينه على ترك اليونانيين الوثنيين وإهمال دورهم، بل وفاء للحق وعدم تعصب ولا غمط لدور أو نكران. بل كما يعلمنا القرعان... اعدلوا هو أقرب للثقوى...))

الباب الخامس: في طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه
الباب السادس: في طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في زمنهم من الأطباء
التنصاري وغيرهم

الباب السابع: في طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الإسلام من أطباء العرب
الباب الثامن: في طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني
العباس.

الباب التاسع: في طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان
اليوناني إلى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم ((وهنا يبدأ في تقسيم جغرافياً للتيسير
فلا يريد أن يترك شيئاً))

الباب العاشر: في طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر
الباب الحادي عشر: في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد المعجم
الباب الثاني عشر: في طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند
الباب الثالث عشر: في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها
الباب الرابع عشر: في طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر
الباب الخامس عشر: في طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام
((كما نرى شمول التقسيم وروعته وجودته وسهولته وحجم الجهد المنفق فيه))
إلا حبذا صحبة المكتسب وأحبب بأيامه أحبيب

وهناك كتاب رائع للرازي يوضح عنوانه تطور الطب وما يحف به من علوم
وعنوانه "أخلاق الطبيب"

فلم يكن الدين الحنيف ليدع الأمر لدهم تجارة بالصحة، أو بحثاً علمياً فقط، بل
كان إنسانية ورسالة صقلها الإسلام العظيم.

ورسالة أخلاق الطبيب مخطوطة بدار الكتب المصرية وهناك مبحث للفاضل د.
عماد الدين فضلى من مصر عن روائع ولقائات تدريسية عند الرازي لخص بعضه، فهيا
بنا إلى الأستاذ الرازي لنرى كيف كان يعلم طلبته وماذا كان يعلمهم.

قال ابن النديم في الفهرست قال أبو الحسن الوراق "جلس ودونه تلاميذه ودونهم
تلاميذهم ودونهم آخرون، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه منهم فإن
كان عنده علم وإلا تعدا إلى غيره فإن أصابوا وإلا تكلم الرازي في ذلك"

إنه يدرس عمليا فيضعهم أمام الحالة ليفكروا ويجتهدوا، وهو بجوارهم يشرح الجديد الفاض.

ولنمض مع الرازي الأستاذ في منهج تعليمه فنراه يشجع طلبته ويرفع سقف طموحهم قائلا:

"ليس يمنع من غني، في أي زمان كان، بأن يصير أفضل من أبوقراط"
وينصحهم بدوام الترقى والطلب والبحث والإطلاع "الإستثمار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع لكل حكم عظيم الخطر"
ويحثهم على التخير بدلاً من حشو الدماغ بالفتى من المعلومات فيقول "العمر يقصر من الوقوف على فعل كل نبات في الأرض فعليك بالأشهر مما أجمع عليه ودع الشاذ واقتصر على ما جربت"

ويضع المعلم القواعد لامتحان الأطباء في كتابه "محنة الأطباء"
ويوجههم لأخلاقيات الطبيب الراقية، فيقول في رسالة وجهها لتلميذه أبي بكر بن قارب الرازي حين دعاه أحد الأمراء في خراسان ليكون طبيبه الخاص:
"وأعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رقيقاً بالناس، حافظاً لغيرهم، كتوماً لأسرارهم لاسيما أسرار مخدومه، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به مثل أبيه وأمه وولده، وإنما يكتمونه خوصهم ويفشونه إلى الطبيب ضرورة، وإذا عالج من نسائه أو جواريه أو غلمانة أحداً فيجب أن يحفظ طرفه، ولا يجاوز موضع العلة".

هنا ينبه لغض البصر وهو الشرع والأدب....

أما المادة العلمية التي يعلمها الرازي لطلبته، فمنها كتابه "الفصول" يقول عنه الرازي موضحاً الباحث على تأليفه:

"دعاني ما وجدت عليه فصول أبو قراط من الاختلاط وعدم النظام والغموض والتقصير عن ذكر جوامع الصناعة كلها، وما أعلمه من سهولة حفظ الفصول وعلقها بالنفوس، إلى أن أذكر جوامع الصناعة الطبية وجملتها عن طريق الفصول ليكون مدخلا إلى الصناعة وطريقاً للمتعلمين"

ثم كتابه "المنصوري" وهو مؤلف نظري مختصر، يعرف المرض وسببه ثم يصف العلاج.

ثم كتاب "الحاوي في الطب" الذي يقول عنه: "بقيت في عمل الجامع الكبير خمس عشر سنة أعمل الليل والنهار حتى ضعف بصري وحدث على فتح في عضل يدي" ويقول عنه أيضاً "الكتاب المرسوم بالجامع الذي لم يسبقني إليه أحد من أهل المملكة ولا احتذي فيه أحد بعد احتذائي وحذوي"

إذا الله أحيى أمة لم يردها إلى الموت قهار ولا متجبر

رجال الغد المأمول لنا بحاجة إلى قيادة تبني وشعب يعمر

لنقرأ معا ما كان يقدمه الرازي لطلبته من تعليم طبي:
يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الأول من الحاوي شارحا حالة تعرضت لحادث:

"سقط رجل عن دابته، فذهب حتى الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يديه، فلا علمت أنه سقط على آخر الرقبة علمت أن مخرج العصب الذي بعد الفقرة السابعة أصابها ورم في أول مخرجها، ولأنني كنت أعلم من التشريح أن الجزء الأسفل من العصب النابت من العنق يصير إلى الإصبعين الخنصر والبنصر. ويتفرق في الجلد المحيط بهما وفي النصف من جلد الوسطى"

ويقول أيضا في الجزء الأول:

"سقط رجل عن دابة فصك صلبه فلما كان اليوم الثالث ضعف صوته وفي اليوم الرابع انقطع البتة واسترخت رجلاه ولم تزل يديه آفة، ولا بطل نفسه ولا عصر أيضا. وذلك واجب لأن ما كان من النخاع أسفل العنق كان قد ورم فاسترخى لذلك العضل الذي بين الأضلاع فبقي التنفس، دون الصوت، لأن النفس يكون بالحجاب وبالسست العضلات الفوقانية، وأما النفخة التي هي مادة الصوت فبطلت لأنها تكون بالعضل الذي فيما بين الأضلاع. فأراد الأطباء أن يضعوا على رجله أدوية لجهلهم، فممنعتهم وقصرت أنا الموضوع الذي وقعت به السقطة، فلما سكن الورم الذي بالنخاع في اليوم السابع عاد صوته وأستوت رجلاه ولم تزل يديه آفة لأن عصبها يجيئها من نخاع العين" هنا نراه يعلم الطب في كتابه على شكل مشكلة وحلها، كدرس عملي إكلينيكي يفهمه لنا تشريحيًا وفسيولوجيًا، ويشرح الأخطاء العلاجية الشائعة، فيعطيك رؤية شاملة للمرض.

والآن تأتي إلى مؤلفات ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، حيث عاش بعد الرازي بحوالي قرن من الزمان وله قصائد (أراجيز) في الطب. فيصوغ المعلومة كنشيد رنان متناسق الكلم وعذب التراكيب....!

لابن سينا سبع أراجيز في الطب هي:

1- أرجوزة في التشريح مطلقها:

الحمد لله على تهذيبي وعاصمي من أمم تهذي بي

2- أرجوزة في تدبير الصحة مطلقها:

الحمد لله اللطيف الكافي الواحد الفرد الحكيم الشافي

3- أرجوزة في المجريات الطبية في خمس وثلاثين ومائة بيت مطلقها:

بدأت باسم الله في النظم الحسن أذكر ما جريته طول الزمن

4- أرجوزة في الفصول التي فيها تناول الطعام مطلقها:

يقول راجي ربه ابن سينا ولم يزل بالله مستعينا

5- أرجوزة في حجر الذخيرة وتسمى أيضا أرجوزة في الباء مطلقها:

يا سألني عن وجع في الوسط ونقطة تأتي له ثم تخلى

6- أما الأرجوزة السابعة أشهر الأراجيز وأطولها والمسماة بالفية ابن

سينا في الطب، وتحتوي على ألف وثلاثمائة وعشرين بيتا، وموضوعها حفظ الصحة ومطلقها:

الطب حفظ، صحة براء مرض ومن سبب بدن عنه عرض

ونشاهد كيف جمع ما يلزم معرفته ليكون المتعلم طبيبا فاهما، فوضع أقساما خمسة نتعامل معها حتى الآن: الأسباب (الإيتولوجي) وعلم المرض (الباثولوجيا)، والأعراض (عنه عرض)، والوقاية (حفظ الصحة) والعلاج (براء المرض) وتلك الأراجيز التي تحول العلم الجاف إلى قالب مختصر ميسر للحفظ في الذاكرة.

وداخلها شرح يربط كل أمر بعلمه وسببه مما يبني الفهم ويوسع المدارك ولا يبني جيلا مقلدا جامدا.

ولبيان أهمية العلم النظري وجرعة المعلومات قبل التطبيق لم يكن يسمح لطلبته بحضور درسه إلا بعد أن يحفظوا أرجوزته!

وكتاب القانون لابن سينا مرتب بشكل مناسب مقارب للشكل الحديث يقول في أوله "رأيت أن أتكمم أولا في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب، أعني القسم النظري

والقسم العملي، ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم في جزئياتها، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو ما ابتدئ أولاً بتشريح ذلك العضو ومنفعته... ثم إذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في قصر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته. ثم دلت بالقول المطلق على كليات الأمراض وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجاتها بالقول الكلي أيضاً.

فإذا فرغت من هذه الأمور الكلية أقيلت على الأمراض الجزئية... ثم أعطيت القانون الكلي في المعالجة ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية بدواء مبسط أو مركب... ورأيت أن أفرغ عن هذا الكتاب إلى كتاب أيضاً في الأمور الجزئية مختص بذكر الأمراض التي إذا وقعت لم تختص بعضو بعينه*.

* ولنا وقفة مع كتب أخرى لأجدادنا نلاحظ فيها ما قد ميز الكتب القديمة من شمول التخصصات وروعة الأسماء، لأن لفتنا جميلة فيحبك العنوان في اللغة ويحبك في العلم نفسه ويشوقك له، وهو أمر غير موجود الآن إلا قليلاً، فمعظم المکتب عناوينها معناها جاف مباشر محاضرات في الأمر الفلاني أو المرجع في... أو مساعدات في... وقليل عناوينه شيقة مثل تسهيل رسم القلب ونقطة ثانية.. لا يوجد أمة لها تاريخ به تلك الكثرة من المخطوطات الرائعة.

وانظر إلى كتاب رائع لا يتحدث في الطب نفسه بل فيما حف به من مصطلحات وأمر.

قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة فنون: الأول في ماهيات الأشياء التي تتعلق بكليات الطب ورسومها التعريفية؛ والثاني في كفيات الأعمال والصناعات المتعلقة بأصول الطب؛ والفن الثالث في كميات أقسام الأمور المنقسمة. وانظر رقة البداية:

"الحمد لله على أيادي المتواترة وصنایمه المتقاطرة.. وبعد فقد قال الإمام العالم العامل النسيب مسعود بن محمد السجزي الطبيب.. هذا كتاب ألفته في تعريف الأنفاظ المهمة التي أوردها الأطباء في مصنفاتهم وتبين أسماء العلل والإصطلاحات التي أثبتوها في مؤلفاتهم وسميته حقائق أسرار الطب"

وكنا سابقين في الفرق بالحيوان والتمق في الطب البيطري...

فألف ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إسحاق الخطلي 250 هـ / 864 م) كتاب الخيل والبيطرة)

البداية: كتاب الفروسية والحث على الجهاد في سبيل الله تعالى من رياض الخيل.. أما بعد فإنني لم أزل بعدما وهب الله تعالى من المعرفة بالآلات الفروسية..
المصدر: أيرلندا هذا من أقدم كتب البيطرة، كتاب قيم في علاج الخيل، يبدأ الكتاب بمقدمة طويلة ثم الباب الأول في الحجور، وينتهي بباب ابتداء الركوب وتعليم الفروسية.
وفي كتاب قيم سلس نرى رائحة اسمها "الدرة المنتخبة في الأدوية المجرية" نصر بن نصر.

وانظر لطف البداية وتسهيله على المتعلم:

"الحمد لله الذي جعل نوع الإنسان أكمل الأنواع وميزه بالنطق والإدراك والاختراع، وجعل صحة بدنه وعقله سبباً لوجود الانتفاع.. ويعد هذا مؤلف لطيف لا يجهله الإنسان ولا يحتاج في معرفته إلى أعوان! قد جمع ما تفرق في غيره من التصانيف.."

* وهناك كتاب يبين أنهم لم يكونوا يتعاملون مع الحجامة كشفاء جامع مانع، بل يفهمون أن لها وقتاً وكيفية وحالات معينة "الدواء النافع في بيان ما في الحجامة من المضار والمنافع" محمد بن أحمد بن يحيى بن جار الله (1118 هـ / 1767 م).

أورد المصنف في كتابه الآثار الواردة في الفصد والحجامة ثم بين مواضع الفصد والحجامة من الأبدان، وأحب أوقاتها من الأزمان، ومضارها ومنافعها، وآلاتها، وكيفيةاتها، والأوقات التي يجب أن يجتنب فيها.

في كل واحدة منهن نافلة من الطبائع تغذو من نفس وإعيها

لعل في أمة الإسلام نابتة تجلو لحاضرها مرآة ماضيها

* "الذخيرة في علم الطب" ثابت بن قرة، أبو الحسن الحراني الصابي 288 هـ / 901 م).

"الرحمة في الطب والحكمة" الصنوبري، معمد مهدي بن علي بن إبراهيم المهدوي اليمني الهندي (158 هـ / 1412 م).

البداية: الحمد لله الذي اخترع جميع الموجودات، وأظهر إلى الوجود الكائنات وأبدع حكمته في الطبائع الفاعلات والمفتعلات.. ويعد هذا كتاب مختصر وضعته في علم الطب وهذبت أعراضه وقريت أغراضه وجعلته جامعاً في الإختصار ليروق بإيجازه القلوب والأبصار ويسهل تناوله للطالب

إذا الله أحيى أمة لم يردّها إلى الموت قهار ولا متجسّر

رجال الغد المأمول لنا بحاجة إلى قادة تبني وشعب يعمر

"الذين في علل العين" (الكفاية في أمراض العين) أبو سهل معمر بن عمر بن الحجاج.
البداية: "فصل في تشريح العين ومنفعة أجزائها ومزاجاتها. العين عضو آلي حساس
بأبصر مؤلف من سبع طبقات وثلاث رطوبات متجاورة..".

« وكتاب من أهم الكتب هو "شرح تشريح القانون لابن سينا" ابن النفيس، علاء الدين
أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي 687 هـ / 1288 م ».

« شرح القانونجه للجفميين" المؤلف مجهول. الناسخ: محمد بن محمد الطبيب.
البداية: "سبحانك اللهم يا مبدع الأرواح في الأبدان.. أما بعد فيقول الفقير. إن العلوم
لما كانت منتشرة الفنون متكررة الشجون، وكان علم الطب من بينها متميز بعلو الشأن
وجلالة المكان"

النهاية: ثم نقول إن المادة كانت في النصف الأعلى فالسهل أولى وإن كانت في النصف
الأسفل فالحقنة أولى وههنا تفصيل لا يليق بهذا المختصر.

وليكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الأصول الكلية لصناعة الطب كافياً. تمت
معاني كليات القانونجه في اليوم الخامس من جمادى سنة 915 هـ..

وهذا الكتاب شرح لمختصر انتخبه محمود الجفميين من القانون لابن سينا وسماه
القانونجه.

"شرح كليات القانون" المؤلف: القطب المصري، إبراهيم بن علي بن محمد السلمي
(186 هـ / 1221 م).

وهو شرح لقانون ابن سينا يبدأ بقول: "إن الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان من
جهة ما يصح ويحول عن الصحة لتحفظ الصحة حاصلة وتسترد زائلة. التفسير: قال
-مولانا- إن الطب في لغة العرب الحقن وكذلك يقال لكل حاذق طبيب..".
وهكذا يبدأ بالمثنى ثم يتيمه بالتفسير.

« وانظر لطف العنوان وسجعه الرنان "شفاء الأسقام ودواء الآلام" حاجي باشا، حسام
الدين خضر بن علي بن مروان بن علي الخطاب الأيديني (208 هـ / 1417 م).

البداية: أما بعد فيقول.. خضر بن علي بن الخطاب فلما رأيت أن علم الطب أجل
المفاخر والمعادات وأجل المآثر والصناعات.. وسميته بشفاء الأسقام ودواء الآلام ورتبته
على أربع مقالات..".

قسم المؤلف كتابه إلى أربع مقالات: الأولى في كليات جزئي الطب (علمية وعملية)، والثانية في الأغذية والأشربة والأدوية المفردة والمركبة، والثالثة في الأمراض المختصة بعضو عضو من الرأس إلى القدم، والرابعة في الأمراض العامة!!!

"الطب المنصوري" الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (133 هـ/ 925 م).
البداية: قال محمد بن زكريا الرازي إنني جامع في كتابي هذا جملاً وجوامع ونكات وعيوناً من صناعة الطب ومتحرّج في ذلك..

قسم المؤلف كتابه إلى عشر مقالات وكل مقال منه إلى عدة فصول!!!
المقالة الأولى وفيها ستة وعشرون فصلاً أولها جمل وجوامع احتيج إلى تقديمها في صدر هذه المقالة. وآخرها في هيئة الرحم والقلب المقالة التاسعة وهي أربعة وتسعون فصلاً الأول في الصداع والشقيقة.

"الطب النبوي" الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الشافعي (ت 748 هـ/ 1348 م).

البداية: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أعطى كل نفس خلقها وهداها.. وبعد فإن الواجب على كل مسلم أن يتقرب إلى الله تعالى بكل ما يمكنه من القربات.. وقد استخرت الله تعالى في جمع شيء من الأحاديث النبوية والآثار الطبيعية ما الحاجة إليه ضرورية في حفظ الصحة..

الكتاب مطبوع عدة طبعات، قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول: الأول في قواعد الطب علمه وعمله، الثاني في الأدوية والأغذية، الثالث في علاج المرضى.
وفي طب العيون نرى مرة ثانية مرجعاً قبل أن تنشأ أقسام خاصة لطب العيون في الغرب بقرون.

"العمدة الكحلية في الأمراض البصرية" المصري، صدقة بن إبراهيم الحنفي الشاذل (550 هـ/ 1155 م).

البداية: بحمد الله نستفتح ويعون الله نستجح..
قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أقسام: الأول في متفحة علم العين وتشريحها، والثاني في قواعد طبية وكحلية، والثالث في الأمراض الظاهرة للحسن، والرابع في ما يعلم من الأمراض الخفية، والخامس في أدوية مسهلة ومعاين وأكحال للعلاج.
"العين المبصرة في اختصار التذكرة" اختصار كتاب السويدي.. فهو يريد أن يتوفر لك كل ما تريد لو ليس لديك وقت، وفي نفس الوقت ينقح المصدر..

البداية: "توكلت على الله، الحمد لله الذي أصح أبدان عياده بالحكمة..
أما بعد فلما كانت الحكمة التي هي أداة صلاح الإنسان وقلاد رتاج صحة الأبدان،
وهي سبب إصلاح المعاش والمعاد وبها يتم النظام.."
... وهو مختصر لكتاب (التذكرة المفيدة والذخيرة الحميدة) للسويدي وهي مطبوعة.
قال المؤلف بأنه حذف منه أكثر العقاقير المتعمسة الوجود والأدوية التي حرمها الرب
المعبود!!!

وقسم كتابه إلى ثلاثين باباً. الأول فيما يتعلق بالرأس، والثاني في العين، والثالث في
الأذن، والرابع في الأنف، والخامس في الفم، والسادس في الحلق، والسابع في اللسان،
والثامن في الربو، والتاسع في أدوية القلب، والعاشر في أمراض الثدي
* وهنا شيء بدیع، مبادرة في كتابة أمر قبل مجلات طب نفسك وكتيبات الصحة
العامة "غنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب" ابن الأکفاني، أبو عبد الله محمد
بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري (497 هـ / 1348 م).
البداية: "يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الواحد الباري محمد بن إبراهيم بن ساعد
الأنصاري! انظر التواضع وذكر الله وقلما نراهما في مؤلفات اليوم الحمد لله الذي خلق
الإنسان في أحسن تقويم..

وبعد فهذه رسالة لطيفة الحجم غزيرة العلم على ما لا يد من معرفته من علم الطب
في حفظ الصحة والتحرز من الأمراض وتديرها..

المصدر: جامعة كاليفورنيا - "كتاب الأقرباذين" (مختصر في الأدوية المركبة)
القلانسي، بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد السمرقندي (ح 620 هـ / 1223 م).

البداية: "قال الإمام.. محمد بن بهرام بن محمد القلانسي.. أما بعد فقد دعاني إلى أن
أجمع هذا المختصر أني رأيت جلّ القرباذينات مشحونة من نسخ الأدوية المركبة التي
يندر وقوع الحاجة إليها ومع ذلك يسر اتخاذها ويمز وجود مفرداتها ولم يكن ذكر أبدال
الأدوية وذكر الأوزان والمكايل!!! فجمعت هذا المختصر في الأدوية المركبة التي تمس
الحاجة إليها مع سهولة وجود مفرداتها وسرعة اتخاذها..

* وفي علم الأغذية وهو تخصص مستقل الآن بل صار له كليات مستقلة، كتاب في
الأغذية منافعها وطبائعها" السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر
(196 هـ / 1222 م).

يذكر الأنواع الستة من الأغذية التي بها غذاء الإنسان وهي: الحبوب، واللحمان،
هالالبلان، والبليض، والثمار، والبقول، ثم يتكلم عن كل واحدة منها، ثم يتكلم عن التوابل
وسبب استخداها؛ ثم عن أنواع المياه وصفاتها ومنافعها وأشربة بعض المطعومات
كشراب البنفسج والليمون والتمر الهندي وغيرها.

المؤلف: مجهول، / كتاب في علاج الأطفال" الرقم: 6211

البداية: الحمد لله خالق الأفلاك.. أن أصنف لك شيئاً في علاج الأطفال وهذا أمر لم
يتكلم فيه أحد من الأوائل كلاماً شافياً..

"كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب" للدين أحمد بن محمد الحنفي ابن
الصائغ القوصوني (199 هـ/ 1583 م).

"كنز الطبيب وبغية السيد الحبيب" الموصلي، كمال الدين محمود بن الحسن (569 هـ
5129 م).

البداية: قال الحكيم الفاضل العالم الورع كمال الدين محمود.. وبعد فإني مودع في
هذه المقالة نكت الأدوية الغربية، وعيون الصفات المختارة العجيبة، بحيث يسهل بها
العمل، ويبلغ بها إن شاء الله تعالى الأمل، في أمراض مخصوصة أذكر بعض علامات لها
"النزعة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية" (مثل حمامات الساونا بالبغار
ويحدث فيها تكشف المؤلف: المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي
القاهري الشافعي) (3110 هـ/ 1621 م).

البداية: "الله أحمد على ما منحني من تعليم الصناعة"

الكتاب مطبوع؛ قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وكتابين وخاتمة المقدمة في معنى
الحمام لغة وعرفاً؛ والكتاب الأول في أحكام الحمام الشرعية وفيه سبعة أبواب أولها في
حكم دخوله شرعاً؛ والكتاب الثاني في أحكام الحمام الطبية وفيه سبعة أبواب أولها فيها
ينبغي أن يكون عليه الحمام من الهيئة والشكل والكيفية؛ والخاتمة في حكم الاستحمام
بالماء الحار والبارد ومنافعه ومضاره.

"النزعة المبهجة في تشخيص الأذهان وتعديل الأمزجة" يعني دعم عقلي ونفسي..

المؤلف: الأنطاكي، داود بن عمر (8100 هـ/ 1600 م).

البداية: "سبحان من سجدت له جباه الأجرام صاغرة وامتزجت بحكمته.. قلما كان
تنافس النفوس الكاملة وغاية مرمى مرام العقول الفاضلة.. قال المؤلف في
مقدمته" جعلت فيها الطب مقصوداً بالذات ثم ضمنت إليه كل علم يحتاج إليه الطبيب"

"نكت مستحسنة" الرسولي، الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف 764 هـ 1363 م).
البداية: "نكت مستحسنة، وجدت تعاليق بخط السلطان الملك المؤيد بالله المجاهد
قدس الله سره، وأما خدمة الساييس لها، أعني الدواب كافة والخيول خاصة، وقد علمت
أمورهم وما يفعلون من خدمتهم بالنظافة العظيمة.."
الموضوع: (بيطرة/خيول).

تكلم المؤلف في كتابه عن نظافة الخيل وشرها؛ ثم بعض أمراضها وعلاجاتها مثل
انشقاق حافرها؛ والإنفخاخ وبعض الحقن المستخدمة في علاجها.
"نهاية القصد في صناعة الفصد" ابن الألفاني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن
ساعد الأنصاري السنجاري (497 هـ 1348 / م).

البداية: "الحمد لله منور قلوب المسلمين ذوي اللباب، وملهمهم الصواب وبعد فهذا
مختصر يشتمل على علم الفصد وعمله وما يتصل به.."
فلم يكن الأمر دجلاً ولا مسلماً به بلا بحث بل تجارياً ودراسات....
* وانظر الاسم الجميل "نور العيون وجامع الفنون" الكحال، أبو زكريا يحيى بن أبي
الرجاء (ح 700 هـ 1300 / م).

"أما بعد فلما تأملت خلقة الإنسان، وما ركب الله تعالى فيه من الفضل والإحسان
حيث نور في سماء جسمه كوكبين لامعين، جعلهما حارساً للأعضاء، وحياهما بالحياة
والإغضاء، وخص بكل عضو داء، وأودع مفتاح المعالجة في صدور العلماء.."
الموضوع: طب (عيون)، ويحتوي على رسومات تشريحية وأدوات.
"ما لا يسع الطبيب جهله" انظر عنصر التشويق
المؤلف: ابن الكتبي، نصير الدين أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن إلياس الشافعي
البغدادي (547 هـ 1353 / م).

البداية: "الحمد لله الذي لا تكتنف حقيقته حرفة المعلوم والأفهام، ولا يحيط بكنهه
ذاته العقول والأوهام... هو قسمين، يشتمل الأول على مفردات الأدوية والأغذية، والآخر
في المركب منها.. وسميته بما لا يسع الطبيب جهله.."
طب (أدوية. وأغذية).
المصدر: معهد ويلكم - لندن - إنجلترا.

اختصر المؤلف في هذا الكتاب كتاب (الجامع لقوى الأدوية) لابن البيطار وجعله في قسمين، الأول في الأدوية والأغذية المفردة، والثاني في المركبة منها وقدم لكل قسم بمقدمة.

"المفني في شرح الموجز" المفني يعني يفنيك عن السؤال بعده والاستفسار وطلب الشرح.. فهو عنوان يفريك باقتناء الكتاب.

المؤلف: الكازروني، سديد الدين السديدي (745 هـ/ 1344 م).
البداية: الحمد لله الذي أبدع بقدرته الجواهر العقلية مجردة، واخترع منها أجراماً فلكية منضدة، وأحدث من اختلاف أوضاعها.. أما بعد فلما كان احتياج عموم الناس إلى الأحكام الطبية والقواعد العلاجية..

وسميت بكتاب المفني في شرح الموجز لأنه يفني الطبيب المعالج عن مطالعة أكثر مواضع تلك الكتب والله ولي التوفيق".

النهاية: "... أقول وأنا سديد الكازروني هذا آخر شرح الموجز، وقد جمعت فيه خلاصة كلام الحكماء الأولين والآخرين".

رتب الشارح كتابه على كتاب الأصل (الموجز) على أربعة فنون: الأول في الأمور الطبيعية والأمور غير الطبيعية وكيفية حفظ الصحة وإزالة المرض؛ الثاني في الأدوية والأغذية؛ الثالث في الأمراض المختصة؛ والرابع فيما لا يختص بعضو دون آخر.

"مفرج النفس" أنظر لعناوين الآباء وكيف يحبيبونك في العلم كي لا تفرق في الجهل

المؤلف: شرف الدين محمد بن عمر بن أبي الفتوح البغدادي المارديني.
البداية: بعد البسملة، أما بعد حمدا لله خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والأدواء بمفرحات النجاة والشفاء.. ولما سألتني من لا

يسعني رد سؤاله إلا أن أجمع في ذلك كتاباً، جمعت هذا الكتاب وجعلته حاوياً لأكثر المفرحات للنفس الواصلة إليها من جميع المحسوسات..

قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة أبواب، الأول في ذكر النفس وبعض أحوالها، والثاني في اللذة المكتسبة للنفس عن طريق حاسة السمع، ثم البصر، ثم الشم، فالذوق، ثم اللمس وغيرها، والباب السابع في اللذة المكتسبة من طريق الواردات على البدن من الأغذية، والتاسع في اللذة من حركات البدن، والعاشر في اللذة المكتسبة من جهة الحواس الباطنة!

كتاب "مسالك" صدقة بن موسى الإسرائيلي (3159 م) - أيرلندا.

مقالة في أوجاع الحصاة (مقالة في أسباب تولد الحصاة)

وقد قسم المؤلف مقالته إلى ثمانية أبواب: الأول في الجزء العلمي الواجب ذكره، والثاني في شرح العلامات التي يفرق بها بين وجع الكلى والمثانة، والثالث في علامات الأورام الحارة، والرابع في علامات حصاة المثانة، والخامس في مداواة حصى الكلى، والسادس في الطرق في مداواة حصاة المثانة، والسابع في السبيل والاحتراص من تولد الحصى في الكلى والمثانة، والثامن في أنواع الحقن المحتاج إليها في مداواة حصاة الكلى والمثانة.

"المقالة المحسنية في حفظ الصحة البدنية"

يعني هو كتاب ثقافي للعامة عن الصحة وليس للمتخصصين فانظر الجو النثافي في المجتمع من مئات السنين...

المؤلف: ابن البرقمانى، فاضل الرشيد بن أبي الحسن الإسرائيلي الطبيب السكندري (ح 724 هـ / 1323 م).

الهداية: "بسم الله الرحمن الرحيم قال الشهيد فاضل بن أبي الحسن.. لما كانت الصحة سبباً لاستقامة حال الإنسان في دينه ودنياه" يعني يعطيك الحافز وسميتها المقالة المحسنية في حفظ الصحة البدنية.. وفي النهاية قال المؤلف: "هذا ما ضمنه هذه المقالة من الفوائد في حفظ الصحة.. حسبنا الله ونعم الوكيل" انظر معية الله في الخاتمة.

ألف المصنف كتابه لنائب السلطنة بالإسكندرية المحسني الناصري.

قسم كتابه إلى عشرة فصول الأول في ماهية الصحة وأقسامها؛ الثاني في موضوع الصحة التي يراد حفظه؛ والعاشر يشتمل على أمور ليست بضرورية ولا ضارة!! يعني يعرفك ما هو الواجب وما هو العادي حيث يزيل أوهام تعلق الناس ببعض أمور ظنوا أنها تجلب الصحة.

"منتخب الحاوي" ... وله أهمية خاصة في اختصار كل تلك المجلدات لكي يراجعها من أنهى الأصل ومن ليس له دأب...

المؤلف: القرشي، أبو الحسن علي بن محمد.

هذا الكتاب منتخب من كتاب الحاوي للرازي (133 هـ / 925 م)

وفي ص 24 قصيدة في الطب مطلعها:

يا من بات ساهراً من الأثم لما يذوق من عناء لم ينم

فانظر المزج بين العقل والنفس، فيوقف، حواسك ويمتعها وأنت تتعلم. ويذكر بعض الأبيات في بعض النيات،).

• وفي الطب السموم، وهو الآن فرع مستقل في الطب "المنقذ من الهلكة في دفع مضار السموم المهلكة"

المؤلف: ابن المبارك، الحسين بن أبي ثعلب الطبيب (ح 488 هـ / 1095 م).

البدية: "الحمد لله الواحد بلا كيفية تقع بها الإحاطة عقيدة أهل السنة ؛

النهاية: ". من عضه النمر وضربه بأنياه ومخلبه وعلاج ذلك"

رتبه المؤلف على ثلاث مقالات.

انظر رقي التقسيم:

الأولى في علامات السمائم المجهولة المعمولة في كافة الأشياء المستعملة وفيه ثلاثون باباً.

والمقالة الثانية في العلامات الدالة على من سقي شيئاً من السمائم المفردة البسيطة التي من الحيوانات ومن الثبات والمعادن.

والمقالة الثالثة في ذكر الحيوانات المسمومة من الأهاعي والثعابين والحيات والعقارب وغيرها

"الكتاب المستعيني" ليوسف ابن اسحاق أول كتاب مجداول في الأدوية في الأندلس، وكتب عنه الدكتور أمادور دياث جارسيا من الأندلس إسبانيا حالياً ...

إن الكتاب المستعيني" يمثل أول تطبيق لطريقة الجداول في الغرب العربي وفي تأليف طلي.

كانت هذه الطريقة قد استعملت سابقاً في المشرق العربي. وهذا الكتاب هو التأليف الوحيد من مؤلفات يوسف ابن اسحاق الذي وصل إلينا، ويتكون من تلخيص جامع حقق فيه المؤلف مشروعاً طموحاً، فقد جمع كل ما كتبه السابقون عن الأدوية المفردة مع ترتيبه وعرضه بصيغة واضحة مفهومة.

أما مؤلفه فهو يونس (أو يوسف) بن إسحاق بن بكلاش، من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب. أما المعلومات الموجودة عنه فقليلة جداً، فذكر حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون": "المستعيني في الطب فقط".

أما ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء فقد قال عنه:

"من أكابر علماء الأندلس في صناعة الطب وله خبرة واعتناء بالغ بالأدوية المفردة. له من الكتب كتاب المجدولة في الأدوية المفردة وضعه مجدولا وألفه للمستعين بالله أبي جعفر بن المؤتمن بالله بن هود".

وله كتاب آخر بعنوان "رسالة التبيين والترتيب" لا يزال مفقودا ولا توجد منه أية نسخة. وقد رتب المؤلف في هذه الرسالة، التي يذكرها في مقدمة "المستعيني"، الأغذية وتكلم فيها عن القوى الأربع؛ الجاذبة والحاصرة والهاضمة والدافعة، وأفعالها بأعضاء البدن المختلفة.

أما نسخ "المستعيني" المخطوطة الموجودة الآن فهي قليلة ولا يعرف منها إلا ثلاث في المكتبات الأوروبية ونسخة أخرى في الخزائن العامة في الرياض.

والمخطوطة رقم 5509 المحفوظة في المكتبة الوطنية في مدريد (إسبانيا)، هي نسخة مكتوبة في مدينة طليطلة، وتتكون من 140 صفحة مكتوبة بخط مغربي جميل.

ويتألف الكتاب المستعيني من قسمين: مقدمة طويلة حول نظريات جالينوس، وقائمة تحتوي على أكثر من 750 مادة طبية نباتية

وحوانية وجمادية. وبعد المقدمة نجد في كل صفحة جدولا يحتوي على ستة أدوية مفردة، والنص العربي ينقسم إلى خمسة أعمدة وهي:

(1) أسماء الأدوية المفردة.

(2) الطباع والدرج.

(3) تفسيرها في اختلاف اللغات.

(4) الأبدال منها.

(5) منافعها وخواصها ووجوه استعمالها. (ويوجد هذا القسم الأخير في الصفحات اليسرى).

ولكل هذه الأقسام أهمية كبيرة للباحثين في ميدان الطب العربي وخاصة القسم الخامس.

أما العامود الثالث الخاص بتفسير أسماء الأدوية باختلاف اللغات فهو مهم جدا من الناحية اللغوية فإن المؤلف يقدم أسماء الأدوية المفردة في ثمانين لغة!

كل من اللغات السريانية والفارسية واليونانية والعربية والعجمية الرومية والعجمية العامية، ويميز المؤلف أحيانا بين أعجمية سرقسطة وأعجمية الأندلس التي كانت لغة العامة في جنوب الجزيرة الإيبيرية!

وعدد المواد الموجودة في مخطوطة مدريد هو 666 مادة بمعدل ست أو خمس أو أحيانا أربع مواد في كل صفحة، بالإضافة إلى المواد التي وجدت في بعض الصفحات المفقودة.

فلنسع كلمات المؤلف بالنسبة إلى هذا الترتيب المجدول، قال المؤلف:
" وسلكت فيه طريقة المتقدمين، وذلك أنهم ذكروا أن التأليف لا يتم حتى يتضمن ثلاث خصال إحداها: جمع ما اختلفت فيه الثانية. باختصار مطول والثالثة. إيضاح مشكل. وكتابي هذا قد جمع هذه الثلاث الخصال وذلك أنني لم أرقط كتابا لمن تقدم قبلي من كتب الأدوية المفردة جمع ما جمعته في هذا الكتاب لأنني جعلت المفرد وطبعه، وفي أي هو في الحرارة والبرودة والرطوبة Physical state ٦ واليبوسة ويمكننا ضبط تاريخ حياة مؤلفنا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، وأوائل القرن الثاني عشر الميلادي. أما مكان موته فلا نعرفه بالضبط.

إن كثرة المصادر والمراجع التي يذكرها تشير إلى أنه كان عالما واسع المعرفة، وأن له مكتبة كبيرة. ونحن نجد مثل هذه المكتبة كمكتبة أبي جعفر ابن عباس وزير الملك زهير في الأندلس، الذي توصل إلى جمع أربعمائة ألف كتاب مجلد وتام، علاوة على (دفاتر) وأوراق مفردة لا تعد!

ويعطي في كتابه تعليمات لتعديل المفعول الضار لبعض الأدوية أو لإصلاح طعمها الكريه أو لمنع القيء أو لإطالة أفعالها أو تأخيرها!!!

فمثلا القول في قوى الأدوية المسهلة... بواسطة خواص بعض الأدوية أو أثرها! كيفية إعطاء المسهلات وقواعده حسب الفصول وتأثير العمل والحركة فيه والوقت المناسب لإعطائها وعلاقة ذلك بالطعام والنوم، إلخ!

أصدت الراحة الكبرى لمن تعبوا وفاز بالحق من لم يأئنه طلبا

* لننظر معا عنوان الكتاب "أبدال الأدوية" يعني يتحدث عن alternative or substitutes

المؤلف: الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا

يعني البدائل فقط لترى حجم العمق العلمي فلم يكن الأمر وصفة مجرية بل كان معرفة لما يفيد وما يصلح مكانه بنفس التأثير المرجو من الدواء.... ويحل لك المشكلة ويعطيك البديل لكي تتنوع الخيارات في البداية يقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرازي القول في الأبدال بحسب ما أرى جزء من أجزاء الطب العظام. تستحق أن تخصص وتنفرد في كتاب والقرض المقصود به إليه عرض نافع للطبيب في أمثال هذه المواضع أبدال تنوب عما فقدته فيها ..

النهاية: "وقد ذكرنا الكثير مما حضرنا من جمل هذه الصناعة وجوامعها، بما فيه كفاية وبلاغ والشكر لله كثيراً كما هو أهله ومستحقه. تمت المقالة في الأبدال. وكتب من نسخه أبي يعقوب بن نسطاس المتطبب".

المصدر: يوسف آغا - آيا صوفيا - استنبول (رقم المصدر 2537)

* كتاب آخر "أحكام الأدوية القلبية" ابن سينا، شرف الملك الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله

الناسخ: السيد مصطفى الصفي المتطبب.

تاريخ النسخ: (معهم 1111 هـ / يوليو 1699 م) في القسطنطينية.

في النهاية يقول: "فهذا ما حضرنا في الكلام في الأدوية القلبية على أقصر ما يمكن من الاختصار. وقد حان لنا أن نتمم هذه المقالة حامدين الواهب لقوة العقل على تميمها ومصلين على أنبيائه ورسله أجمعين.

المراجع: فهرس المخطوطات الطبية المصورة ص 9 - معجم المؤلفين 241 مجلة معهد المخطوطات العربية - 618/1 / الأعلام للزركلي 261/5 - يعني هو كتاب في الفارماكولوجي المتخصص مختصر للمراجعة السريعة.

* كتاب آخر "أدوية الباءة" قيسوني زاده، رئيس الأطباء بدر الدين محمود بن محمد المصري ثم القسطنطيني الرومي (769 هـ 1568 م).

يعني متخصص في الضعف الجنسي فقط .. وهو الآن تخصص مستقل. فلتل الروعة في التقسيم.

البدائية: الحمد لله وكفى وسلامي على عباده الذين اصطفى وبعد .. فهذه تذكرة مباركة إن شاء الله تعالى في أسباب ضعف الباءة وعلامة كل نوع من أنواع الضعف وعلاجه ..

دار الكتب الوطنية - تونس

* كتاب آخر "الأدوية المأمونة أئالوفة" يعني هو يحلمئك أنه «يسرود ما يعتبر Safe and common

البداية: "ومما نقلته مقالة ألفها أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الأهلينج الأملج البريارس، الرواند، الكثيرا.. الحشائش المألوفة..
المصدر: دار الكتب الوطنية - تونس.

ملاحظات: خط مغربي، الرسالة غير واضحة. وهي رسالة منقولة من مقالة ألفها أبو بكر الرازي؛ وفيها بعض المعاجين مثل معجون الورد ومعجون البنفسج ومعجون النعناع ومعجون التفاح.

* "الأدوية المفردة" يعني الأشياء التي هي غير مخلوطة ولا تحتاج متخصصا لتركيبها
المؤلف: ابن سيد الناس
البداية: "هذا تأليف الشيخ الفاضل رئيس الرحلة في علوم الطب والحكمة والتشريح والهيئة الشهير بابن سيد الناس التمس منه بعض
الأفاضل وهو الشيخ أبو جعفر الهمداني وضع كتاب في الأدوية المفردة.."
دار الكتب الوطنية - تونس.

"أرجوزة (الفوائد والمناهج)" المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مسعود بن عمر بن موسى.

البداية: "الحمد لله القديم الباقي رب العباد وعلى الإطلاق أحمدوه وهو أهل الحمد والفضل والكرام ثم المجد".
النهاية: "وكل فرحة خبيثة إذا حملته لها نفى عنها الأذى".

هنا الروعة أنه يجعل العلم على شكل نشيد ينشد، وهو يريك جمال التفكير وجمال اللغة، ويحببك في العلم، ويسهل عليك الحفظ.
والآن في جامعاتنا تعيينا مسألة كيف تستحضر الكم الهائل من المعلومات ويضعون لوحات بها أمور لتتبه من نسي على الحوائط.
"أرجوزة في الطب" مؤلف: مجهول.

تاريخ النسخ: (القرن 10 هـ / 16 م).
البداية: "الحمد لله جليل النعم مصور الخلق وباري النسم، وخالق الأشياء باقترار وحكمة مشرقة الأنوار"

النهاية: "وغدّه الهرائس الدساما وساذج الطعام كيف راما ..."

المصدر: أيرلندا .

قسم المؤلف هذه الأربعة أقسام: الأول في معرفة الأشياء التي بإصلاحها تتم معالجة الأمراض، والثاني في معرفة الأمراض، والثالث في معرفة الأعراض والمقاصد التي يعتمدها من أراد استئراغ شيء من البدن، والرابع في الأمراض التي على ترتيب الأعضاء.

البداية:

وإذا نظمت في كتاب العلم في الطب ما سمعته من نظم
وكان أن نظمته في أملي من ههنا مبتدئاً بالعملي
قد قلت في مبتدأ الكتاب ما احتجت أن اذكر في ذا الباب
وعمل الطب على ضربين فواحد يعمل باليدين
وغيره يعمل باليدوا وما يقدر من الفسداء
النهاية:.

وإن تضاددت تلك العالام ضعيفة فذاك شكر دائم
فقف على الأحكام والقضاء وكن من الأمر على رجاء
وقف إذا تعادلت في مذهب واقض إذا ترجحت بالأغلب

انظر روعة النصيحة!

"عمل بما عليه أكثر الخبراء... لو لم تحسم لا تفعل شيئاً لكلا لا تضر.."
"تمت بعمون الله تعالى الملك الوهاب".
* الإرشاد لصالح الأنفس والأجساد *

عنوان جميل يشدك، فلا يقول لك مثلاً كيمياء الجسم أو خبايا الطب، بل يشدك بأنه سيخبرك عما ينفعك.

المؤلف: ابن جميع، شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زيد بن حسن بن أفرائيم بن يعقوب الإسرائيلي المصري (459 هـ / 1198 م).

وهو هنا يتحدث عن الصحة العامة البداية: "قوانين اللاتي تحفظ الصحة في بدن الإنسان وفي عضو عضو من أعضائه إما يحفظها عليه إن كانت موجودة فيه أو يردّها إليه إذا كانت مفقودة منه.."

المصدر: كتابخانه مجلس شورای ملی - ایران
وينقسم إلى أربع مقالات الأولى في القوانين الكلية في صناعة الطب؛ والثانية في
الأدوية المفردة؛ والثالثة في حفظ الصحة ومداواة الأمراض؛ والرابعة في الأدوية المركبة
والأعراض. وبلي الكتاب أرجوزة فارسية في الطب بمقدار عشر أوراق.
"الأسباب والعلامات" المؤلف: السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن

عمر

البدائية: الحمد لله على نعمائه السابقة وأياديه اللاحقة. قال الشيخ
السمرقندي: "أني قد جمعت لأجلي في هذه المجلدة ما كانت حاجتي إليه اضطرارية عند
مشاهدة المرضى ومعالجتهم. فأقول أني قد جمعت فيها العلل التي تعرض لبدن
الإنسان. أعراض خاصة فالحمراء منها يعرض من نهشها وجع يسير وحكة تسكن.."
والمعالجات البقرائية وكامل الصناعة. بدأ فيه المؤلف بعلل الرأس مروراً بأجزاء
الجسم حتى القدمين. وعلى النسخة ختم مكتبة أصفهان.
"الأغذية والأشربة" المؤلف: السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد
بن علي بن عمر (619 هـ / 1222 م).

جمع المؤلف فيه كلام جالينوس وأقاويل شارحي كلامه في الأغذية وجميع ما يتناولها
الإنسان، وفي طبائعها ومنافعها، وخواص كل واحد منها، وما قاله الأولون في الأغذية
وأفعالها.

"الأقوال الكافية والفصول الشافية" المؤلف: الرسولي، الملك المجاهد علي بن داود بن
يوسف (764 هـ / 1363 م).

البدائية: الحمد لله اللطيف بخلقه المتكفل لهم قبل السؤال بسابغ رزقه..
أما بعد فإنني نظرت بناظر القلب وتمييز العقل فيما أنعم الله به على عباده من النعم
الضافية والمنن الصافية، وما فضل الله به بعضهم على بعض. ستين سنة فما دونها والله
أعلم..

بدأ المؤلف كتابه، الذي قسمه إلى ستة أقوال، بهرس يشتمل على القول الأول في
خصائص الخيل، والثاني في صفاتها وألوانها، والثالث في حملها ونتائجها، والرابع في ذكر
أمراضها، والخامس في ذكر الخيل المشهورة، والسادس في ذكر خيول العجم والبهائم
والحمير.

يعني يعرضك كل شيء كموسوعة ثم ككتاب ببطرة "إيضاح معجزة العلاج" المؤلف:
السجزي، أبو الحسين طاهر بن إبراهيم بن محمد بن طاهر (القرن 5هـ / 11 م).
البداية: الحمد لله رب العالمين..

هذه قوانين ونكت لا يستغني عنها من أراد علاج المرضى، ومسالك وطرق لا بد أن
يسلكها من قصده ألا يحيد في ذلك عن الصواب.. قال طاهر بن إبراهيم..
فسألتني القاضي أبو الفضل مغلد بن حموية استنباط شيء يسهل مستصعبه ويفتح
مستغلقه فجمعت هذه المقالة.. وسميتها إيضاح معجزة العلاج..
أنظر إلى روعة المقدمة التي تشعرك بالألفة معه فهو يشرح سبب كتابته للكتاب
ويحكي القصة كأنك شاهد..

إن الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره في الضناد
"البرهان في أسرار علم الميزان" المؤلف: الجلدكي، عز الدين أيدير بن علي بن أيدير
والموجود منه هو كتاب النبات..

وانظر لحسن الخاتمة يقول.. "وأسأل الله تعالى العون والكفاية ويوفقك كما يحب
ويختار ويعلمك أن تختار ما يصلح لديتك ودنياك من حسن الإختيار، والله تعالى يفعل ما
يشاء ويختار، وقد أن لنا أن نختم كتاب النبات."
"بستان الأطباء وروضة الألباء" المؤلف: ابن المطران، موهق الدين أبو نصر أسعد بن
إلياس بن جرجس الدمشقي (758 هـ / 1191 م)..

البداية: قال جامع هذا الكتاب أبو نصر أسعد بن إلياس بن مطران.. وقد وسمته
ببستان الأطباء وروضة الألباء..

جمع المؤلف في كتابه هذا إشارات وحكم جمعها من عدة مؤلفات تتعلق بالطب
والأطباء؛ يذكر أسماء الكتب ومؤلفيها والفوائد التي أخذها منها؛
والمؤلف لم يتم كتابه كما ذكر صاحب كشف الظنون.

"بغية المحتاج في المجرب من الطب" أحمد بن محمود محرم المصري.
البداية: "بسم الله الرحمن الرحيم. حمداً لمن ألف بين المجموع بعد إبداع
الجميع.. وبعد فهذه جمل لطيفة وفرائد شريفة.. في صناعة الطب
المعروفة لخصتها من الكتب المحررة والرسائل المعتمدة والأسفار الجليلة، نحوت فيها
الوصي والمجرب والدواء القريب والأقرب..
وسميتها بغية المحتاج والمجرب من العلاج.."

ملاحظات: الكتاب كامل، في أوله فهرس للمحتويات؛ وينقسم إلى عشرين باباً ومقدمة وخاتمة. الباب الأول في أمراض الرأس والصداع الحاد؛ والباب العشرون في الأدوية المركبة؛ والخاتمة في العقاقير الجديدة وإصلاح الأدوية المسهلة ووصايا الحكماء النافعة.

"البیان في أسرار الطب للعیان" المؤلف: الحموي، محمد بن أحمد بن علي (القرن 7هـ / 13 م).

ونرى حرصهم على السجع في العنوان وتلك الألحان اللغوية الجميلة تشعرك كم كان الزمن جميلاً.

"البیضة (أمراض الجوارح)" المؤلف: الثعلبي.

في الطب البيطري فقط، وفي شأن الجوارح فقط وليس في الحيوانات الأليفة. أنظر التقدم العلمي والحضاري البداية: الحمد لله الذي له في كل لطيف من قدرته معجز يتفكر فيه وجعل من صنعه يتبّه ويدل عليه، ونعم تقتضي مواصلة حمده، ومنن تحدث على متابعة شكره، والذي ميز كل نوع من حيوان خلقه على حدته وأبانه بشكله. إن الصيد فضائل جمة وملاذ ممتعة ومحاسن بينة..

والأخبار الماثورة ما نحن مجتهدون في شرحه وتلخيصه وتفصيله وتبويبه في هذا الكتاب المترجم بكتاب البيضة على مبلغ حفظنا ومنتهى وسعنا.. الموضوع: صيد وبيطرة.

* من المترجمات تحرير الدفن قبل أربع وعشرين ساعة المؤلف: جالينوس.

البداية: الحمد لله. كتاب جالينوس الذي سماه تحرير الدفن قبل أربع وعشرين ساعة، وأقصاه اثنتان وسبعون ساعة وهو أربع مقالات..

النهاية:.. فإن كانت اليدين باردتين.. الجنب الأيسر فإن رأيته سخناً فهو حي وإن رأيته بارداً فهو ميت والله أعلم هو هنا يتحدث عن حالات الإشتباه في الموت.

الموضوع: طب. المصدر: كتابخانه مجلس شورای - إيران

ملاحظات: قسم المؤلف هذه الرسالة إلى أربع مقالات؛ الأولى من دفن وهو حي من الإغماء؛ الثانية فيمن دفع بوجع القلب؛ والثالثة من الرعب والغم والفرع المضطرب؛ والرابعة من دفن وهو حي من قبل الأدوية المخدرة.

وحتى الآن كما نعلم تلك القضية محل جدال، وهو التعرف على الموت والتيقن منه قبل الدفن، ولكن لو تم التيقن فالسنة التعجيل بالدفن طبعاً "تحفة القادم" وهو عنوان رقيق...

المؤلف: المغازلي، أبو العباس أحمد بن أبي العباس أحمد الخميري
الصقلي التونسي.

البداية: الحمد لله الذي أبدع الكون من غير مثال سابق، خلق آدم من تراب وجعل
نسله من ماء"

"التذكرة؟" (كتاب في أمراض العين) المؤلف: محمد بن محمد (ح 522 هـ 1128 م).
وهو مقسم تقسيماً حديثاً تتبعه الآن البداية: القول في تركيب العين ووصفها لنقف
على العلل الحادثة في صيغاتها ورخوتها وأجفانها وما فيها"
الموضوع: طب (عيون).

(المصدر: إيرلندا . رقم المصدر: 5271)

ملاحظات: يشتمل على أدوات جراحة العين: النص كتب في سنة 522 هـ: سمي
الكتاب (رسالة في أمراض العين). يشتمل الكتاب على خمسة مقالات الأولى لم تنضج
عناوين المقالات الثلاث الأولى لكن هناك بعض العناوين الأولى في تركيب العين، والثاني
في البثور والقروح في العين، والثالث في الرمذ وعلاجه، الرابع في السيل وعلاجه،
الخامس في الطرفة وعلاجها . وعنوان المقالة الرابعة في ذكر أكثر الأدوية المفردة الواقعة
في معاناة العين. والمقالة الخامسة في ذكر كثير من أنواع الأدوية المركبة التي جمعها المؤلف
من كتب العلماء المتقدمين.

"تذكرة الكحالين" المؤلف: الكحال، شرف الدين علي بن عيسى بن علي 430 هـ 1040 /
م).

البداية: فهرس ألباب الأول في أصول ودستورات يعمل عليها في علاج أمراض العين،
قد يجب على من أراد شيئاً من علاج أمراض العين أن يكون عارفاً بأجناس أمراض العين
وهي ثلاثة أمراض".

"التصريف لمن عجز عن التأليف" الرقم: 64 المؤلف: الزهراوي، أبو القاسم خلف بن
العباس الأندلسي 427 هـ 1036 م). (تاريخ النسخ: (القرن 11 هـ / 17 م). عدد الأوراق:

265

البداية: قال الشيخ الإمام أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي..حباكم موارد الخير
ومصادر وحياكم من ذلك الاتباع . وهو يحتوي على ثلاثين مقالة .
النهاية: ..وتحرى جهدك ونزه نفسك من الدخول في طريق الغرر على ما تقدمت،
وصيتي لك فذلك أبقى لجاهك وأسلم لعرضك إن شاء الله".

"تقسيم العلل" المؤلف: الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (313 هـ/ 925 م). (

البداية: قال محمد بن زكريا الرازي جرى بحضرة رجل فاضل ذكر تقاسيم العلل وعلاماتها، ورأيت أن أألف كتاباً في هذا المعنى يعم نفعه..

ملاحظات: الكتاب كامل: مكتوب بخط فارسي؛ يبدأ المؤلف بذكر العلة ثم علاماتها ثم علاجها، فيبدأ أولاً مبتدأاً بالثعلبة وينزل منها إلى باقي أجزاء الجسم كالرأس والصدر والبطن وهكذا.

بمنهاج القرآن نسبني عزناً وبه صروح المكرمات نشيد

كتاب تذكرة داود بعيون عالم معاصر

أوضح د. عبد العزيز صالح من مصر أن مرجع داود بن عمر الأنطاكي تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، وشهرته تذكرة داود، هو أحد أهم المراجع الخاصة بعلوم الصيدلة عند العرب، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية حقيقية، لما يتضمنه من معلومات حول عدد ضخم من المفردات والمركبات والدوائية المستخدمة في ذلك الزمان، وما يتعلق بها من صفات وأفعال وطريقة الاستخدام.

والقراءة الدقيقة لهذا الكتاب بمفهوم العلوم الحديثة تشير إلى حقائق بالغة الأهمية نوجزها فيما يلي:

أولاً قيمة العلم: يؤكد عليها العالم الجليل داود الأنطاكي في مقدمة كتابه حيث يقول "العلم والعفة من صفات الملائكة".

ثانياً المسؤولية العلمية: توضح مقدمة كتاب تذكرة داود أن على العالم أن يحرص على حراسة العلوم وحفظها وتنزيهاها عن الأزدال والضن بها عن ساقطي الهمة! بالطبع حرصاً على ألا يساء استخدام العلم وألا يمتحن هو وأهله.

ثالثاً الدقة: حيث التركيز على العرض المحدد الدقيق وتعيين المواصفات، وتلك أحد الأسس الهامة لنظام الحسبة في الصيدلة التي نعرفها في الوقت الحاضر بنظام توكيد الجودة.

وقد اهتم كتاب تذكرة داود بتحديد العوامل المختلفة التي تؤثر على مواصفات العقاقير المختلفة، وفي هذا الصدد تشير مقدمة الكتاب إلى أن كل واحد من هذه المفردات يفترض إلى فوائن منها: ذكر أسمائه بالألئسن المختلفة ليعم نفعه!

(يعني اسم المادة أو المركب بكل لغة فانظر السعة العلمية لديه ثم بعد الأفق..)

ذكر ماهيته ذكر جيدة ورديته ليؤخذ أو يجتنب ذكر منافعه في سائر أعضاء البدن
كيفية التصرف به مفردا أو مع غيره ذكر مضارها الأثر السام والجاني ذكر المقدار
المأخوذ منه مفردا أو مركبا ذكر ما يقوم مقامه إذا فقد ... يعني البديل

وزاد بعضهم أمرين آخرين:

الزمان الذي يقطع فيه الدواء ويدخر من أين يجلب الدواء..المصدر.

الإستعمال الرشيد للدواء:

يؤكد مفهوم العلاج عند داود الأنطاكي، كما أشار إليه في كتاب تذكرة داود على

الإستعمال الرشيد للدواء.

حيث يقرر في مقدمة الكتاب على أن من الواجب التقليل ما أمكن، فلا يعدل إلى

مفردين إذا أمكن العلاج بواحد، ولا إلى ثلاثة إذا أمكن باثنين وهكذا.

مفهوم تاريخ إنتهاء الصلاحية:

حيث أشار الباب الثالث من تذكرة داود، في مواضع كثيرة عند وصفه لمختلف العقاقير

إلى تاريخ إنتهاء الصلاحية.

وكلها من المفاهيم الصيدلانية الحديثة التي نراها بوضوح في كتاب تذكرة داود والتي

تؤكد المنهج العلمي للعالم الجليل داود بن عمر الأنطاكي.

وأوضح مثله الفاضل د. عبد الناصر كمدان من سوربة دور داود الإنطاكي في طب

العظام

حيث تحدث داود الأنطاكي في كتابه تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب، عن

تجبير الكسور. وقد ابتدأ ذلك بتفريقه بين الرض والكسر، فقال معرفا الرض: بأنه فساد

ما فوق العظم من عصب وغيره ولو غشاء، وقد يحصل من ضربة أو صدمة. أما في

تعريفه الكسر فيقول:

"هي عبارة عن انفصال أجزاء العظم أو العظام بحيث يصير الجزء الواحد بعد شكله

الطبيعي جزأين فصاعدا".

وعن العوامل التي تمنع حدوث جبر الكسر، يتحدث عنها الأنطاكي ويبين كيفية

التعرف عليها. كما تطرق بالحديث أيضا عن الخلع التي قد تصاب بها مختلف مفاصل

الجسم!

وكتب الفاضل الدكتور/ نظير أحمد من الهند عن المؤلفات الفارسية الأولى في الطب

الإسلامي "في الطب الإكلينيكي" ما أوجزه فيما يلي:

بدأ الدارسون الفرس في تأليف الكتب بالفارسية في الطب الإسلامي مع أوائل القرن الرابع الهجري، وخلال الفترة التالية التي دامت ثمانية أو تسعة قرون ظهرت مؤلفات طبية ضخمة بالفارسية.

وهناك مؤلف طبي له شهرة واسعة يسمى "كتاب الأبنية" عن العقاقير الطبية ألفه أبو منصور موفق بن علي الهروي..

وكتاب "هداية المتعلمين" الذي ألف بعد عام 350 هـ، أول كتاب وجد في الطب الإكلينيكي بالفارسية، وقد كانت له شهرته حتى بعد ظهور كتاب "القانون" لابن سينا - ومؤلف الكتاب هو أبو بكر رافع بن أحمد الأخويني البخاري.

ولم يكن الأخويني تابعاً لأمى لأساتذة الماضي فقد كانت له أفكاره الأصلية، أما بالنسبة لعلاج الأمراض فمما لاشك فيه أنه اقتبس من آراء العلماء الأوائل مثل ابقراط، وجالينوس، وثابت بن قرة، وعيسى بن سهل، ومحمد بن زكريا، وآخرين، ولكنه لم يكن يستخدم وصفاتهم الطبية إلا إذا كان قد اختبرها شخصياً، وفي الحالات التي لم يكن قد أجرى عليها تجاربه فإنه كان يشير إلى ذلك، وقد كتب إلى ولده يقول:

"ولكنني وضعت أمامك هذه الصفات التي أجريت تجاربي عليها بنفسي إلا عندما أذكر عبارة ذلك وهذا الشخص يقول" ففي تلك الحالة فإنني لم أقم بنفسي غالباً جداً ما أكون قد عالجت مثل هذه الأمراض وكل ما هو مدون هنا أكون قد اختبرته بنفسي شخصياً، ومع ذلك فإنني أحجم عن تسجيل ما لم أكن قد اختبرته وجريته شخصياً"!

فمثلاً نقل ثلاث وصفات في علاج الروماتزم، وأحدة أخذها عن ابن إسحاق والثانية عن أستاذه أبي القاسم، والثالثة قدمها هو شارحاً بقوله "أنني أفضل وصفتي الطبية فهي لا تحوي كثيراً من السورانجان الذي يضر بالمعدة ويضعف الشهية"!

كما اختلف الأخويني في وصف جرعتين من الزعفران في مرض معين ويبدو ذلك في قوله: "إن هذا الزعفران كثير جداً، وابن ماسويه قد يصف نصف درهم فقط، ومع ذلك فإنني لم أجريه شخصياً وقد يكون من المفيد أن يتم اختباره"!

وقد أورد الأخويني ما لا يقل عن عشرة أنواع من العلاجات الطبية للعديد من الأمراض وكلها من تحضيره وبعض منها أعيد ذكره في كتاب "الموجز الكمي"

ويعد أن أتم تركيبته الفاتقة، وهي عبارة عن قرص لعلاج الروماتزم فقد أورد تحضيره مختتماً بقوله: "إنني لم أصف دواء غير ذلك لمن يمانون من الروماتزم خلال العشرين سنة الماضية، وهذه تركيبتي وقد اختبرتها بنفسي".

وخلال مجرى حياته الطبية الطويلة فقد أورد أمثلة لعلاجاته الناجحة وكذلك لتلك التي لم يوفق فيها (أنظر الأمانة العلمية، والحرص على نفع الأجيال التالية) فمثلا أورد حالة مريضة مزمنة (وهي أميرة) تعاني من الحمى المتقطعة، وقد شفيت تماما بواسطة علاجه.

ويتكون كتاب الهداية من ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول يتناول الدراسة التشريحية ووظائف الأعضاء، ويقع في 21 فصلا، والجزء الثاني يتناول مختلف الأمراض وعلاجها من الرأس حتى القدم، ويقع في 131 فصلا، أما الجزء الثالث فهو يتناول علاج أنواع الحمى المختلفة كما يتناول تعليمات صحية.

وينتهي بدراسة عن النبض ويقع في 19 فصلا.

غذاء العلم والظن المصيب	يطيب الميش أن تلقى حكيمًا
ففضل العلم يعرفه الأديب	فيكشف عنك حيرة كل جهل
وداء الجهل ليس له طبيب	سقام الحرص ليس له دواء

نشوء تخصصات الطب في الأندلس

أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبانا

لم يعد الطبيب ممارساً عاماً بل اتسعت المعرفة، وبدأت الفروع في النشأة. بزغت أسماء أوردتها كتب التاريخ وحفظتها مخطوطاتهم الثمينة في مكتبات العالم، ومن المعاصرين من جمعها مثل الباحث الفاضل د. عبد الله محمد العمراني من المغرب فمن الأجداد الذين تخصصوا مثلاً في طب العيون أحمد بن يونس الحراني الذي يقول عنه أبو داود Ophthalmology بن جليجل: "رايت إثني عشر صبياً صقالبة، طباًخين للأشربة، صنّاعين للممجونات بين يديه. وكان يعطي منها - بإذن الخليفة المستنصر - من احتاج إليها من المساكين والمرضى، كما كان يداوي العين مداواة نفيسة، وله بقرطبة آثارها ذلك... وكان يواسي بعلمه وفنه صديقه وجاره والمساكين والضعفاء ومع ذلك توفي وخلف ما قيمته أزيد من مائة ألف دينار".

والوزير الطبيب أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن واهد اللخمي 466 هـ (4107 م) مؤلف كتاب "تدهيق النظر في علل حاسة البصر".

والطبيب العلامة محمد بن قاسم الغافقي مؤلف "المرشد في الكحول"، ويوجد كتابه مخطوطاً في مكتبة الاسكوريال بإسبانيا.

ومن التخصصات التي نشأت أيضاً طب الأطفال وعلم التوليد.

فالطبيب القرطبي الأندلسي عريب بن سعيد الكاتب ألف كتاب خلق الجنين وتدبير الحبال والمولودين ومخطوطته بإسبانيا أيضاً.

ويتعرض الكتاب لموضوعات هامة، وتبدل على الرقي العلمي مثل: نظام تغذية الحبال، العلامات الأولى للمغاض، نظام تغذية النفساء، وفرة الحليب، الرضاعة، كيفية المحافظة والتوجيه لصحة المولود، النمو والتحويلات التي تعتره.

لي فيك يا ليل آهات أرددها آواه لو أجسدت المحزون آواه

لا تحسبني محباً أشتكى وصباً أهون بما في سبيل الحب آقاه

لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر ونهر جار وقاض عدل وسوق قائم... يعني بها نظام يحفظ الأمن والاستقرار، وعدل يحفظ الحق لأهله ورخاء ورعاية صحية ونشاط تجاري في غير ركود ولا تضخم اقتصادي.

فأمة ترى الطب فرض كفاية هي أمة تحترم العلم، وليست هي أمة الطبيب الساحر كما في مجاهل أفريقيا، ولا أمة الطبيب الذي يكفره رجل الدين كما في عصور الظلام الأوروبية.

ومن المباشرة الطبيب الأريب ابن زهر

أبدع في التعامل مع مشاكل الجهاز الهضمي واستعمل أنابيب التغذية واكتشف حشرة الجرب الدقيقة وسماها صوابة الجرب.

وصف عبد الواحد المراكشي المستشفى الموحد بمراكش فقال: "وإني بمراكش بيمارستان ما أظن أن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسبجة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الإقتراح، وأمر أن يفرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسط إحداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحريير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت.

وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما يتفق عليه خاصة خارجاً عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه الصيادلة لعمل الأشرية والأدهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نفع المريض فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنيا دفع له ماله... ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت، وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله ليمود المرضى... ولم يزل مستمراً على هذا إلى أن مات.

في كتابه الموحدون المؤلف عام 1933 أن هذا Millet وذكر المؤلف المستشفى "لا يخلف وراءه مصحات أوروبا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس".

وقالت المؤرخة ولتر في مختصر التاريخ: "ازدهر علم الطب والتداوي عند العرب على حين كان الأوروبيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون أربابه، إذ أن الكنيسة كانت قد حرمتهم عليهم وحصرت التداوي في زيارة الكنائس والاستشفاء بدخائر القديسين

وبالتعاون والرقى التي كان يبيعها رجال الدين" إلى أن قالت: "وكان الأوروبيون يستنكفون من النظافة لأنها تشبه الوضوء عند المسلمين".

ومن الكتب التعليمية التي حوت كنوزنا في علم الصيدلة:

الدستور البيمارستاني لابن أبي البيان ألفه الطبيب العربي ابن أبي البيان (القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر ميلادي). ومثله ألف الكندي كتاباً في الصيدلة، ومثله كتاب لموسى بن إبراهيم الحديثي وابن بهلول في الصيدلة.

وكلها تذكر الأدوية الموضعية والعامة فتقسم إلى الأشربة والغراغر والأدهان والحقن والسفوفات والعاطوسات والأكحال والبخا

وكتاب سهلان بن كيسان المتوفى عام 990 م المعنون "مختصر في الأدوية المركبة المستعملة في أكثر الأمراض".

وهناك كتاب الدكان" لسعيد بن عبد ربه المتوفى عام 395 م.

وكتاب "أقربادين" مؤلفه سابور بن سهل المتوفى عام 869 م.

و"كتاب الوساد" لابن وافد

لم ينقذ الإسلام أو يرفع له رأساً سوى النفسر الألى رفعوك

ردوا الخيال حقيقة وتطلعوا كالحق حصحص من وراء شكوك

ما أضافه المسلمون إلى مؤلفات التشريح في شبه القارة الهندية الباكستانية خلال الخمسة قرون الماضية:

أضافت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية مبحثاً رائعاً، فيما أضافه المسلمون إلى مؤلفات التشريح في شبه القارة الهندية الباكستانية خلال الخمسة قرون الماضية، بقلم حكيم محمد سعيد وكمال محمد حبيب من باكستان. ووضحا أن أول بحث في هذا الموضوع باللغة الإنجليزية.

وأوضحا أن من أهم المؤلفات التي صدرت عن تاريخ التشريح كتاب لحكيم سيد كمال الدين حسن، يقدم فيه دراسة مقارنة شاملة ويحدد المجالات التي أحرز فيها أطباء المسلمين تقدماً ملموساً.

فيذكر مثلاً أن الرازي كان أول من فرق بين العصب الحنجري والعصب وبالرغم من أن ابن الهيثم قد طور نظرية . الراجع ثم زاد عليها كمال الدين الفارسي من بعده، إلا أن الأبصار الرازي كان أول من قال إن الإبصار يتم عن طريق اتساع حدقة العين وانكماشها .

وفي موضع آخر يذكر أن مفهوم ابن سينا عن الشرايين ودورها في إمداد الجسم بالغذاء والهواء وتخليصه من الأبخرة الدخانية، يقترب كثيراً من المفهوم الحديث عن دور الدم الشرياني في نقل الأوكسجين من الرئتين وتوزيعه على الجسم.

وقد جاء في كتاب الملكي للطبيب المسلم الشهير علي بن العباس، وفي كتاب القانون لابن سينا الوصف الدقيق لتكوين المخ وأجزائه.

وعن المؤلفات التشريحية في شبه القارة الهندية أوضحنا أنه يمكن الحصول من المخطوطات العربية والفارسية التي يعود تاريخها إلى القرون الوسطى والفترة التي تلتها على رسوم واضحة لتشريح الجسم (تشمل الهيكل العظمي والأعصاب والأوردة والشرايين).

وهذا دليل بين لدحض الافتراءات التي تقول بأن الأطباء المسلمين لم يضيفوا للآثار الطبية الأوربية القديمة.

وفي مجال وصف الكتب والمخطوطات والتعريف بها، قامت مؤسسة بنشر أعمال علماء الطب المسلمين وغيرهم من علماء الفروع الأخرى إبان فترة الاحتلال البريطاني.

وعن الصيدلة وعلم العقاقير في شبه القارة الهندية؛ نجد أن أول كتاب رئيسي عن العقاقير الطبية ألفه بهوان بن خواص خان في عام 918 هـ واسمه: "معدن الشفاء سيكاندرشا هي"، وأهداه إلى السلطان سيكاندر لود هي حاكم دلهي.

ويتمرض لتشريح الأعضاء في الجزء الأخير، ويتألف من تسعة فصول.

ودخل الحرفيييون والشعراء والعلماء والأطباء الذين نزحوا عن إيران لشبه القارة الهندية في أوائل العهد المغولي، وكان دخولهم انتماشاً للمعرفة والعلم فيها.

وألّف محمود بن مسعود الشيرازي شرحاً للأجزاء التشريحية في كتاب القانون، وهو من أشمل ما كتب عن شرح القانون وأكثره تفصيلاً، وقد تمت كتابته في يوم الإثنين في السادس والعشرين من شهر شعبان عام 397 هـ، ومخطوطته بمكتبة دار العلوم في ديو باند.

وهناك طبيب آخر من العهد المغولي يسمى عماد الدين محمود شيرازي كتب ضمن عدة مؤلفات أخرى رسالة في التشريح.

ومن المؤلفات الهامة التي ظهرت في ذلك العصر كتاب عن التشريح باللغة الفارسية بعنوان علم الإنسان، ويوجد مخطوط عنه في معهد تاريخ الطب والأبحاث الطبية في "توغلاقا باد" بنيودلهي.

وهناك أيضاً رسالة مطولة بعنوان دانيشناما هي جاهان (كتاب الحكمة الدنيوية) ألفه غيث الدين علي بن علي الحسنّي الأصفهاني، وقد تمت كتابة هذه الرسالة في 21 جمادى الآخرة من عام 1217 هجرية، ويحتل التشريح الباب الأخير الذي يتألف من 32 فصلاً.

ويشرح المؤلف في هذا الباب الأعضاء الداخلية والخارجية والعضلات والأعصاب والعظام والشرابين والحبل الشوكي والعين وطبقاتها، مسالك وفتحات الأذن والأنف والفم واللسان واللهاة واللوزتين والحلق والمرئء والتجويف الصدري والقصبية الهوائية والرئتين والقلب

والمعدة والغشاء الشحمي للأمعاء الغليظة والدقيقة والصفاق والأمعاء الغليظة والمرارة والطحال والكلى والقناة البولية والخصيتين والحويصلات المنوية وعضو الذكورة والرحم، وتوجد مخطوطة في الكلية الطبية بدلهي.

وحتى القرن الثامن عشر كان الطب الإسلامي قد عرف أكثر من عشرة آلاف نوع من النباتات الطبية، ويؤيد هذه الحقيقة كتاب للحكيم الهندي أعظم خان وهو من دلهي، A'zam.

جراحة الجمجمة والدماع عند الأطباء العرب

ذلك المجال برع فيه المسلمون، وأرسوا القواعد العلمية الثابتة للآن.
وقد أشار الدكتور عبد القادر عبد الجبار - حلب / الجمهورية العربية السورية -
لإهتمامهم بالورم الدماغي الذي يتبع إصابات الدماغ، ومعالجته بإحداث حالة نقص
المياه بالجسم، وهي الطريقة المثلثة المتبعة إلى اليوم في علاج هذه الظاهرة. وأشار لدقة
وصفهم للأدوات الجراحية لكل حال من أحوال الإصابات على الجمجمة.
وممن ترك في كتبه درراً تخص جراحة الدماغ

- 1- علي ابن العباس المجوسي 2- ابن سينا
- 3- الزهراوي 4 - البغدادي 5- السمرقندي

أما "علي ابن العباس" فقد عرف أنواع كسور الجمجمة، وفرق بين الشق البسيط
والقوي والمفتت، وأشار للشعر العظمي فقال: "ومن الناس من يضيف إلى هذه الأنواع
نوعاً آخر يسمى الشعري وهو شق رفيع يخفى عن الجس، وهو كثيراً ما يخفى بلا تبين
وريماً كان سبباً للهلاك" وتلك هي نفس تقسيماتنا الحديثة.
"ابن سينا" لقد أوضح ابن سينا معلومة هامة، هي أن عظام الجمجمة لا تلتئم كبقية
العظام بل ترتبط بنسيج ليفي ضام فقال: "فاعلم أن عظام الرأس تخالف عظاماً أخرى
إذا انكسرت لم تجر الطبيعة عليها شيئاً قوياً كما تجريه وتثبتته على سائر العظام بل
شيئاً ضعيفاً".

وأشار إلى أنه يجب قصد العرق لمن أصيب بالفيبوية وإحداث نقص للمياه بجسده
لتقليل الورم بالدماغ.

وتلك هي قواعد معالجة ارتجاج المخ للآن (لتقليل الضغط بالجمجمة) مع فارق
استعدادات مدرات البهل الآن.

"الزهراوي" وصف خطوات جراحة الجمجمة والأدوات، وابتكر هو بعضها.

وأليك فقرة نمارسها الآن: فإن كان العظم قويا صلبا فينبغي أن تتقرب حوله، قبل استعمالك القاطع، بالمثاقب التي سموها غير غائضة".

"عبد اللطيف البغدادي" وضع في مقاله أن جراحة الدماغ كانت من الأمور المميزة ونجح كثير منها: "ولقد رأيت من أخذ من رأسه قطع من العظام وسلم، ورأيت إنسانا قد أخذ من حقه قطعة عظيمة وصار في رأسه حومة إذا صاح أو استرق النفس على الوضع من التحف كان كالرمانة العظيمة".

"نجيب الدين السمرقندي" أشار إلى استعمال الحقن الشرجية لمنع الإمساك: "هنا وقعت السقطة أو الضربة على الرأس فينبغي أن يلين الطبيعة ويندفع بعد الفصد بحقنة ليثة وبماء الفواكه". فالإمساك من محاذير المصاب، فقد يؤدي لفتح الجرح ثانيا كما نعلم الآن.

ولنفصل قليلا عن المخدر سماء المسلمون (المرقد) أي الدواء الذي Sleepener. يجعل المريض يرقد نائما وهو عبارة عن إسفنجة تنقع في محلول من الأعشاب (مثل القنب العربي والخشخاش وست الحسن) ثم تترك لتجف، وقبل الجراحة توضع في فم المريض. وصفه أطباؤهم كابن سينا، حيث قال في كتابه القانون: والتخدير يزيل الوجع لأنه يذهب بحس الجسم وإنما يذهب بحسه لأحد سببين إما بقرط التبريد وإما بسميه مضادة لقوة الجسم

وابتكروا للتخدير أيضا أقماصا (لبوساً أو تحاميل شرجية) تدخل من (الشرج أو شراباً من الفم.. وفي ذلك يقول الرازي في كتابه الحاوي عن البنج أنه:

"إن جعل في المقعدة فتيلة أنامت وقد يعمل منه شراب يبطل الحس" ويصف الرازي مدة التخدير فيقول "إنه يسبب ويبقي سباته ثلاث أو أربع ساعات لا يحس بشيء ولا يعمل" كذلك في مجال التخدير بالاستنشاق، وفي ذلك يقول ابن سينا عن البنج: "من استنشاق راحته عرض له سبات عميق من ساعته".

وقد برعوا في الإفاقة أيضا فابتكروا الإسفنجة المنبهة المشبعة بالخل لإزالة تأثير المخدر وإفاقة المريض بعد الجراحة.

التخدير الموضعي في حالة آلام الأسنان والأذن والرأس

يقول ابن البيطار متحدثا حول البنج "يدهن به الصدغان فيجلب النوم المعتدل وينفع في وجع الأذن قطورا"

التخدير بالتبريد

تحدث عنه ابن سينا في كتابه القانون أن الشيء المبرد بالثلج تبريداً بالغاً يخدر. ويصف استعمال التبريد كمخدر موضعي كما في جراحة الأسنان وفي عمليات البتر. وتعتبر هذه أول إشارة في تاريخ العلم إلى التخدير بالتبريد، وقد أصبح هذا العلم اليوم من أهم عناصر الجراحة الكبيرة في عصرنا الحديث، وهكذا يعتبر اكتشاف التخدير الخطوة الأولى في تقدم علم الجراحة عند المسلمين وفي أوروبا فيما بعد.

وقد أقر للمسلمين بالسبق في ميدان التخدير والفضل في نقله إلى أوروبا الكثير من المستشرقين، فيقول (جوستاف لوبون) في كتابه حضارة العرب ص 523 "ومن فضل العرب استعمالهم البنج (المرقد) الذي ظن أنه من مبتكرات العصر الحاضر"

فعلبك بذر الحب لا قطف الجنى	والله للمساعين خير معين
ستسير فلك الحق تحمل جنده	وستنتهي للشاطين المسامون

تطور تخصص الأنف والأذن والحنجرة في الطب الإسلامي

تم تشريح الحنجرة بدقة شديدة، ونما علم الصوتيات مع علم التجويد لكتاب الله تعالى وفهم مغارج الحروف ورسمها .

وكلنا يعرف أن الحنجرة تركيب غصروفي في أعلى القصبة الهوائية، تشارك في وظيفة الكلام وحماية الجهاز التنفسي.

وقد وضع الدكتور/ مصطفى أحمد شحاتة _مصر_ أن وصفا دقيقا غير مسبوق عالميا ورد في كتاب "خلق الانسان" لابن أبي ثابت من علماء القرن الثالث الهجري، وبعده في كتاب "القانون" لابن سينا في القرن الرابع الهجري، ثم أبي القاسم الزهراوي وابن زهر من الأندلس ثم كثيرين غيرهم.

وقد استطاعوا تشخيص كثير من أمراض الحلق والحنجرة بالفحص المباشر بالنظر وبالتحسس بأصابع اليد، فلقد كانوا يدخلون الأصبع داخل الفم لتحسس أجزاء الحنجرة وأحبالها الصوتية.

وشخصوا عددا من الأمراض النادرة مثل شلل الأحبال الصوتية والأورام، وفصلت تلك الحالات في كتاب (التيسير) لابن زهر، وفي كتاب "فردوس الحكمة" للطبري، وفي الجزء الثالث من كتاب القانون لابن سينا .

علاج أمراض الحنجرة

هناك عدد من الأدوية التي ابتكروها للحنجرة لايزال يستخدم ليومنا هذا، وقد صنعوا شتى العقاقير للحنجرة من أدوية استنشاق والدهانات وغرغرة إلى جانب الحجامة أحيانا .

وفي كتاب "التصريف" للزهراوي مقالة كاملة عن السعوطات والقطورات والبخورات والغراغر!

جراحة الحنجرة:

ابتكر ابن سينا أنبوية القصبة الهوائية، وصنعها من الذهب والفضة، لانقاذ مرضى الاختناق. وما زال أطباء الأنف والأذن والحنجرة يستخدمونها لانقاذ مرضى الاختناق، وأطباء التخدير يستعملونها لتوصيل الغازات المخدرة والأكسجين إلى صدر المريض مع اختلاف المادة فقط.

وتطورت عملية شق الحنجرة أو القصبة الهوائية، التي تستخدم كبديل للأنبوية لإنقاذ حياة مريض الاختناق، وفصل شرحها الزهراوي في كتاب "التصريف" وابن زهر في كتاب التيسير، وهو الجراح الماهر الذي كان يتمرن على تلك العملية على الماعز، ويطور طريقتها ويتابع النتائج الجرح. وذكر حقيقة لم تكن معلومة وهي أن غضاريف القصبة الهوائية يمكن أن تلتئم بعد شفاء جرح العملية، وبذلك عادت تلك الجراحة للواجهة بعد أن تركها الأطباء حيناً من الدهر وعدوها جراحة خطيرة مميتة.

قام الجراحون المسلمون، بعملية استئصال اللوزتين بألة من ابتكار الزهراوي، وقد رسم كل الأجهزة بدقة في كتابه ((التصريف)). وتحدث عن مضاعفات جراحة اللوزتين! ووصف عملية بزل الأذن واستخراج الأجسام الغريبة من الحلق والأذن.

جراحة النساء

نضيف للمشاهير في جراحة النساء تحديدا، خلافا لمن تحدثنا عنهم من الأعلام سابقا، أسماء بارزة كابن عكاشة الكرخي، وأبي الحكم عمرو بن أحمد .
ونجد في مراجعهم في موضوع التوليد مثلا ومراعاة النفساء نصائح عملية راقية جدا تدل على فهم الآلية وتشريح الأعضاء وعلى تجارب كثيرة ومعرفة تامة بعلم النساء والولادة.

مثال: لما قيل في حالة وقوف المشيمة وتأخر اندفاعها إلى الخارج أنه عليك ألا تسحب الحبل السري خشية من عقل الرحم واندلاقه إلى خارج، وهذا تنبيه ينصح به كل الأطباء الآن.

وتجد الجزء التاسع من (الحاوي) للرازي مختصا بعلم النساء والتوليد وبه تلك التعليمات والشروح المسهية.

وكان يوصي بشق الأغشية حول الجنين لإزالة المياه تسهيلات للولادة وهو أسلوب جرى إتباعه لاحقا وتبين أنه نافع للأُم والجنين.

وتحدث عن حالات وجود الجنين في وضع غير مناسب، وكيفية تعديله ليأتي بالرأس أولا

ندين مدى الدهر بين الأنام بدين المعالي وديننا الهمم
أوائلنا زلزلوا الراسيات أنرقند نحن مع الراقدين
بسر الوجود ومعنا الحياة تنزل فينا الكتاب المبين
وتحدث الزهراوي عن حالات الحمل خارج الرحم، والتغيرات التي تحدث أثناء الحمل والولادة.

وابتكر الزهراوي المثقب لحالات استسقاء الدماغ خلافا لما كان مستعملا (سكين)،
وتلك براعة جراحية لسلامة الأم وأنسجة الرحم وما حوله.

وفصلت الكثير من تلك المعائب أيضا في كتاب أحمد بن محمد البلدي (تدبير
الحبال والأطفال والصبيان تحقيق محمود حاصل قاسم)

أيضا أمسة المجسد في الفابر إلام خمولك في الحاضر

ومما كان يعزى إليك الخمول ولا كان يخطب بالخاطر

ولتقف هنيهة مع الطبيب الأريب علي بن العباس المجوسي: ولد في مدينة الأهواز بجنوبي فارس، وقد عاش الرأزي، وتوفي سنة 944.

ألف كتابه المشهور "كامل الصناعة الطبية"، وأهداه للملك عضد الدولة البويهى، وقد درس الطب على يد الطبيب موسى بن سيار وكتابه مرجع قيم، ترجمه إلى اللغة اللاتينية قسطنطين الإفريقي سنة 1180 تحت اسم الكتاب الملكي، وسرق جهده ونسبه لنفسه لكن التاريخ فضحه بعدها بالعثور على النسخ والمخطوطات الأصلية العديدة...

ثم ترجمه ثانية إسطفان الأنطاكي حوالي سنة 1200. وقد طبعت، الترجمة الأخيرة في الهندية سنة 1492

يتألف الكتاب الكامل من جزئين، في كل منهما عشر فصول. بدأه بداية منطقية، فقد تكلم في الجزء الأول عن تشريح جسم الإنسان وأعضائه، ثم الأمراض ووصفها. أما الجزء الثاني ففيه العلاجات وكيفية تحضير الأدوية.

وليشرك القارئ معه في الجو النفسى ويشده، بين علي بن العباس في مقدمة كتابه الأسباب التي دعت له لتأليف هذا الكتاب، وهي أنه لم يجد للسابقين مثل أبقرط وجالينوس أو المعاصرين كالرأزي مؤلفاً واحدا يرجع إليه الباحثون في فن الطب لمعرفة التشخيص وشتى طرق العلاج.

وقال في المقدمة أيضاً حكمة بليغة ترينا كيف كان الحفز النفسى والضمير والدين أموراً مترابطة متصلة بالعلم والسعي في الأرض: "إذا أراد الله بأمة خيراً جعل العلم في ملوكها والملك في علمائها، ولما كان العلم بصناعة الطب أفضل العلوم وأعظمها قدراً وأجلها خطراً وأكثرها منفعة لحاجة الجميع إليها، أحببت أن أضع كتاباً كاملاً في صناعة الطب، جامعاً لكل ما يحتاج إليه المتطببون وغيرهم في حفظ الصحة على الأصحاء وردها على المرضى".

وتحدث في المقدمة ناصحاً آمناً لكل طالب طب وطالب حقاً ذاكرة صفات من أراد أن يتعلم مهنة الطب.

ثم خصص فصلاً آخر في المقدمة ضمنه ذكراً للرؤوس الثمانية التي ينبغي أن تعلم قبل قراءة كل كتاب. وهو شيء رائع أن تجد مقدمة يمثل ذلك الشمول والروعة تعتبر مدخلاً للطب وللعلم.

وقد تحدث عنه الفاضل د. عبد الناصر كعدان من سورية موضعاً أن كتابه يعتبر من أفضل ما ألف إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، حيث جمع فيه المؤلف كل علوم الطب التي كانت سائدة وقتئذ، مع الإشارة إلى المصادر التي اقتبس منها المؤلف حين وضعه كتابه هذا.

وكمثال لبراعته حين تعرض لأمراض الجهاز التناسلي عند الجنسين، في المقالة الثامنة من كتابه الكامل تحدث علي بن العباس ومن خلال أكثر من عشرين فصلاً (انظر الشمول والسعة) عن بعض أمراض الجهاز التناسلي التي قد تصيب الإناث أو الذكور.

ففي مجال اضطرابات الشهوة الجنسية مثلاً، خصص فصلاً خاصاً للتحدث عن نقص الشهوة الجنسية والأدوية المستخدمة لعلاج ذلك، في حين أنه خصص فصلاً آخر للحديث عن فرط الشهوة الجنسية وكيفية علاج ذلك أيضاً.

وتحدث علي بن العباس عن الأمراض التي تصيب رحم المرأة، وقسمها إلى أمراض تصيب الرحم نفسه وهي ما تسمى حالياً بأمراض جسم الرحم، وأمراض أخرى تصيب فم الرحم وهي ما تسمى حالياً بأمراض عنق الرحم. وهو نفس التقسيم الحديث كما تعرض بالحديث، ومن خلال فصل مستقل، عن أسباب العقم مبيناً علاج الكثير من تلك الحالات.

ويتبين لنا مما نرى حجم إنجازات ذلك الطبيب المسلم علي بن العباس في هذا الفرع من علم الطب، وعرضه لأسباب المرض بطريقة علمية فيحدد الأسباب الخاصة ثم العامة ثم النفسية! تماماً كما ندرس الآن..

فمثلاً ضياع الرغبة يقول أنه بسبب الشلل يعني الأسباب العصبية أو بسبب قلة المنى الناتج عن سوء التغذية أو سوء المزاج.

وهو عرض طيب يماثل ما نقوله للمريض في العيادة وما نضعه في مخطبتنا أثناء الفحص الآن.

ومثلاً في شرح الفتق يقول:

"والأسباب العامة لهذه هي إما من وثبة وإما ضربة وإما صيحة قوية لا سيما بعد الاغتذاء....، وهي ما نسميه نحن زيادة ضغط البطن الداخلي ثم يشير إلى أنه قد يصاب الفتق بالاختناق حيث قد يؤدي إلى وفاة العليل! تماماً كما نتحدث عن مصير الحالة الآن ومخاطرها..

بل يتحدث علي بن عباس عن التشخيص التفريقي لحالتي الإستسقاء والفتق وعلى نحو قريب جدا مما يلجأ إليه اليوم للتفريق بين الحالتين.
يقول في ذلك:

"فإن أصحابه إذا استعملوا شيئا من الرياضة والتوثب أو حبس النفس وشيئا آخر مما يشبه ذلك يصير الورم أعظم مما كان، وإذا غمز عليه يكون رجوعه إلى فوق بطيئا ويكون نزوله أيضا بطيئا، ويبقى المعى من فوق على شكله الخاص وفي موضعه حتى يقوم العليل قائما" ومثلا في شرح دوالي الحبل المنوي: يشبهها علي بن عباس بدوالي المساقين. يقول في وصفها: "ويستدل على ذلك بظهور عروق ممثلة ملفوفة كأنها عنقود" وفي الباب التاسع والثلاثين علل الرحم وأسبابها وعلاماتها، فتعرض بالحديث لأكثر أمراض الرحم التي كانت معروفة وقتئذ.
ومن أهم تلك الأمراض نذكر:

احتباس الطمث: ويورد علي بن عباس في البداية أن أسباب احتباس الطمث هي قد تكون بسبب آفات في الرحم أو بسبب مرض ما في الدم أو بسبب مرض عام في الجسم. فمن الأسباب الرحمية يذكر الأورام والتشوهات في جسم الرحم والإسقاط أو رضوض الرحم أو انسدادات
في الرحم بسبب أورام أو غيرها. ومن المعروف حاليا بأن هذه هي الأسباب فعلا وأضيف لها بعض الأسباب الأخرى.

وثأليل فم الرحم: حيث يمكن التعرف عليها كما يشير علي بن عباس عن طريق فتح فم الرحم بالآلة التي يفتح بها الرحم فإنها تتبين بحاسة اللمس والبصر. ويتحدث بدقة عن علامات الحمل الظاهرية العامة والخاصة والثانوية.

ثم يتعرض بالذكر إلى مسألة الإجهاض (إسقاط الأجنة)، فهو يفند أسبابها إما خارجية أو داخلية ويذكر ذلك بالتفصيل.

في نهاية هذا الفصل يذكر الأمور غير التقليدية، كما يحدث في المراجع الآن، كأحوال الأجنة المشوهة كما يتحدث عن التوائم ذاكرا أن المرأة قد تحمل بثلاثة أجنة أو أربعة وقد رأى ذلك بنفسه، أما بخمسة أجنة فقد سمع عن ذلك وهنا الدقة في الكلام فيثبت ما شهده ويحكي ما سمع به كما هو...

ويتبين لنا المدى العلمي الواسع الذي اضطلع به هذا الطبيب، شأنه في ذلك شأن كل الأطباء الأوائل الذين لم يكتفوا فقط بنقل علوم الأولين، بل إنهم أضافوا الكثير من

المعلومات التي حصلوا عليها من خلال ممارستهم الطب في الهممارساتانات التي كانت منتشرة في كل حواضر العالم الإسلامي.

وللمزيد عنه نراجع"عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، دار مكتبة الحياة/ بيروت.
مساهمة الطب الإسلامي في علم أمراض الجهاز البولي التناسلي ساهم علماءنا في تطوير ذلك التخصص من كل وجه التشريح الدقيق غير المسبوق للجهاز البولي؛ ونجده في كتب على بن العباس وأبن سينا وغيرها، وبه توضيح تشريحي وظيفي لمسار الحالبين، ودوره في عدم إرتداد البول عند التبول وتتبع دفق يوضح امتداد شريحة من عضلات البطن إلى الخصيتين، ذكر ابن القف أن الفائدة"رفع الأنهين إلى فوق لئلا تسترخيا إذا كانتا معلقتين".

الحصى البولية

لقد أولى الأطباء المسلمون إهتماماً كبيراً لهذا الموضوع، فلقد حاولوا وأفردوا المقالات العديدة عن (Aetiology تفسير تكوين الحصى علاماتها وأعراضها) وشرحوا بعض العمليات، ولأول مرة، لإخراج وتفتيت هذه الحصى كما نصحوا بالعلاجات الطبية لتفتيتها وقدموا النصائح للتحرز منها! وقد تتبع الفاضل د. أكرم منيب الدجاني من الأردن مواطن الحديث في علم المسالك، مثل بيانهم أسباب تكون الحصى حيث عزوه لضيق عنق الكلى والمثانة والحرارة في باطنها والطعام الغليظ الطبع، وذكر الرازي "يتولد الحصى من قروح في الكلى فيصير فيها مدة وتلفظ حتى تتعجر" بينما يقول ابن قرة ويكون بدء تولدها صفاراً رملياً فإن تمدد بها الزمان وأغفل علاجها اتحد بعضها ببعض فصار حصاة كبيرة وتصلب". وهذا ما نعرفه الآن من وجود مادة صغيرة هي نواة لترسب الأملاح التي تكون الحصى البولية.

وكذلك اتفق ابن سينا والرازي على أن حصاة المثانة أقل في النساء لأن مجرى مثانتهم إلى خارج أقصر وأوسع وأقل تعاريجاً. ولقد هرقوا بكل دقة بين حصاة المثانة وحصاة الكلية من عدة وجوه. وكتبوا في المقارنة بين القولنج ووجع الكلى، وكيفية علاج كل منها.

تفتيت الحصى:

ذكر الرازي على لسان الطبري أن ماء ورق الفجل مفيد لتفتيت الحصى.
الجراحة:

أجرى الزهراوي استئصال حصاة المثانة للنساء عن طريق المهبل، ووصف الرازي تقنية الجراحة واستعمال آلة لفتح الجرح وآلة لنزع الحصاة وأهمية كون الجرح من الداخل أصغر، ويظهر من ذلك الفن الجراحي في الإحتياط بتجنب الإضرار بالأعضاء وما ينتج عن ذلك من مضاعفات.

بينما يرجع اكتشاف معرفة تعدد الخياطات ومختلف الغرز في الإستعمالات الجراحية للزهراوي نفسه والذي أكد على ضرورة الخياطة المنفصلة في طبقات جدار البطن في حالات الجرح البطني.

ولتفتيت الحصى الصغيرة ابتكرت آلة (المثقاب) التي عملها الزهراوي لذلك. أما القسطرة التي استعملوها فقد ظلت هي هي لقرون، يصفها ابن العباس بأنها يجب أن تكون بأحجام مختلفة مناسبة لعمر المريض " وابن سينا يصفها "أجود القناطرات ما كان من ألين الأجساد وأقبلها للتثنية..وقد يتخذ من الأسرب والرصاص والقلقي..فإن كان شديد اللين قوى" ويكون رأسها صلبا مستديرا أو يتقب فيه عدة ثقب حتى إذا حبس في بعضها شيء من دم أو رمل أو خلط غليظ كان لما يزرق من دواء أو يستدر من بول منفذ آخر" ١

تحليل البول:

ولقد وضع الأطباء المسلمون شروطا معينة عند فحص البول لا تختلف كثيرا عما ننصح به هذه الأيام! من كونها عينة الصباح وعدم وجود أصباغ كالحناء وخلقه. وعن فحص البول يقول الرازي "إذا نحن ألفنا كتابا في البول فنقول: ينظر البول إما في اللون وإما في الرسوب وإما في الريح وإما في الطعم وإما في الصفاء وإما في اللمس ثم نقول أصناف اللون كذا وكذا..وأصناف القوام كذا وكذا. ثم أسباب الأصناف وما يدل عليه كل صنف".

علاج البواسير:

كتب أبو عمران موسى بن ميمون كتابا خاصا بها -عنوانه- "في البواسير" وضح فيه البداية بالنظام الغذائي ثم اللجوء للجراحة في النهاية.

وكتب ابن محمود القاسم (المتوفى 1525 هـ) كتابا عنوانه "زاد المسير في علاج البواسير" من عادة الإسلام يرفع عاملا ويُسود المقام والفعلالا وظلمته السنة تؤاخذ به بكم وظلمتموه مفرطين كسالى

طب الأسنان عند العرب والمسلمين

. تتضح من البحوث التي سبرت غور كتاباتهم حقيقة مشرقة هي أن مختصي الأسنان كانوا جراحين عباقره، ولا تزال أساليبهم متبعة.

مثال: قلع الأسنان

يقول الزهراوي:

"ينبغي أن تعالج الضررس من رجمه بكل حيلة وتتوانى عن قلعها حتى إذا لم يكن بد من قلعها، فينبغي إذا عزم العليل على قلعها أن تثبت حتى يصح عندك الضررس الوجع، فكثيراً ما يخدع العليل الوجع ويظن أنه في الضررس الصحيح فيقلعه ثم لا يذهب الوجع حتى يقطع الضررس المريض"

إلى أن قال شارحاً كيفية الخلع..وقطع الأريطة حول الضررس..ثم التثبيت..

"ثم تجذب الضررس على استقامة لئلا تكسره فإن لم يخرج فخذ أحد تلك الآلات فأدخلها تحته من كل جهة برفق ورم (يعني حاول) تحريكه كما فعلت أولاً وإن كان الضررس مثقوباً أو متأكلاً فينبغي أن تملأ ذلك الثقب بخرقه وتسدها سداً جيداً بطرف مرود رفيع لئلا يتفتت في حين شدك عليه بالكلاليب...وتحفظ جهذك لئلا تكسره فيبقى بعضه فيعود العليل منه بلية هي أعظم من وجعه الأول!! وإياك أن تضع ما يضع جهال الحجامين في جسرهم وأقدامهم على قلعهم من غير أن يستعملوا

ما وضعنا، فكثيراً ما يحدثون على الناس بآايا عظيمة أيسرها أن يتكسر الضررس وتبقى أصوله كلها أو بعضها، وإما أن يقلع ببعض عظام الفك كما شاهدناه مراراً! ثم يتمضمض بعد قلعهم بشاراب أو بخل وملح! فإن حدث نزف دم من الموضع، فكثيراً ما يحدث ذلك، فأسحق حينئذ شيئاً من الزاج واحش به الموضع ولا فأكوه إن لم ينفعك الزاج!!

صورة الكلاليب اللطاف التي بها الضررس أولاً تكون طويلة الأطراف قصيرة المقبض غليظة لئلا تثتني عند قبضك الضررس!! وفي طرفها اضراس يدخل بعضها في بعض فتقبض قبضاً محكماً وثيقاً!!

نشر الأسنان المتداخلة ويرد الكسور لكي لا تجرح اللسان؛

يقول الزهراوي:

٤ وأن كان ضرر قد انكسر منه بعضه فكان يؤذي اللسان عند الكلام فينبغي أن تبرده أيضاً حتى تذهب بخشونة ذلك الكسر ويستوي ويملس ولا يؤذي اللسان ولا يفسد الكلام.

قطع الرياط تحت اللسان (لجيم اللسان)

يتحدث فيه على بن العباس فيقول:

"إذا كان تعقد اللسان طبيعياً وكان ذلك من قبل غلط الرياطات فينبغي أن تعقد العليل بين يديك على كرسي وتفتح فاه وترفع لسانه إلى فوق جيداً أو تقطع ذلك الرياط العصبي عرضاً بالمبضع".

وبين الزهراوي أهمية الكي بالحرارة لوقف النزف وهو بديلهم للكي الكهربائي المستخدم حالياً.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوا في إثرها قدما

كسور الفلك:

تعامل معها الأطباء بكل حذق وردوها بالشكل العلمي وخطوا الأسنان به لشدها بخيوط الذهب والفضة.

ثابت بن قرة ..

كان ثابت بن قرة عالماً ومن كبار المترجمين.

ولد ثابت بن قرة (سنة 221 هـ = 834 م) في حران - جزء من تركيا الآن وكان من الصابئة قبل أن يسلم لرب العالمين.

برع ثابت بن قرة في الطب، والرياضيات، والفلك، وأتقن عدداً من اللغات.
من ترجماته:

- كتاب جغرافيا في المعمورة وصفة الأرض لبطليموس.

- كتاب الكرة المتحركة لأوطوليوقوس.

ومن أهم إنجازاته في الرياضيات:

دراساته الفذة في علم الأعداد، حيث أصل تقسيم الأعداد إلى الأعداد الزوجية والفردية، ومهد لإنشاء علم التفاضل والتكامل بشرح العلاقة بين الجبر والهندسة.

كان ثابت متبحراً في علم الأمراض الجلدية، والنحافة والسمنة. وصف عدداً من الأمراض النفسية أيضاً. وتناول في كتبه علم التوليد، وشرح الولادة العسرة.

كما أثبت تفوقا ونهوغا في مجال طب العيون، وشرح داء المياه البيضاء والزرقاء، وبسط ضعف البصر وأسبابه.

من مؤلفاته الطبية:

- كتاب الذخيرة في علم الطب.

- كتاب في علم العين وعلاها ومداواتها.

- كتاب في الجدري والحصبة.

- كتابة الروضة في الطب.

- رسالة في توليد الحصاة.

ومن نصائحه:

"راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الأثام وراحة اللسان في قلة الكلام".

ثابت بن سنان

هو حفيد ثابت بن قرة، رأت له ترجمة حسنة في سير أعلام النبلاء للذهبي، وتحدث عنه حديثا وأقيا الباحث الفاضل سمير حلي من مصر.

جمع "ثابت بن سنان" عددا كبيرا من العلوم مثل جده. فكان مؤرخاً أدبيا طبيبا فلكيا ورياضيا أيضا!

وقد تولى "ثابت بن سنان" إدارة بیمارستان بغداد الشهير. وكان يدرس كتب أبقراط وجالينوس، ويترجم الكتب الطبية من اللغات السريانية واليونانية ويشرحها ويشرحها بعلمه. وقد وضع "ثابت" كتابا قيما في التاريخ أيضا، جعله ذيلاً على "تاريخ الطبري".

كانت وفاته في [11 من ذي القعدة 365 هـ = 11 من يوليو 597 م].

ابن الهيثم ...

تأمل معي نظارة القراءة ليست كشفا غريبا ولا شماليا، بل اخترعها ابن الهيثم المولود سنة 596م. فقد كان عالما هذا عبقريا وترك دررا تسبق عصره، ولم تكن درره علمية فقط ...

تأمل ما قال في عمق كتبه:

".. لم أقصد به مخاطبة جميع الناس لا غير الفاضل منهم وقلت في ذلك كما قال جالينوس في كتابه في النبض الكبير ليس خطابي في هذا الكتاب لجميع الناس بل

خطابي لرجل منهم يوازي ألف رجل بل عشرات ألف رجل إذ كان الحق ليس هو بأن يدركه الكثير من الناس لكن هو بأن يدركه فهم الفاضل!

فهو هنا يقرر حقيقة التجرد والإنصاف وأن الحق ليس بالغلبة ولا بالأغلبية.

وعندما كبر ابن الهيثم في العمر أحس بضعف بصره مما يتهده في أمر مطالعته وفي حرفته وهي مصدر رزقه الرئيسي وهو نسخ الكتب العلمية.. ولكنه عالم في البصريات لم ييأس، وأخذ يجري التجارب في معمله على الزجاج، حتى صنع قرصاً كبيراً من الزجاج المحدب إذا وضعه على الكتاب فإنه يكرر الكتابة والخط.

ولكن ابن الهيثم الذي كان يعرف تركيب العين ووظائف القرنية والعدسة. كان يعلم أن كل عين لها قوة إبصار خاصة بها تتوقف على العدسة. فقرر أن يصنع بدلاً من قرص الزجاج قرصين، واحد لكل عين حسب قوة ابصارها، وبذلك توصل ابن الهيثم إلى صناعة أول نظارة طبية للقراءة في التاريخ. تعتمد على قياس النظر لكل عين على حدة.. وكانت هذه النظارة تثبت أمام العين أثناء القراءة.

ودور النظارة في تطور الحضارة الإنسانية كبير، فقد ساعدت ضعاف البصر على أن يعيشوا حياة طبيعية.. وأن يقرأوا وينتجوا، وهذه نعمة عظيمة. ولم يتكسب ابن الهيثم من تلك الابتكارات!

وكم كان ابن الهيثم عفيفاً وأعياناً وهو يقول:

فإن ثمرة هذه العلوم هو علم الحق والعمل بالعدل في جميع الأمور الدنيوية والعدل هو محض الخير الذي يفعله يفوز... أين العالم الأرضي من نعيم الآخرة السماوي! ويعتاض الفائز عن صعوبة ما يلقاه مدة البقاء المنقطع في دار الدنيا بدوام الحياة منعماً في الدار الآخرة وإلى الله تعالى أرجب في توفيقي لأتقرب إليه

كان تاريخ كتابة ابن الهيثم لهذه الكلمة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة. وكتب عنه المؤرخون أنه كان له خط جميل في غاية الصحة كتب به الكثير من علوم الرياضة.

كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن اشتغاله وهي إقليدس والمتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة السنة، فإذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية. وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج فيه إلى مواكسة ولا معاودة قول فيجعلها مؤنثة لستته، ولم يزل على ذلك إلى أن مات بالقاهرة في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة أو بعدها بقليل والله أعلم.

وقد عدّه كثيرون رائداً للمنهج التجريبي الذي يعمى لفرنسيس بيكون، مع أن ابن الهيثم سبقه بخمسة قرون.

وقد ألف ابن الهيثم في البصريا ما يقرب من أربعة وعشرين موضوعا ما بين كتاب ورسالة ومقالة، ما بقي منها ضمنه مكتبات إستانبول ولندن وغيرها .
وقد سلم من الضياع كتابه العظيم "المناظر" الذي احتوى على نظريات مبتكرة في علم الضوء، وظل المرجع الرئيسي لهذا العلم حتى القرن السابع عشر الميلادي بعد ترجمته إلى اللاتينية .

والحسن بن الهيثم هو أول من بين خطأ نظرية إقليدس وغيره في أن شعاع الضوء ينبعث من العين ويقع على المبصر. وقرر عكس هذه النظرية في أن شعاع الضوء يخرج من الشيء المبصر ويقع على العين، واستدل بالتجربة والمطاهدة على أن امتداد شعاع الضوء يكون على خط مستقيم.

وعرف ابن الهيثم الأجسام الشفافة، وهي التي ينفذ منها الضوء ويدرك البصر ما وراءها كالهواء والماء، وبين أن الضوء إذا نفذ من وسط شفاف إلى آخر شفاف انعطف عن استقامته .

وبحث في انكسار الأشعة الضوئية عند نفاذها في الهواء المحيط بالكرة الأرضية، وبين أن كثافة الهواء في الطبقات السفلى أكبر منها في الطبقات العليا، وأن الهواء لا يمتد من غير نهاية، وإنما ينتهي عند ارتفاع معين يعني الفضاء الجوي.
فإذا مر شعاع من الضوء خلال هذه الطبقات الهوائية المختلفة الكثافة فإنه ينكسر رويدا رويدا وينحني تدريجيا نحو سطح الأرض، ويترتب على ذلك أن النجم أو الكوكب الذي ترقيه العين يظهر في موضع أقرب من موضعه الحقيقي، وأشار إلى الخطأ الذي ينشأ عن ذلك في الرصد وإلى وجوب تصحيحه .

وشرح الحسن بن الهيثم كيفية حدوث الرؤية، وبين في ذلك تركيب العين وانتقال التأثير الحاصل بوساطة العصب البصري،

ويوجد في مكتبات العالم في القاهرة ولندن وباريس وإستانبول أكثر من واحد وعشرين مخطوطا لابن الهيثم في هذا التخصص.

وفي الحساب والجبر والمقابلة ألف ما لا يقل عن عشرة كتب، لا يوجد منها سوى مخطوطات قليلة في مكتبة عاطف بتركيا منها : حساب المعاملات، واستخراج مسألة عديدة .

وفي الفلك أبدع ابن الهيثم كعالم من الطراز الأول، وأسهم فيه بفاعلية حتى أطلق عليه "بطليموس الثاني". ولم يصلنا من تراث ابن الهيثم في الفلكيات إلا نحو سبع عشرة مقالة من أربعة وعشرين تأليفاً، تحدث فيها عن أبعاد الأجرام السماوية وأحجامها وكيفية رؤيتها وغير ذلك.

وله في الطب كتابان: أحدهما في تقويم الصناعة الطبية ضمنه خلاصة ثلاثين كتاباً قرأها لجالينوس، والآخر مقالة في الرد على أبي الفرج عبد الله بن الطبيب لإبطال رأيه الذي يخالف فيه رأي جالينوس. وله أيضاً رسالة في تشريح العين وكيفية الإبصار.

ومما قال وإن أطال الله لي في مدة الحياة وفصح في العمر صنت وشرحت ولخصت من هذه العلوم أشياء كثيرة تتردد في نفسي ويبحثني ويحتني على إخراجها فكري، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويبدع مقاليد كل شيء وهو المبدئ المعيد وهذا ما يجب أن أذكره في معنى ما صنعت واختصرته من علوم الأوائل قصدت به مذاكرة الحكماء الأفاضل والمقلد الأمثال من الناس كالذي يقول

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقي قد مات جهلاً وغياً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا البقاء في الجهل شياً
وهذان البيتان هما لأبي القاسم بن الوزير أبي الحسن علي بن عيسى.

أبو الفرج يحيى بن التلميز

هو الحكيم صاعد بن يحيى بن التلميز كان متعياً في العلوم الحكيمة متقناً للصناعة الطبية متعلماً بالأدب بالغاً فيه أعلى الرتب.

كان من المشايخ المشهورين في صناعة الطب، وله تلاميذ عدة وقال الشريف أبو المعالي العباسي من قصيدة يمدحه فيها

ما زال يمشيني نداه حاضراً وينوب عني في المطالب غائباً
ومن شعر هذا الطبيب الشاعر نفسه
أيا عجباً لها سوداء خلقاً تريك خلائقاً بيضاً كراماً

وله من الكتب كتاب المعير وهو من أجل كتبه وأشهرها. وكتاب الأقرباذين في علم الدواء.

يديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي
من الحكماء الفضلاء والأدباء النبلاء طيب عالم، وكان متقناً لعلم النجوم والرصد .

العنثري

هو أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري .
كان طبيباً مشهوراً، وعالمًا مذكوراً، حسن المعالجة، جيد التدبير، وافر
الفضل، متميزاً في علم الأدب وله شعر كثير في الحكمة وغيرها .
وكان في أول أمره يكتب أحاديث عنتر العبسي فصار مشهوراً بنسبته إليه فسمى
العنثري . .

ومن كلامه في الحكمة قال:
"بني تعلم العلوم فلو لم تتل من الدنيا إلا الفنى عمن يستعبدك بحق أو بباطل" ...
"بني إن الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بأزمة الجهل إلى الخطأ والصواب"
"الجاهل عيب لا يفتق رقه إلا بالمعرفة"
"الحكمة سراج النفس فتبى عدمها عميت النفس عن الحق"
"الجاهل سكران لا يفيق إلا بالمعرفة"
"الحكمة دواء من الموت الأبدي"
"العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق"
"عدم الحكمة هو العقم العظيم"
"الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال"
"الغم ليل القلب والسرور نهاره"
"وشرب السم أهون من معاناة الهم"
ومن شعره

نقله ابنه مؤيد الدين، قال أنشدني والدي لنفسه

أحفظ بني وصيتي وأعمل بها	فالطلب مجموع بنص كلامي
قدم على طب المريض عناية	في حفظ قوته مع الأيام
وأجعل طعامك كل يوم مرة	وأحذر طعاماً قبل هضم طعام
لا تحقر المريض اليسير فإنه	كالنار يصبح وهي ذات ضرام

إيالك تلزم أكل شيء واحد فتقود طبعك لسلاذى بزمام
وقال أيضاً
قالوا رضيت وأنت أعلم ذا الورى بحقائق الأشياء عن بارها
لي همة مأسورة لي صادفت سعداً بغير عوائق تشبهها
ضاق الفضاء بها فلا يستطيعها لعلوها الأفلالك أن تحويها
أطوي الليالي بالمنى وصروفها تنشرني أضعاف ما أطويها
إنني على نوب الزمان لصابر إما ستفنى العمر أو ينفىها
أما الذي يبقى فقد أحرزته والفانيات فما أفكر فيها
فقد يسود الفتى من غير سابقة للأصل بالعلم حتى يبلغ الشها
غذ العلوم بتذكارات تزد أبدأ فالنار تخمد مهما لم تجد حطبها
إنني أرى عدم الإنسان أصلح من عمر به لم ينل علماً ولا نسباً
قضى الحياة فلما مات شيمه جهل وفقر فقد قضاهما نصبا

وللعتري من الكتب كتاب النور المجتلى من روض الندماء، وتذكارات الفضلاء الحكماء، ونزهة الحياة الدنيا رتبته على فصول السنة وضمته أشعاراً وفوائد حسنة لجماعة من الأدباء ولنفسه أيضاً وكتاب الأقرباذين وهو أقرباذين كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة وأجاد في تأليفه

فخر الدين المارديني

هو الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الأنصاري كان أوحد زمانه وعلامة وقته، فاضل النفس جيد المعرفة بصناعة الطب محاولاً لأعمالها كثير التحقيق... نزهة النفس محباً للخير متقناً للغة متفناً في العربية مولده في ماريدين وأجداده من القدس وكان أبوه قاضياً.

قرأ كتاب القانون لابن سينا على أمين الدولة بن التلميذ وباحثه فيه وبألف في تصحيحه وتحريره معه، كان أستاذاً في الطب له مجلس عام للتدريس . أقام بدمشق إلى آخر شهر شعبان سنة تسع وثمانين وخمسائة وتوجه قاصداً إلى بلده، ولما عزم على السفر أتاه الشيخ مهذب الدين وسأله إن كان يمكنه أن يقيم بدمشق

ليتم عليه قراءة كتاب القانون وأن يكون يوصل إلى وكيله برسم النفقة في كل شهر
ثلاثمائة درهم ناصرية، فلم يفعل وقال العلم لا يباع أصلاً بل من كان معي فإني أشغله
أين كنت.

وتوفي فخر الدين المارديني رحمه الله يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة
سنة أربع وتسعين وخمسمائة بآمد وله من العمر اثنتان وثمانون سنة.

ووقف جميع كتبه في ماردین في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن أرتق وكان حسام
الدين هذا فاضلاً حكيماً وقد وقف أيضاً في مشهده كتباً حكيمية.

والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من أجود الكتب وهي نسخة التي كان قد
قرأ أكثرها على مشايخه وحررها وقد بالغ في تصحيحها وإتقانها.

وحدثني سديد الدين محمود بن عمر وكان حاضراً عند الشيخ فخر الدين المارديني
وقت موته قال لم يزل الشيخ فخر الدين لما أحس بالموت يذكر الله تعالى ويمجده ولم
يفتر عن ذلك إلى حين قضى وكان آخر شيء سمعناه منه اللهم إني آمنت بك وبرسولك
صدق أن الله يستحي من عذاب الشيخ.

أبو نصر بن المسيحي

هو أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي من المتميزين في صناعة
الطب والأفاضل من أهلها والأعيان من أربابها.

ولأبي نصر بن المسيحي من الكتب كتاب الإقتضاب على طريق المسألة والجواب في
الطب وكتاب إنتخاب الإقتضاب.

أبن سدير

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله كان طبيباً عالماً، ويقول الشعر، وكان في
دمائه ودعابة.

وتوفي بالمدائن فجأة في العشر الأخير من رمضان سنة ستة وستمائة.

ومن شعر ابن سدير

أيما منقذي من معشر زاد لؤمهم	فأعيا دوائني واستكان له طبي
إذا اعتل منهم واحد فهو صحتي	وان ظل حياً كدت أقضي به نحبي
أداويهم إلا ممن اللؤم إنسه	ليعيي علاق الحاذق الفطن الطب

أبو الحسن علي بن أحمد بن هبيل البغدادي

ويعرف أيضاً بالخلاطي ولد ببغداد كان أوحد وقته وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي الحكمة متميزاً في صناعة الأدب وله شعر حسن وأفاد بليغة وكان متقناً لحفظ القرآن وكان أيضاً يسمع حديث رسول الله صلى الله وسلم. وروى أحاديثاً منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.

وقال:

أيا أثلاث بالعراق أفتها	عليك سلام لا يزال يفوح
لقد كنت جليداً ثورياً بفنائها	فقد عاد مكتوم الفؤاد يبيح
فما أحسن الأيام في ظل أنسها	قبيل طلوع الشمس حين تلوح
وقد غرد القمر في غسق الدجى	وراعى حمام في الأصول ينوح
ذكرت ليال بالصراط وطيبها	نظير لها شوقاً ونحن جموح

وله من الكتب كتاب المختار في الطب، وهو كتاب جليل يشتمل على علم وعمل. وكتاب الطب الجمالي صنفه لجمال الدين محمد الوزير المعروف بالجواد، وكان تصنيفه للمختار سنة ستين وخمسمائة بالموصل.

كمال الدين بن يونس هو كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس بن محمد. بن منعة علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء. قد اتقن الحكمة وتميز في سائر العلوم وكان عظيماً في العلوم الشرعية والفقه، وكان مدرساً في المدرسة بالموصل وقرأ العلوم بأسرها والطب والتعاليم وغير ذلك وله مصنفات في نهاية الجودة ولم يزل مقيماً بمدينة الموصل إلى أن توفى إلى رحمة الله. وله من الكتب كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في تفسير القرآن وشرح كتاب التنبيه في الفقه مجلدان وكتاب مفردات ألفاظ القانون في الطب.

أبو الخير الحسن بن سوار

المعروف ابن الخمار لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي به خير ونام اسم أي اسم الخير.

وكان أبو الخير الحسن نصرانياً عالماً بأصول صناعة الطب وفروعها خبيراً بفوائدها
كثير الدراية لها ماهراً في العلوم الحكيمة وله مصنفات جليلة في صناعة الطب وغيرها .
وكان خبيراً بالنقل وقد نقل كتباً كثيرة من السرياني إلى العربي .
له مختصر مقالة في الصديق والصدافة، مقالة في سيرة الفيلسوف، مقالة في الآثار
المخيلة في الجو الحادثة عن البخار المائي وهي الهالة والقوس والضباب على طريق
المسألة والجواب، مقالة في امتحان الأطباء صنفها للأمير خوارزمشاه أبي العباس مأمون
بن مأمون، كتاب في خلق الإنسان وتركيب أعضائه أربع مقالات، كتاب تدبير المشايخ طب
المسنين .

أبو منصور الحسن بن نوح القمري

وهو ممن علم ابن سينا، وكان سيد وقته وأحد زمانه مشهوراً بالجودة في صناعة
الطب محمود الطريقة في أعمالها وله كتاب غنى ومنى، وقد استقصى فيه ذكر الأمراض
ومداواتها على أفضل ما يكون ولخص فيه جملاً من أقوال المتعنيين في صناعة الطب
وخصوصاً ما ذكره الرازي تفرقاً في كتبه كتاب علل العلل .

أبو الريحان البيروني

هو الأستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني منسوب إلى بيرون وهي مدينة في
السند .

كان مشتغلاً بالعلوم فاضلاً في علم الفلك والنجوم، وله نظر جيد في صناعة الطب،
وكان معاصراً لابن سينا وبينهما محادثات ومراسلات .
له كتاب الصيدلة في الطب استقصى فيها معرفة ماهيات الأدوية ومعرفة أسمائها
واختلاف آراء المتقدمين وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه وقد رتبته على حروف
المعجم .

وكتاب تسطيح الكرة وكتاب العمل بالأصطرلاب كتاب القانون المسعودي ألفه لمسعود
بن محمود بن سبكتكين، وحذا فيه حذو بطليموس كتاب التفهيم في صناعة التنجيم
مقالة في تلافي عوارض الزلّة في كتاب دلائل القبلّة .

ابن مندويه الأصفهاني

هو أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه من الأطباء المذكورين في بلاد العجم وكانت له أعمال مشهورة مشكورة في صناعة الطب وكان من البيوتات الأجلة بأصفهان فاضلاً في علم الأدب وأمر الدين.

وله أشعار حسنة من ذلك قال

ويحزر أموالاً رجال أشجة وتشغل عما خلفهن وتذهل

لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى بشيء ولا الإنسان معلل

ولأبي علي بن مندويه الأصفهاني من الكتب رسائل عدة من ذلك أربعون رسالة مشهورة إلى جماعة من أصحابه في الطب وهي رسالة إلى أحمد بن سعد في تدبير الجسد ورسالة في تدبير المسافر... العناية بصحة المسافر، وهو سبق كبير رسالة في تركيب طبقات العين... فسيحان الله على دقة التشريح.

رسالة في وصف انهضام الطعام

رسالة إلى أحمد بن سعد في وصف المعدة والقصد لعلاجها

رسالة في القولنج في أيام صحته

رسالة في تدبير ضعف الكلى لمن يستبشع الحقنة

رسالة إلى أبي الفضل في علاج المثانة

رسالة إلى الأستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير

رسالة في أسباب الباه عن القوة الجنسية

رسالة في علاج وجع الركبة

رسالة في الرد على كتاب نقص الطب المنسوب إلى الجاحظ

رسالة إلى حمزة بن الحسن في الرد على من أنكر حاجة الطبيب إلى علم اللغة (أنظر

الوعي يؤلف كتاباً في حاجة الطبيب إلى اللغة)

كتاب المدخل إلى الطب

كتاب نهاية الاختصار في الطب

كتاب الكافي في الطب ويعرف أيضاً بكتاب القانون الصغير.

ابن أبي صادق

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن أبي صادق النيسابوري
طبيب بارع كثير الدراية كان فصيحاً بليغ الكلام وما فسر من كتب جالينوس فهو في
نهاية الجودة والإتقان، فإنه أجهد نفسه فيه وأجاد في تلخيص معانيه، وهو أيضاً يقول
عن عمله في الكتاب:

"وأضافة إليه مما وجدته من الزيادات في مصنفات جالينوس ومصنفات غيره من
المحصلين في هذا الباب ورتبنا كل مقالة تعليماً وتعليماً وإلحقنا بأواخر كل منها ما يتبين
به من تشريح عضو عضو يتضمن منافعه تلك المقالة ليسهل على من أراد تشريح أي
عضو كان أو منافع أي جزء من أجزائه وجدانه"

وكان فراغه من هذا الكتاب في سنة تسع وخمسين وأربعمائة طبقات الأطباء الذين
ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

اسحاق بن عمران

طبيب مشهور وعالم مذكور، كان طبيباً حاذقاً متميزاً وصيدلانياً عبقرياً بتأليف
الأدوية المركبة بصيراً بترفة العلل .

أشبه الأوائل في علمه وجودة قريحته، استوطن القيروان حيناً .
وألّف كتباً منها :

كتابه المعروف بنزهة النفس

وكتابه في داء الماينخوليا ... لم يسبق مثله

وكتابه في الفصد

وكتاب في النفض .

وكتاب الأدوية المفردة

كتاب المنصر والتعام في الطب

مقالة في الاستسقاء

ابن الجزار

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، ويعرف بأبن الجزار من أهل القيروان
أسرته كلها أطباء فهو طبيب ابن طبيب وعمه أبو بكر طبيب.

كان حسن الفهم، وقال سليمان بن حسان إن أحمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذاً عجيباً في سمته وهديه ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط، ولا أخلد إلى لذة. حسبجان الله لم يؤثر أنه ارتكب خطأ فقط

وكان يتنهد في كل عام للجهاد إلى رابطة على البحر المستير وهو موضع مرابطة مشهور البركة مذكور في الأخبار على ساحل البحر الرومي، فيكون هنالك طول أيام القبط ثم ينصرف إلى إفريقية ... وله قصة في العفة

قام له ابن أخي القاضي علي وأراه قارورة بول كانت معه لابن عمه، واستوفى جوابه عليها، وركب بعد أن وصف له العلاج وجعل يتكرر إليه في كل يوم حتى برئ العليل. ثم أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال، فقرأ الكتاب وجاوبه شاكرًا ولم يقبض المال ولا الكسوة، فقلت له يا أبا جعفر رزق ساقه الله إليك، قال لي والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة. وعاش أحمد بن الجزار نيفاً وثمانين سنة، ومات بالقيروان، ووجد له مكتبة عظيمة عشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها.

وقال كشاجم يمدح أبا جعفر أحمد بن الجزار ويصف كتابه المعروف ب زاد المسافر
أبا جعفر أبقيت حياً وميتاً مفاخر في طهر الزمان عظاماً
رأيت على زاد المسافر عندنا من الناظرين العارفين زحاما

وهو كتابه في علاج الأمراض ويعرف ب زاد المسافر وله مجلدان كتاب في الأدوية المفردة ويعرف باعتماد كتاب في الأدوية المركبة وله كتاب كبير في الطب اسمه قوت المقيم وكان عشرين مجلداً كتاب التعريف بصحيح التاريخ، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه، وقطعة جميلة من أخبارهم.

رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها كتاب في المعدة وأمراضها ومداداتها كتاب طب الفقراء وهو سبق أيضاً في مجال الطب رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه كتاب في الأسباب المولدة للوباء في مصر، وطريق الحيلة في دفع ذلك، وعلاج ما يتخوف منه.

رسالة في المعدة وأوجاعها، وهو مثل ما يحدث الآن من جراح الحوض
كتاب المكلل في الأدب
وكتاب الفصول في سائر العلوم والبلاغات.

ابن السمع

هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمع المهندس الفرناطي وهو مهندس طبيب، كان محققاً لعلم العدد والهندسة متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له مع ذلك عناية بالطب.

وله تأليف حصان منها :

كتاب المدخل إلى الهندسة في تفسير كتاب أھلیدس

ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات

ومنها كتابه الكبير في الهندسة، يقضي فيه أجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني.

توفي بمدينة غرناطة لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة، وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية

ابن خلدون

هو أبو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي من أشراف أهل إشبيلية، كان مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب حريصاً على علم الإصلاح للأخلاق وعلم الاجتماع...

فتذوقوا طعم الحياة وأدركوا	ما في الجهالة من أذى وتباب
العلم في البأساء منزلة رحمة	والجهل في النعماء سوط عذاب
ولعل ورد العلم ما لم يرعه	ساق من الأخلاق ورد سراب

أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر

لحق بأبيه في صناعة الطب وكان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد، واشتغل الأطباء بمصنفاته ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب وله حكايات كثيرة في تآنيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسبقه أحد من الأطباء إلى مثل ذلك.

وآلف كتاب الترياق السبعيني لمعالجة السموم، واختصره عشراً واختصره سباعياً ويعرف بترياق الأنتلة.

وله قصة لطيفة، أنه كان في وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين بإشبيلية يجد في طريقه عند حمام أبي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً به سوء وقد كبر جوفه واصفر لونه فكان أبداً يشكو إليه حاله ويسأله النظر في أمره.

فلما كان بعض الأيام سأله مثل ذلك فوقف أبو مروان بن زهر عنده ونظر إليه فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء، فقال لكسر هذا الإبريق فإنه سبب مرضك، فقال له لا بالله يا سيدي فإني ما لي غيره فأمر بعض خدمه بكسره فكسره، فظهر منه لما كسر ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمان، فقال له ابن زهر خلصت يا هذا من المرض انظر ما كنت تشرب، ويرا الرجل بعد ذلك....
هنا فطنة في ملاحظته لتلوث الماء...

وتوفي أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر في سنة وخمسمائة، ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح.

ولأبي مروان بن أبي العلاء بن زهر من الكتب:

كتاب التيسير في المداواة والتدبير ألفه للقاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد
كتاب الأغذية

كتاب الزينة تذكر إلى ولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه، وذلك في صغر سنه وأول سفرة سافرها فتاب عن أبيه فيها . .
مقالة في علل الكلى

رسالة في الأمراض الجلدية كتب بها إلى بعض الأطباء بإشبيلية في عتلي البرص والبهق.

أما ابنه فهو الحفيد أبو بكر بن زهر هو الوزير الحكيم الأديب الحسيب أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر، مولده بمدينة إشبيلية ونشأ بها، وتميز في العلوم وأخذ صناعة الطب عن أبيه وياشر أعمالها، وكان معتدل القامة صحيح البنية قوي الأعضاء.

كان حافظاً للقرآن وسمع الحديث، واشتغل بعلم الأدب والعربية، ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة، ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والأدب وعانى عمل الشعر وأجاد فيه .

وكان ملازماً للأمور الشرعية متين الدين قوي النفس محباً للخير، وكان مهيباً وله جرة في الكلام، ولم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب وذكره قد شاع واشتهر في أقطار الأندلس وغيرها من البلاد.

قرأ كتاب المدونة لسخنون في مذهب مالك وقرأ أيضاً عليه مسند ابن أبي شيبة وحدثنا القاضي أبي مروان الباجي عن أبي بكر بن زهر أنه كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالأشبيلي، والرتل الذي بإشبيلية ستة عشر أوقية وكل أوقية عشرة دراهم.

كان كريماً، وله موقف لطيف أن رجلاً من بني اليناقي كان صديقاً للحفيد أبي بكر بن زهر وكان يجالسه كثيراً، فرآه الحفيد على غير ما يمهده من الإنسياط فقال له ما لخاصرك كأنه مشغول بشيء عرفتي ما هو، فقال نعم إن لي بنتاً زوجها لرجل وهو يطلبها وقد احتجت إلى ثلثمائة دينار، فقال له ألمب وما عليك فإن عندي في وقتنا هذا ثلثمائة دينار إلا خمسة دنائير تأخذها، فلعب معه ساعة واستدعى بالذهب وأعطاه له. فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلثمائة دينار إلا خمسة فقال له ابن زهر ما هذا فقال إنني بعت زيتوناً لي بسبعمائة دينار وقد أتيت منها بثلثمائة دينار إلا خمسة عوض الذي تفضلت به علي وأقرضتني إياه وقد بقي عندي حاصلاً أربعمائة دينار، فقال له ابن زهر ارفع هذا عندك وانتفع به فإنني ما دفعت لك الذهب على أني أعود أخذه أبداً، فأبى الرجل وقال إنني بحمد الله بحال سعة ولا لي حاجة أخذ هذا ولا غيره من أحد أصلاً. وتفاوضا في ذلك فقال له ابن زهر يا هذا أنت صديقي أو عدوي فقال له بل صديقك وأحب الناس فيك، فقال له ابن زهر والله لئن لم تأخذه لأعدينك بسببه ولا أعود أكلملك أبداً فأخذه منه وشكره على فعله....!

ومن عبقريته أنه اختار للخليفة المنصور موضعاً لبناء حصن بحيث يكون طيب الهواء، وتحكي الآثار أن الموقع ظلت فيه حبوب نبات الحنطة ثمانين سنة لم تتغير ولم تتعفن فهو موقع جاف الهواء ونقي من التلوث. فظلت حتى بعد موته فسبحان من علم عياده.... وكان اسمه حصن الفرة قريب من إشبيلية على ميلين منها ويوصف بأنه صحيح الهواء....

وكان يكره نشر كتب الفلسفة وتخريفاتها.... وكان قد أتى إليه من الطلبة أثنان ليستقلا عليه بصناعة الطب فترددا إليه ولازما مدة وقرأ عليه شيئاً من كتب الطب، ثم إنهما أتياه يوماً وبیدا أحدهما كتاب صغير في المنطق، وكان يحضر معهما أبو الحسين

المعروف بالمصدوم وكان غرضه أن يشتغلوا فيه، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب قال ما هذا ثم أخذه ينظر فيه فلما وجدته في علم المنطق رمى به ناحية، ثم نهض إليهم حافياً ليضربهم وانهمزوا قدامه وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في نهرهم وهم يتعادون قدامه إلى أن رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه أياً ما لا يجسرون أن يأتوا إليه. ثم إنهم توسلوا إلى أن حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض أصلاً وأنهم إنما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون إليه فهزأوا بصاحبه وعبثوا به وأخذوا منه الكتاب قهراً وبقي معه ودخلوا إليه وهم ساهمون عنه، فتخادع لهم وقبل معذرتهم واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب. ولما كان بعد مديدة أمرهم أن يجيدوا حفظ القرآن وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والافتداء بها ولا يخلوا بشيء من ذلك، فلما امتثلوا أمره واتقنوا معرفة ما أشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الأمور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها، كانوا يوماً عنده وإذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق وقال لهم الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي وأشغلهم فيه، فتعجبوا من فعله رحمه الله وهذا يدل منه على كمال عقله وتوفر مروءته.

ومن شعره

وذاك الوجيه تشوفتني وتشوفته	فبيكي علي وأبكي عليه
وقد تمب الشوق ما بيننا	فمنه إلي ومني إلي
إنني نظرت إلى المرأة إذ جليت	فأنكرت مقلتي كل ما رأت
رأيت فيها شبيخاً لست أعرفه	وكنيت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي مثواه كان هنا	مضى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجھلتني وقالت لي وما نطق	قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هون عليك فهذا لا بقاء له	أما ترى العشب يفنى بعدما نبتا
كان الغواني يَقلن يا أخّي	فقد صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا
أعد الحديث علي من جنباته	إن الحديث عن الحبيب حبيب
أيها الباكي على الطلل ومدير الراح	بالأمل أنا من عينيك في شغل

ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال كنت يوماً عنده وإذا به قد قال لي إنني رأيت البارحة في النوم أختي، وكانت أخته قد ماتت قبله، قال وكأنني قلت لها يا أختي بالله عرهنني كم يكون عمري فقالت لي طابيتين ونصفاً، والطابية هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة أشبار، فقلت لها أنا أقول لك جد وأنت تجيبين بالهزة فقالت لا والله ما قلت لك إلا جداً وإنما أنت ما فهمت أليس الطابية عشرة أشبار والطابيتين ونصفاً خمسة وعشرون يكون عمرك خمساً وعشرين سنة، قال القاضي أبو مروان فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا قلعله من أضغاث الأحلام قال ولم تكمل تلك السنة إلا وقد مات فكان عمره كما قيل له خمساً وعشرين سنة لا يزيد ولا أنقص، وخلف ولدين كل منهما فاضل في نفسه كريم في جنسه أحدهما يسمى أباً مروان عبد الملك والآخر أباً العلاء محمد والأصغر منهما وهو أبو العلاء ممتن بصناعة الطب وله نظر جيد في كتب جالينوس، وكان مقامهما في إشبيلية.

عمر بن حفص بن برتق

كان طبيباً فاضلاً قارئاً للقرآن مطرب الصوت، كان متقدماً في صناعة الطب، وكان شيخاً وسيماً بهياً سريراً معظماً عند الرؤساء.

عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم

من أعيان أطباء الأندلس وفضلائها وكان من أهل قرطبة. وله من الكتب كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة، كتاب الاقتصار والإيجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد، كتاب الإكتفاء بالدواء من خواص الأشياء صنفه للحاجب القائد أبي عامر محمد بن أبي عامر، وكتاب السمائم.

أبو العرب يوسف بن محمد

أحد المتحققين بصناعة الطب والراسخين في علمه. كان من أهل طليطلة، ثم رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها فأخذ عن مسلمة بن أحمد علم العدد والهندسة ثم علم الطب ثم انصرف إلى طليطلة، وحين كبر سنه ترك قراءة العلوم وأقبل على قراءة القرآن ولزم داره والانقباض عن الناس، فلقبت منه رجلاً عاقلاً جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كتب جليلة في أنواع ضروب الحكمة، وتبينت منه أنه قرأ الهندسة وفهمها وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته فحصل بتلك العناية على فهم كثير منها، توفي ابن خمس وسبعين سنة.

أبو الصلت

أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت له التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة، حصل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء. وكان أوحده في العلم الرياضي كان لطيف الفادرة فصيح اللسان.

قال عند موته أبياتاً ... وفاء لهم نقولها
سكنتك يا دار الفناء مصداقاً
بأنني إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الأمر أني صائر
فإن أك مجزياً بذنبي فإني
بشر عقاب المذنبين جدير
وإن يك عفو ثم عني ورحمة
فثم تميم دائم وسرور

ولأبي الصلت أمية بن عبد العزيز من الكتب:

الرسالة المصرية ذكر فيها ما رآه في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومن اجتمع بهم فيها من الأطباء والشعراء وغيره من أهل الأدب وكتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والأكلية وهو مختصر قد رتبه أحسن ترتيب كتاب الانتصار تتبع فيه مسائل الطب الخلفية لابن اسحاق كتاب تقويم منطق الذهن.

داود الأنطاكي

كان صيدلانياً علماً مبدعاً، عاش في القرن العاشر الهجري عندما كانت سلطة الدولة العثمانية في أوج قوتها وامتدادها في عهد السلطان سليمان القانوني أكبر سلاطين هذه الدولة.

ولد في منطقة أنطاكية (وتشير بعض الروايات إلى قرية قرب أنطاكية)، ودرس على أحد الأساتذة في بلده، وتعلم الرياضيات والطبيعات واللغة اليونانية ثم رحل إلى جبل عامل ودمشق.

سافر تجد عوضاً عن تفارقه
وانصب فإن لذيق العيش في النصب
إن ساحت طاب وإن لم يجر لم يطب
إنسى رأيت وقوف الماء يفسده
من عاش في الدنيا ولم يستمد
خيراً بهما فعمره عسدم

واستقر في مصر وصار كبير الأطباء في العاصمة القاهرة، وكان مفكرا شاملا أميناً يحترم من سبقوه ولا يمنعهم من النقد والتمحيص لكل كلمة. وكان قوي الشخصية واثقا بنفسه ويعلمه.

ولقد كان عند الأنطاكي إضافات جديدة لم ترد في كتب الطب الإسلامية السابقة له. فهو يتحدث في "التذكرة" عن الحب الإفرنجي، وهو الزهري أو السفلس الذي لم يعرفه العالم إلا بعد اكتشاف الأمريكتين. ويصف المرض ومسمياته في عصره ويبين علاجه المعتمد في البيمارستان الذي كان يعمل فيه بالقاهرة. وكتب عن البن لأول مرة في كتب الطب الإسلامية، وأوصف نباتاته واستعملاته الطبية. ويذكر عدة أدوية استنبطها هو ولم ترد عند غيره في الكتب السابقة لكتابه...

ومع اهتمامه بخصائص النباتات الطبية، كان حكيماً، فلكياً، أديباً أتقن العربية مع الثقافة الأجنبية حيث أتقن اللغة اليونانية.

وقد عرف داود الأنطاكي بالرئيس الضريح، ورغم فقدانه البصر فقد انتهت إليه رئاسة الطب.

وله من المصنفات:

كتاب تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب المعجـاب أو تذكرة الأنطاكي:

عن الأدوية ومنافعها ومقاديرها وطرق تحضيرها وأبدانها!

كان محترفاً في التأليف حيث يذكر منافع كل عقار في عضو من أعضاء الجسم ثم يذكر مضاره (الآثار الجانبية)، وينبه إلى الفترة التي يكون فيها الدواء صالحاً أي مدة صلاحية الدواء، إلى جانب موطن النبات الطبي...

وللتذكرة نسخ كثيرة في بلاد العالم منها:

نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق،

دار الكتب المصرية مخطوطات،

ومكتبات اسطنبول بتركيا.

كتاب آخر للأنطاكي هو النزهة المبهجة من تشخيص الأذهان وتعديل الأمزجة، وهو مختصر للتذكرة.

كتاب مجمع المنافع البدنية.

غاية المرام في الطب.

كفاية المحتاج في علم العلاج.

الدرة المنتخبة. فيما صح من الأدوية المجربة.

يا قومنا ما كان دين محمد دعوى لسان
بل كان منهاجاً دقيقاً منقذاً مما نعلماني
أحكامه قد فصلت بيد الحكيم المستعان
رب السموات العلى رب الأماكن والزمان
من عنده هذي الدهور بطولها مثل الثواني
من عنده السبع الطباق الكسيرة ذرة والسنيران
سبحانه من خالق أسرار رؤوف ذي حنان
من مؤلفاته في الفلك: رسالة في الفلك.
وله رسالة في الأدب: كتاب تزيين الأسواق.

فها نحن نرى الحضارة الإسلامية غنية بتراثها الفكري، ولم تتحدر إلا لعوامل متعددة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية وغيرها) أكبرها ضعف في فهم الدين نفسه في عقول بنيهِ.

علامة الأمة ابن القيم رحمه الله: شمس الدين أبي بكر محمد بن قيم الجوزية
رغم أنه لم يمارس الطب كمهنة، لكنه خلف مؤلفات تضعه في مصاف أفضل من
البروفيسيرات الأكاديميين اليوم..
وروائعه واضحة تفني عن البيان، كما في كتابه الطب النبوي وفي تحفة المسودود
وغيرهما ...

فقد كان ينصح نصاباً تشمل طباً وتربية نفسية وروحانيات، وهو عين ما فهمه
الطب الحديث أن طبيب الطفل شريك في تربيته مع الأسرة...
ولن نستفيض عنه لأنه أشهر من أن يعرف، ففي تلك الوقفات نتعرض لمن غمطهم
الإعلام حقهم في البيان، أما هو فقد قبض الله لكتبه من يطبعها وتقبلها الناس بقبول
حسن ربما لبركتها وإخلاصه فيها نحسبه كان على خير والله حسبه...

أبو سعيد اليمامي

قيل عنه أنه كان مشهوراً بالفضل والمعرفة متقناً لصناعة الطب جيداً في أصولها وفروعها حسن التصنيف.

ولأبي سعيد اليمامي من الكتب في امتحان الأطباء وكيفية التمييز بين طبقاتهم! انظر الرقي الفكري! يؤلف عن كيفية تمييز الأطباء علمياً...

أحمد بن أبي الأشعث

كان وافر العقل سديد الرأي محباً للخير كثير السكينة والوقار متقها في الدين! وعمر عمراً طويلاً، له تلاميذ كثيرة، كان عالماً يكتب جالينوس خبيراً بها متطلعاً على أسرارها، وقد شرح كثيراً من كتب جالينوس، وهو الذي فصل كل واحد من الكتب الست عشر التي لجالينوس إلى جمل وأبواب وفصول وقسمها تقسيماً لم يسبقه إلى ذلك أحد غيره وفي ذلك معونة كثيرة لمن يشتغل.

ولأحمد بن أبي الأشعث من الكتب:

كتاب الأدوية المفردة ثلاث مقالات

كتاب الحيوان

كتاب في الجدري والحصبة مقالتان

كتاب في البرص والبهق ومداواتهما مقالتان

كتاب في الصرع مقالة في النوم واليقظة

شرح كتاب الفرق لجالينوس مقالتان فرغ منه في رجب سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة

شرح كتاب الحميات لجالينوس.

سعيد بن هبة الله

هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين من الأطباء المميزين في صناعة الطب. وكان في أيام المقتدي بأمر الله وخدمه بصناعة الطب.

ولسعيد بن هبة الله من الكتب:

كتاب المغني في الطب

مقالة في صفات تراكيب الأدوية المحال عليها في كتاب المغني

كتاب خلق الإنسان

كتاب في البرقان، جوابات عن مسائل طبية سئل عنها.

يحيى بن عيسى بن علي

وكان في أيام المقتدي بأمر الله وكان من المشهورين في علم الطب وعمله، وهو تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبة الله، وله نظر في علم الأدب وكان يكتب خطأ جيداً - يعني كان فنانياً مبدعاً له حس جمالي - وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله وتعمق عن معرفته، وكان نصرانياً ثم أسلم وألف رسالة في الرد على النصارى وكتب بها إلى إلیا القس.

وله من الكتب:

كتاب تقويم الأبدان وصنفه

كتاب منهاج البيان في ما يستعمله الإنسان

كتاب الإشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ والبدن

رسالة في مدح الطب وموافقته الشرع والرد على من طعن عليه (يعني لم يكن إسلامه كلمة بل تفقه وصار منتظراً

رسالة كتب بها لما أسلم إلى إلیا القس وذلك في سنة ست وستين وأربع مائة.

الزهرابي

هو الطبيب النافذة أبو القاسم خلف بن عباس. ولد بالأندلس فهو مسلم من أوروبا ودرس بها الطب والصيدلة، ونجح في سن مبكرة، فكان طبيباً وصيدلانياً خبيراً بالأدوية. وهو أشهر الجراحين العرب قاطبة طور الجراحة وجعلها على عشرة قواعد، وكتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) هو أفضل وأقيم المؤلفات العربية في مجال الطب الجراحي.

قال الزركلي أن وفاته كانت عام 427 هجرية (3610 ميلادية)

أهم مؤلفاته: التصريف لمن عجز عن التأليف، مقالة في العمل باليد، مقالة في أعمال العقاقير المفردة والمركبة.

تميز الجراحة عند الزهرابي:

كتاب التصريف به حوالي مائتي آلة جراحية موصوفة بدقة ومرسومة، وبه أول صورة للمقص الحقيقي، وأول محقق حيث كان يسمى زراقة.

وقد طور الزهراوي ما نعرفه اليوم بالجراحة العامة ككل، وفروعاً عديدة من الجراحات الخاصة كالمسالك البولية والتجميل والأنف والأذن والحنجرة وجراحة الفم والأسنان. ويعتبر كتابه هذا أول كتاب علمي مصور في تاريخ الطب

إن الفتى من بياض الحزم مُتصِفٌ	وما تعود نقص القول والمعمل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها	حتى يقد أديم السهل والجبل
ولا يضيع ساعات الزمان فلن	يمود ما فات من أيامه الأول
ولا يراقب إلا من يراقبه	ولا يصاحب إلا كل ذي نبل
ولا يؤمل آمالاً يصبح غد	إلا على جبل من وثبة الأجل
ولا يصد عن التقوى بصيرته	لأنها للمعالي أوضح السبل
فمن تكن حلل التقوى ملابسه	لم يخش في دهره يوماً من العطل
من لم تُقده صروف الدهر تجربة	فيما يحاول فليرعى مع الهمل
من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته	ومن رمى بسهام العجب لم ينل

ولقد كانت الجراحة في أوروبا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر فرعاً محترماً من فروع الطب يستوى بالحلاقة، وقرر الجراحون الانفصال برابطة لهم عام 1745 حيث تطورت الجراحة بعد طبع الترجمة اللاتينية لكتاب الزهراوي.

والجزء الأول من هذه الموسوعة يتناول العناصر وتركيب العقاقير والتشريح، والجزء الثاني في تقسيم الأمراض وأعراضها وكيفية علاجها، والأجزاء من الثالث حتى الخامس والعشرين في "أطعمة المرضى وكثير من الأصحاء مرتبة على الأمراض". أما الجزء التاسع والعشرون في تسمية العقاقير باختلاف اللغات، وأعمار العقاقير المركبة وغيرها، وشرح الأسماء المركبة الواقعة في كتب الطب والأوزان... فلم تكن عبقرية الزهراوي كما نرى تنحصر في الجراحة فقط.

وقد وصفه مؤلف عيون الأنباء بأنه "كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج".

وترى في كتابه العجائب والفرائد والعبقرية، فمن آلة بها مثقب ومكواة للكي والنقب وتفريغ الصديد من خراج الكبد... فلم يكن مجرد حجام بل كان جراحاً سابقاً لعصره.

ويورد في الفصل السادس والخمسين كي النزف الحادث عن قطع الشريان". ثم يورد الزهراوي ربط الشريان كسبيل لوقف النزيف لأول مرة في علم الجراحة.

ويتناول الزهراوي في الفصل الأربعين بطل الأورام وشقها" ويعني به الخراج، ويتحدث عن أمر هام جداً وهو أهمية الفتح الميكر للخراج قرب المقعدة، وينوه لاستخدام الفتيلة لامتصاص الرشح وهو ما نفعله الآن.

وأجرى جراحة للغدة الدرقية بينها في الفصل الرابع والأربعين، وسمى تضخمها بـ فتيلة الحلقوم.

وفي التاسع والأربعين يبين أنه سبق الجراح جون هنتر بشرون بابتكاره لطريقة ربط الأوعية الدموية في حالات التمدد الوعائي.

ويبين في الفصل الثاني والخمسين أنه مبتكر وضعية ترندلنبرج التي يكون فيها المريض على ظهره وقدميه لأعلى وأجرى بها جراحاته! ويبين أنه عالج الأمعاء حين خرجت من جرح وعمل ضمادات بالعسل كما يحدث الآن!

فيقول: "وكان الخرق في وسط البطن فرددته بعد أن أقام معاؤه خارجاً من الجرح فالتحم الجرح في نحو خمسة عشر يوماً وعالجته حتى برئ وعاش بعد ذلك سنين كثيرة يتصرف في جميع أحواله وكان الأطباء يحكمون عليه أنه لا يبرأ البتة، ومن العجب أنني لم أعالجه بمهرهم لأنني كنت في موضع لا يوجد فيه شيء من الأدوية فكنت أضع على الجرح القطن البالي مرتين في النهار وأتعهد غسله بماء العسل حتى يبرأ".

ويتحدث بمعقريه عن القسطرة كيفية إدخالها واستعمال مادة للتزليق!
"ثم تدهن القناطر بزيت ويزيد أو يياض البيض وتجلس الليل على كرسي"
بل ويتحدث عن غسل المثانة بآلة الزراقة لأول مرة!

إن الفتى من بهاضي الحزم متصفٌ	ومما تعود نقص القول والعمل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها	حتى يقدر أديم السهل والجبل
ولا يضيق ساعات الزمان فلن	يعود ما فات من أيامه الأول
ولا يراقب إلا من يراقبه	ولا يصاحب إلا كل ذي بُبل
ولا يؤمل أمالاً بصبح غد	إلا على وجل من وثبة الأجل

ولا يصد عن التقوى بصيرته
فمن تكن حُلُّ التقوى ملابسه
من لم تُفده صروفُ الدهر تجربةً
من ضيع الخزم لم يظفر بحاجته
لأنهسا للمعالي أوضح السبل
لم يخشَ في دهره يوماً من العطل
فيما يحاولُ فليرعى مع الهمل
ومن رمى بسهام العجب لينل

ويتحدث عن لفئات تجميلية لم يسبق إليها، عن استعادة شكل الحاجب المشوه والحفاظ عليه في الجراحة؛ والتعليم بالمداد قبل القطع وتثبيت العلامات؛ ويوضح أهمية الخياطة المبكرة للجرح، وأهمية كشط الجرح الملتهب قبل خياطته ثانياً لإزالة النسيج المتكون.

ويتحدث عن جراحات تجميلية راقية مثل علاج تضخم الثدي الرجل في الفصل السابع والأربعين، ويصف أنواع الفتحة حسب المطلوب؛
وينوه المعلم البارع لأهمية السنوات الأولى في حياة طلب الطب فيقول في مقدمة كتاب "التصريف" من لا يبرع في التشريح لا بد وأن يقع في خطأ قد يؤدي بحياة المريض.
ثم يقول "ليكن الحرص أقوى عندك من الجشع وحب الكسب".

ما بالهم ويحهم ضاعت شمائلهم
كأنهم لم يقيموا أمس قرطبة
كأنهم لم يمدوا للجهاد يداً
غرناطة الخير هل حي فيخيرنا
كم مسجد عامر بالحق روعه
كم حرة هتك العادون حرمتها
غرناطة الخير والحمراء شاهدنا
ماذا أصاب بني الإسلام كلهم
غرناطة الخير هل حي فنخبره
ما زال يازينة الأمصار في دمننا
نحن الوجود وإن غابت كواكبنا
وأفسد الوهن منهم كل مرتقب
ولا أناروا صروح العلم والأدب
ولا تخطوا مدى الأيام والحقب
ماذا جرى بعد عهد العز والقلب
جان وأدرك منه غايصة الأرب
وكم ضعيف شواه المكر باللهب
قولي بريك ماذا حل بالعرب
كيف اشتروا منن الأخشاب بالذهب
أنا على العهد رغم اليمد والنصب
نار تأجج بالإيمان والفضب
نحن العلا والهدى في حالك الكريب

نحن الوفاء إذا ضمن الزمان به نحن النقاء بدنيا الزيف والكذب
نحن الأماني للإسلام مشرقة نحن المقام الذي يعلو على الرتب
لا تحزنني ياربيع الأرض إن لنسا فجراً سيشرق رغم الليل والحجب

وفي موسوعته الرائعة نلاحظ دقة كبيرة في وصف العلامات السريرية (الإكلينيكية) الهامة التي تقرب كثيراً من المشاهدات الموصوفة في مراجع الطب الحديث، كما نلاحظ دقة متناهية في الوصف التشريحي لبعض الأمراض، ففي الجزء الأول يتكلم عن السكتة - أو ما يسميها بالفالج العظيم- نلاحظ وصفاً دقيقاً لعلامات (إكلينيكية) هامة في مثل التنفس كعلامة لشدة السكتة، وتعريفه للغيبوبة التامة وهي التي تنقطع فيها الأفعال المدبرة الثلاثة وهي التخيل والفكر والذكر والحس والحركة

مالي وللتنجم يرعساني وأرعاء أمسى كلانا يعاف الغمض جفناء
لي فيك يا ليل أهات أرددها أواه لسوا أجدت المحزون أواه
لا تحسبني محباً أشتكى وصباً أهون بما في سبيل الحب لقاء
إنسي تذكرت والذكرى مؤرقة مجدأ تليدأ بأيدينا أضغما

الرازي

فهو شخصية عالمية وما أكثر حديث المراجع عنه قديماً وحديثاً، وله كتب كثيرة مثل الحاوي والمنصوري ورسالة في الجذري والحصبة والقولنج والنقرس، وغيرها من الكتب التي تعتبر مراجع هامة في الطب العربي الإسلامي القديم، ومعالج أساسية في تاريخ الطب بشكل عام، وقد استمر تدريس الترجمات اللاتينية لهذه الكتب في جامعات الطب في أوروبا حتى بدايات العصر الحديث.

اسمه "أبو بكر محمد بن زكريا الرازي" وورد اسمه وكنيته في كتب أهمها: عيون الأنبياء، ومرآة الجنان، والوالي بالوفيات، ومعجم البلدان.

ولد الرازي في إيران في غرة شعبان من سنة (125 هـ 865 م) يذكر في طبقات الأطباء والحكماء أنه كان أديباً وأنه مارس الكيمياء أولاً وألف فيها.

مع الطب: تذكر المصادر القديمة أن ممارسة الرازي للطب كانت في سن متقدمة، حتى إن عدداً من هذه الكتب، مثل وفيات الأعيان وفوات الوفيات وغيرهما، تذكر أنه مارس الطب بعد سن الأربعين.

ويرى أحد الباحثين - وهو الدكتور البير زكي أسكندر - عكس هذا الرأي، حيث يفتقد أن الرازي بدأ اشتغاله بالطب في حياته، ويستخلص دلائله على ذلك من مخطوطات وكتب الرازي ومن المصادر الأخرى.

ولعل كثرة عدد كتب الرازي المؤلفة في هذا المجال وتنوعها يؤيد رأي الدكتور إسكندر المذكور ويتوافق معه.

وقد مارس طيه مدة طويلة في المشافى، واحتل الرازي مناصب هامة في المشافى التي عمل فيها، فتولى إدارة بیمارستان بلده في إيران.

وعندما قصد بغداد وأقام فيها أدار أحد بیمارستاناتها، وهو ما ورد عنه في كتب مثل تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، والكيمياء عند العرب، والطب الإسلامي.

وكان قدوم الرازي إلى بغداد وزيارته لها حوالي سنة 285 هـ (889م)، وقد زار بغداد أكثر من مرة، فقد كان كثير التنقل بين البلدان، وكان الرازي موجوداً في بغداد في أواخر أيامه، وسافر منها إلى مسقط رأسه حيث توفي بعد حوالي سنتين حوالي سنة 313 هـ (259 م) في الري.

الصفات الشخصية للرازي:

حصلت لدى الرازي إصابة في عينه في فترة شبابه، إذ يرد في تاريخ حكماء الإسلام أنه أصيب بالرمد لاشتغاله بالمواد الكيماوية.

كانت الحالة الاجتماعية للرازي جيدة، وورد في الفهرست عن كرمه:

"حسن الرأفة بالفقراء الأعمى حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة"

كما يؤكد ما ورد في عيون الأنباء من وجود جوار تطبخ الأطعمة عند الرازي.

من أروع اكتشافاته:

الخياطة الداخلية للأعضاء بخيوط من أمعاء الحيوان.. وتكمن أهمية الخياطة بخيوط من الأمعاء في كونها تذوب بعد أيام حيث يكون الجرح أندمل فعلاً، فلا توجد حاجة لفتح البطن لإخراج الخيط، ثانياً أو للكي بالنار لإيقاف النزيف الداخلي..

تميز الرازي بالذكاء والفطنة والتبحر في العلم وسعة الإطلاع على مؤلفات من سبقه من العلماء سواء منهم علماء اليونان أو العرب وحتى علماء الهنود. وكان الرازي قارئاً مرمحاً، وذكر صاحب وفيات الأعيان أنه قرأ كتب الطب والفلسفة قراءة رجل متعمق على مؤلفيها".

ويحكي عن نفسه في أحد كتبه:

"حتى اني متى اتفق لي كتاب لم أقرأه أو رجل لم ألقه، لم ألتفت إلى شغل البتة -ولو كان في ذلك علي عظيم ضرر- دون أن آتي على الكتاب، وأعرف ما عند الرجل وإنه بلغ من صبري وإجتهادي أني كتبت بمثل خط التعاويذ في عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة.

ويقول ابن أبي أصيبعة عن الرازي مبينا قدره "له المنزلة الجليلة بسائر بلاد الجبل"
 أين أرباب الحجى أهل النُهى أين أهل العلم والقوم الأول
 سيميد الله كالأ منهم وسيجزي فاعلاً ما قد فعل
 إي بني اسمع وصايا جمعت حكماً خُصت بها خير الملل
 أطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخسر على أهل الكسل
 أسأذته:

اعتمد في الطب على مطالعته ودرس على يد علي بن سهل الطبري.

تلاميذه:

بزغت شهرة الرازي العلمية والتدريسية في مجال الطب، فأصبح طلاب الطب يقصدونه من مختلف الأماكن والأصقاع كما تذكر بعض الكتب مثل وفيات الأعيان ومرآة الجنان.

وقد بلغ من شهرته رجلاً قصده من الصين ليدرس عليه الطب باللغة العربية، ونقل عنه كتب جالينوس الستة عشرة (الفهرست) وأحد تلاميذه ورد ذكره في عيون الأنبياء حين روى قصة إهدائه أحد كتبه وهو "يوسف بن يعقوب... وهي لفظة ذوقية من معلم لتكون ذكرى وتحفيزاً لطلابه النجيب.

وكتابه سر الأسرار أيضاً أهداه لتلميذه "يونس بن محمد" وكان يشتغل بالرياضيات والعلوم الطبيعية... وهي لفظة أخرى رائعة حين يؤلف المعلم كتاباً بناءً على رغبة طالبه النجيب.

الطبيب الخلق:

يقول: "ولا ظهر مني شره في جمع المال وسرف فيه ولا على منازعات الناس ومخاصمتهم وظلمهم، بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوقي. وأما حالتي في مطعمي ومشربي والهوي فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك مني أني لم أتعلم إلى

طرف الإفراط، وكذلك في سائر أحوالي مما يشاهده هذا من ملبس أو مركوب أو خادم أو جارية".

كان الرازي مؤمنا باستمرار التقدم في البحوث الطبية فليس لديه غرور ولا ضيق أفق ولا تعصب، ولا يتم ذلك التقدم، على حد قوله، إلا بدراسة كتب الأوائل. فيذكر في كتابه "المنصوري في الطب":

"هذه صناعة لا تمكن الإنسان الواحد إذا لم يحتذ فيها على مثال من تقدمه أن يلحق فيها كثير شيء ولو أفنى جميع عمره فيها، لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير. وليست هذه الصناعة فقط بل جل الصناعات كذلك" ويقول في كتابه "محنة الطبيب" نقلا عن جالينوس "وليس يمنع من عني في أي زمان كان أن يصير أفضل من أبقراط"

كان الرازي يسير على منهج التفكير العلمي الصحيح، وله قصص شهيرة توضح أنه كان يعمل كما يعمل الباحثون الآن فمثلا، قام بتقسيم عدد من المرضى المصابين بمرض السرسام (التهاب سحائي) إلى مجموعتين. ثم فصد جميع أفراد المجموعة الأولى وترك أفراد المجموعة الثانية بدون فصد، يقول: "وتركت متمدا جماعة استدني بذلك رأيا"... فهو يبحث عن حقيقة الأثر الناتج من العملية..

ويقول الرازي في كتاب "المرشد أو الفصول": "ليس يكفي في أحكام صناعة الطب قراءة كتبها بل يحتاج مع ذلك إلى مزاوله المرضى، إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيرا، ومن زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة ولا يشعر بها البتة ولا يمكن أن يلحق بها في مقدار عمره ولو كان أكثر الناس مزاوله للمرضى ما يلحقه قارئ الكتب مع أدنى مزاوله، فيكون كما قال الله عز وجل: (وكأين من آية في السموات والأرض. يمرون عليها وهم عنها معرضون) سورة يوسف آية 105

كتب الرازي:

رسائل الرازي وكتبه في الطب والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى تبلغ المائتين لكن فقد الكثير منها، وأبرزها بالطبع "الحاوي في الطب" و"الجامع الكبير"، "الحاوي في الطب"

مدونات سجل الرازي فيها قصص مرضاه وتشخيصه ومقتطفات من كتب الطب التي وعها، ويناقش فيها نقد الكتب الأخرى، ويشير بعد النقل إلى كون النص منه أو من

غيره أو معدلا فيكتب "لي" أو "لى مصلح".... وتلك هي الأمانة العلمية حيث يذكر ماله وما لغيره فلا ينتحل شيئا .

وقد تمت ترجمة الحاوي إلى اللغة اللاتينية سنة 1279 م .

أما الموسوعة الطبية "الجامع الكبير" فيقول عنها :

"وأنه بلغ من صبري واجتهادي أنني كتبت بمثل خط التعاويذ في عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة وبقيت في عمل "الجامع الكبير" خمس عشرة سنة أعمله الليل والنهار حتى في ضعف بصري، وحدث على فسخ في عضل يدي يمنعاني في وقتي هذا عن القراءة والكتابة . وأنا على حالي لا أدعها بمقدار جهدي وأستعين دائما بمن يقرأ ويكتب لي".

وقيل أنه كان يعد لكتابة قسمين من أجزاء "الجامع الكبير" أحدهما "الجامع في العين" والثاني "الجامع في الحميات" إلا أنه توفي قبل يحقق ذلك الأمل .

ومن كتبه الأخرى:

كتاب "المنصوري في الطب"، وكتاب "الجدي والحصبة"، وكتاب "الأدوية المفردة" ويصف مؤلفاته بنفسه قائلا:

"كتبت في صناعة الحكمة التي هي عند العامة الكيمياء وبالجملة فقرابة مائتي كتاب ومقالة ورسالة خرجت عني إلى وقت عملي على هذه المقالة".

وله كتاب مخطوط مميز هو "الشكوك على جالينوس" فهو ينتقد كتب جالينوس بشكل علمي فيقول: يستجهلونني في تأليف هذا الكتاب، وكثيرا منهم يلوموني ويمنفوني.... إلى مناقضة رجل مثل جالينوس في جلالته ومعرفته وتقدمه في جميع أجزاء الفلسفة، ومكانه منها .

وأجد أنا لذلك - يعلم الله مضضا في نفسي إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو أعظم الخلق علي منه، وأكثرهم لي منفعة وبه اهتديت وألهم اقتفيت ومن بحره استقيت"

فانظر الأدب مع العالم السابق، والإقناع المتدرج للقارئ، وقوة اليقين بالمبدأ التي جعلته يقاوم ذم الناس....

وورد له مؤلفات أخرى لم تصل لنا مثل كتاب في فصل العين على سائر الحواس، مقالة في المنفعة في أطراف الأجفان دائما، ومقالة في علاج العين بالحديد .

يا منزل الآيات والقرآن بييني وبينك حرمة الفرقان

اشرح به صدري لمعرفة الهدى
 يسر به أمري وأقض مأربي
 واحطط به وزري وأخلص نيتي
 واقطع به طمعي وشرف همتي
 أنت الذي صورتي وخلقيتني
 أنت الذي أطعمتني وسقيتني
 أنت الذي أويتني وحبوتني
 وزرعت لي بين القلوب مودة
 صلى الإله على النبي محمد
 وعلى جميع بناته ونسائه
 ريو على الإنصاف فتیان الحمى
 فهو الذي يبنى الطباع قويمه
 واعصم به قلبي من الشيطان
 وأجر به جسدي من النيران
 واشدد به أزري وأصلح شأني
 كثر به ورعي وأحي جنائي
 وهديتني لشرائع الإيمان
 من غسير كسب يد ولا دكان
 وهديتني من حيرة الخذلان
 والمطف منك برحمة وحنان
 ما ناح قمري على الأغصان
 وعلى جميع الصحب والإخوان
 تجدونهم كهف الحقوق كهولا
 وهو الذي يبنى النفوس عدولا

رشيد الدين ابن الصوري

هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري، قيل فيه:

"قد اشتمل على جمل الصناعة الطبية وأطلع على محاسنها الجليلة والخفية وكان
 أوجدأ في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف أسمائها وصفاتها وتحقيق خواصها
 وتأثيراتها"

ولد 573 هجرية بمدينة صور وتعلم الطب وانتقل للقدس وخدم بصناعة الطب الملك
 العادل أبا بكر بن أيوب في 612 هجرية، ثم مع ابنه ثم حفيده الناصر داود الذي فوض
 إليه رئاسة الطب، وله كتب كثيرة لطلاب الطب.

وأنشد مذهب الدين أبو نصر محمد الحلبي يمدح الطبيب رشيد الدين بن الصوري
 ويشكره على إحسان أسداه إليه.

وكسل صباح فيه للعين حظوة بوجه رشيد الدين وهو سعيد

هو العالم الصدر الحكيم ومن له كلام يضاهي الدر وهو نضيد
ولو أن جالينوس حياً بعصره لكان عليه يبتدي ويعيد
فقل لبني الصوري قد سدتم الوري وما الناس إلا سيد ومسود
ودوح من الإحسان أنمر بالمني وظل على اللاجي إليه مديد

ولرشيد الدين الصوري من الكتب كتاب الأدوية المفردة، استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وذكر أيضاً أدوية أطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ ويتوجه إلى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات، فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها يعني أنه يصحب من يتقن الرسم إلى الجبال فانظر الروعة والهمة والإتقان. ثم إنه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً وذلك أنه كان يري النبات للمصور في إبان نباته وطراوته، فيصوره ثم يريره إياه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك، ثم يريره إياه أيضاً في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر إليه في الكتاب وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ومعرفة له أبين.

سديد الدين بن رقيقة

هو أبو الثناء محمود بن عمر الشيباني، ويعرف بابن رقيقة ذو النفس الفاضلة، قد جمع من صناعة الطب ما تفرق من أقوال المتقدمين وتميز على سائر نظرائه وأضرابه من الحكماء والمتطبيين هذا مع ما هو عليه من النظم البليغ والشعر البديع) سيجان الله طبيب حكيم شاعر
وكان يأخذ أي كتاب شاء من الكتب الطبية وينظمه رجزاً في أسرع وقت مع استيفائه للمعاني ومراعاته لحسن اللفظ) يعني موهبة لغوية في صوغ الطب كتشيد ينشد وكان لسديد الدين بن رقيقة معرفة بصناعة الكحل والجراحة، وحاول كثيراً من أعمال الحديد في مداواة أمراض العين وقدر أيضاً الماء النازل في العين وأنجب قدحه وأبصروا...
يعني شفاهم الله على يديه بعد عمليات جراحية في العين وكان فاضلاً في النحو واللغة)

ويكمل المؤلف ابن أصيبعة فيقول: وتصاحبنا مدة فوجدت من كمال مروءته وشرف أرومته وغبارة علمه وحسن تأتبه في معرفة الأمراض ومداواتها ما يفوق الوصف! ولم يزل بدمشق وهو يشتغل بصناعة الطب إلى أن توفى رحمه الله في سنة خمس وثلاثين وستمائة ومن شعر سديد الدين بن رقيقة وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال:

يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة	ومكملي جواد به ومقومي
خذني إذا أجلي تناهى وانقضى	عمري على خط إليك مقوم
واكشف بلطفك يا إلهي غمتي	واجل الصدا عن نفس عبدك وارجم
فساي من بعد المهانة أكتسي	حلل المهابة في المحل الأكرم
وأبوء بالفردوس بعد إقامتي	في منزل بادي المماجة مظلم
وعليك متكلي وعفوك لم يزل	قصدي فوا خسراه إن لم ترحم
يا نفس جدي وإدأبي وتمسكي	بعمري الهدي وعري الموانع فاقصمي
لا تهملني يا نفس ذاتك إن في	نسيانها نسيان ربك فاعلمي
وعليك بالتفكير في الآثمة	لتبوءي جناته وتتممي
وتيممي نهج الهداية إنه	منج وعن لقم الضلالة أحجمي
لا ترتضي الدنيا الدنية موطناً	تعلي على رتب السواري الأنجم
وتعاني ما لا رأيت عين ولا أذن	وعت فإليه جدي تفنمي
وتشاهدي ما ليس يدرك كنهه	بالفكر أو يتوهم المتوهم

وقال حكماً تعليمية رائعة اقتداء بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه "انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال..."

يعني لا تعتبر القول إلا بدليله

لا تكن ناظراً إلى قائل القول	بل انظر إليه ماذا يقول ...
وخذ القول حين تلقيه معقولا	ولو قاله غسبي جهول
فنباح الكلاب مع خسة	فيها على منزل الكريم دليل

وله حكم رائعة أيضا

إذا كان رزق المرء من قدر أتى فما حرصه يفنيه في طلب الرزق

كذا موته إن كان ضرية لازب فإخلاده نحو السدنا غاية الحمق

ومن نصائحه الطبية الرائعة

"لا تدم السكون فإن منه تولد كل خلط فيك خام"

.يعني عليك بالرياضة والحركة لكي لا تزيد الكيماويات في جسمك والدهون..وهو ما نقوله اليوم لكل مريض وصحيح....هالرياضة تحرق الدهون وتنشط تطهير الجسم من السموم...

وخل السكر وأهجره ملياً فإن السكر من فعل الطفام

وأحسن صون نفسك عن هواها تفز بالخلد في دار السلام

.وهنا المزج بين رعاية الجسم وتقوى الله تعالى، وهو التكامل الإسلامي الرائع دائما..

وقال منبها أيضاً على ترك التعامل والجهل من الأطباء المدعين المزيفين

أيأ فاعلاً خل التطب وأشد فكم تقتل المرضى المساكين بالجهل

كانك يا هذا خلقت موكلأ . على رجع أرواح الأنام إلى الأصل

ولسيد الدين بن رقيقة من الكتب كتاب لطف السائل وتحف المسائل، وهذا الكتاب

قد نظم فيه مسائل كليات القانون لابن سينا رجزاً ومعاني أخر ضرورية يحتاج إليها .

صدقة السامري

هو صدقة بن منجا بن صدقة السامري من الأكابر في صناعة الطب والمتميزين من

أهلها كان وأفر العلم جيد الفهم،

ومن كلامه مما نقلته من خطه قال:

"الصوم منع البدن من الغذاء وكف الحواس عن الخطاء والجوارح عن الآثام وهو كف

الجميع عما يليه عن ذكر الله".

وقال "أعلم أن جميع الطاعات ترى إلا الصوم لا يراه إلا الله فإنه عمل في الباطن

بالصبر المجرد وللصوم ثلاث درجات، صوم العموم وهو كف البطن والفرج عن قضاء

الشهوة، وصوم الخصوص وهو كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام،

وأما صوم مخصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنياوية وكفه عما سوى الله تعالى".

وقال "صير العفيف ظريف"

وله شرح كتاب الفصول لأبقراط، وله مقالة أجاب فيها عن مسائل طبية سأله عنها الأسعد المحلي اليهودي، ومقالة في التوحيد وسماها كتاب الكنز في الفوز.

مذهب الدين يوسف بن أبي سعيد

هو شيخ إمام عالم يوسف بن أبي سعيد السامري أتمن الصناعة الطبية واشتغل بعلم الأدب وكان كثير الإحسان غزير الامتنان فاضل النفس صائب الحس!

تميز في صناعة الطب واشتهر بحسن العلاج والمداواة ومن حسن معاملاته أنه كانت ست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب قد عرض لها دوسنطاريا كبديّة وترمي كل يوم دماً كثيراً والأطباء يعالجونها بالأدوية المشهورة لهذا المرض من الأشرية وغيرها فلما حضرها وجس نبضها قال للجماعة يا قوم ما دامت القوة قوية أعطوها الكافور ليصلح كيفية هذا الخلط الحاد الذي فعل هذا الفعل وأمر بإحضار كافور فيصوري وسقاها مع حليب بزر بقلّة محمصة وشراب رمان وصندل فتقاصر عنها الدم وحرارة الكبد التي كانت وسقاها أيضاً منه ثاني يوم فقل أكثر ولاطفها بعد ذلك إلى أن تكامل برؤها ووصلحت .

بدر الدين المظفر بن القاضي

وكان عالماً فاضلاً قيل فيه

أنعم ولنذ بأقدار تؤاتيكما	حتى تنال بها أقصى أمانيكما
مذهب الدين يا عبد الرحيم	لقد شأوت يا ابن علي من يباريكما
فمازت قد احك في حفظ الدروس	بأيام سلفن وما خابت لياليكما
ما زلت تسعى لكسب الحمد مجتهداً	حتى بلغت الأواني من مساعيكما
أنت امرؤ أودعت أنفاظه حكماً	أملت دقيق المعاني من معانيكما
حتى ربيت بحجر العلم متخذاً	لك التواضع لبساً في تعاليكما
فللمعاني ابتسام في خلائك	الحسان مثل ابتسام المجد في فيكما

لك الشاء جميعاً حيث كنت فما خلق عن المجد والعلواء يثيكا
منى تمادى المجيد المدح في مدح بيد أقصى المدى أدنى الذي فيكا
يا جامعاً حسباً عدا إلى أدب جم عذمت امرأة في الجود يحكيكا
عندي إليك صبايات يؤكدھا حسن الوفاء بمعروف يوافيكا
ولي إليك اشتياق لا يفارقني يا لست لي سبباً للوصل مسلوکا
ولو تهيأ لي المسعى إليك لـ فارقت بابك بواباً أنا جيكا

ولمذهب الدين عبد الرحيم بن علي من الكتب:

إختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي

مقالة في الاستقراغ ألفها بدمشق

تماليق ومسائل في الطب

وشكوك طبية ورد أجوبتها

أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس

هو من الخزرج من نسل سعد بن عبادة رضى الله عنه، ولد بحلب في سنة تسع وسبعين وخمسائة، أقام بدمشق وجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب واشتغل عليه جماعة وكلهم تميزوا في الطب، وكان يجتمع في ذلك الوقت مع علم الدين فيصّر بن أبي القاسم بن عبد الغني وهو علامة وقته في العلوم الرياضية فقرأ عليه في أسرع وقت ولقد كان علم الدين يوماً عنده وهو وقال له وأنا أسمع والله يا رشيد الدين هذا الذي قد علمته في نحو شهر دأب غيرك في خمس سنين حتى يعلمه! ومن كلامه في الحكمة مما سمعته منه رحمه الله فمن ذلك وصية أول النهار قال

"قد أقبل هذا النهار وأنت فيه مهياً لكل فعل فاختر لنفسك أفضلها لتوصلك إلى أفضل الرتب وعليك بالخير فإنه يقربك من الله ويحببك إلى الناس وإياك والشر فإنه يبعدك عن الله ويبغضك إلى الناس وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند انقضاء هذا النهار واحذر من أن يقلب شرك على خيرك وليس الفاضل من بقي على حالة الطبيعية مع عدم المؤذيات بل الفاضل من بقي عليها مع وجود المؤذيات" يعني الخلق الحسن والثبات في الشدائد هو الفرق فكل الناس قد يكون خيراً وهو ميسور الحال أما حين تبدأ المشاكل تظهر الصفات الحقيقية!

واقبل وصايا الأنبياء واقتد بأفعال الحكماء، وعليك بالصدق فإن الكذب يصغر الإنسان عند نفسه فضلاً عن غيره، وأحلم تشكر وتفضل فإن الحقد يجعل الهم ويوقع في العداوات والشُرور وكذلك الحسد، وأعلم أن نهارك هذا قطعة تذهب من حياتك فأنفقها فيما يعود عليك نفعه، وأفل بالناس ما تشتهي أن يفعلوه بك، وإياك والغضب والمبادرة إلى الانتقام من المغضب أو الانفصال عنه فإنه ربما أوقع في الندم وعليك بالصبر فإنه رأس كل حكمة

وصية أول الليل: "قد انقضى نهارك بما فيه وأقبل عليك هذا الليل وليس لك فيه فعل بدني ضروري فاعطف على مصلحة نفسك بالاشتغال في العلم والفكر في الاطلاع على الحقائق وأحرص أن في غدك أفضل من يومك المنقضي وفكر فيما يعود على نفسك نفعه ونهياً للقاء الله.

إذا حصلت الصناعة فاشتغل بالكتب الجزئية من كلام كل قائل عارياً عن محبة أو بغضة ثم زنه بالقياس وامتنع إن أمكن بالتجربة وحينئذ اقبل

الصحيح وإن أشكل فأشرك غيرك فيه فإن لكل ذهن خاصية بعمان دون معان" ١١

يعني لا تكن عاطفياً بل موضوعياً واستعن بغيرك فالذكاء أنواع..

وقال "اطلب الحق دائماً تحظ بالعلم لنفسك وبالمحبة من الناس".

وقال "طابق أعمالك الجزئية ما في ذهنك من القانون الكلي يتيقن علمك وتجد تجربتك وتؤكد تقدمه معرفتك وتكثر منافحك من الناس".

وقال لكل طبيب "إذا طببت فاتق الله واجتهد أن تعمل بحسب ما تعلمه علماً يقيناً فإن لم تجد فاجتهد أن تقرب منه".

وقال في انتقاء الطالب المستحق لأن تعلمه الطب "إذا وصلت إلى رتبة المعلمين فلا تمتنع مستحقاً وهو العاقل الذكي الخير الحكيم النفس وامتنع من سواه".

وقال "الأردباء يطلبون مع من يفنون نهارهم في الحديث واللغو والبطالة وأنهم متى خلوا بأنفسهم تألموا مما يجدونه في أنفسهم من الرداءة والأخيار على خلاف ذلك لأنهم يأمنون بأنفسهم".

وقال "عجبي لمن لا يعلم متى يموت كيف يركن إلى الدنيا ويهمل المهم من أمره"

وقال "ما أكثر الملتذين بالأمال من غير الشروع في بلوغها".

وقال "لكل وقت أشغال كثيرة فليفعل فيه أهمها".

وقال "فقد الخليل مؤذن بالرحيل"

يعني حين يموت صاحبك وهو في مثل سنك فاعلم أنها رسالة لك.....

وقال موجهاً من شكى إليه حين كتب بعضهم إلى شيخه يشكو تعذر أموره فكتب إليه "إنك لن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ولن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره والسلام"!

لا تخل فعلاً من أفعالك من تقوى الله تعالى وقال "ما أكثر ما يسمع الناس الوصايا النبوية والحكمية ولا يستعملون منها إلا ما يجتلبون به المال"!

وقال "ما أشد ركون الناس إلى اللذات الجسمانية"!

وقال "لا تخل وقتك الحاضر من الفكر في الآتي..."

وقال "من لم يفكر في الآتي أتى قبل أن يستمد له وقال القناعة سبب كل خير وفضيلة"

وقال "أحرص على أن لا تخل بشيء من العبادات البدنية فإنها نعم المعين الموصل إلى العبادات النفسانية"

وقال "اعتصم بالله تعالى وتوكل عليه وثق به محققاً يحرسك ويكفيك كل مؤونة ولا يخيب لك ظناً ولا تركز إلى الدول فإن الملل هي الباقية"

وقال "عود نفسك الخير علماً وعملاً تلق الخير من الله تعالى"

وقال "ليت شمري بما أعتذر إذا علمت ولم أعمل"

وله من الكتب:

كتاب الموجز المفيد في علم الحساب

وكتاب في الطب ألفه لنجم الدين مسعود بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد استقصى فيه ذكر الأمور الكلية من صناعة الطب ومعرفة الأمراض وأسبابها ومداواتها .

كتاب طب السوق ألفه لبعض تلامذته وهو يشتمل على ذكر الأمراض التي تحدث كثيراً ومداواتها بالأشياء السهلة الوجود التي قد اشتهر التداوي بها .

شمس الدين محمد الكلي

كان والده أندلسياً من أهل المغرب، وأتى إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفى رحمه الله ونشأ الحكيم شمس الدين محمد بدمشق، حفظ الكتاب الأول من القانون وهو الكليات جميعها حفظاً متقناً لا مزيد عليه واستقصى فهم معانيه ولذلك قيل له الكلي!

وقرأ أيضاً كثيراً من الكتب العلمية وياشر أعمال الصناعة الطبية وهو جيد الفهم غزير العلم لا يخلي وقتاً من الاشتغال ولا يخل بالعلم في حال من الأحوال.

حسن المحاضرة مليح المحاورة! يعني أدب ولطف مع نجابة وعبقرية وقوة حافظة
فسبحان الله الوهاب.

خدم في البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين بن زنكي رحمه الله.

نجم الدين بن المنفاخ

هو الحكيم الأجل العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي الفضل أسعد بن حلوان
ويعرف بابن العالمة لأن أمه كانت عالمة دمشق وتعرف ببنت دهن اللوز.

كان أسمر اللون نحيف البدن حاد الذهن مفرط الذكاء فصيح اللسان كثير البراعة لا
يجاربه أحد في البحث ولا يلاحقه في الجدل.

أتى إلى دمشق وأقام بها واشتغل عليه جماعة بصناعة الطب وكان متميزاً في الدولة
وكتب إليه صاحب جمال الدين بن مطروح في جواب كتاب منه

لله در أنا مـل شـهرت وسميت فأهدت أنجماً زهراً

فأعجب لنجم في فضائله أنسى الأنام الشمس والبدر

وتوفي رحمه الله في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وستمائة

ولنجم الدين بن المنفاخ من الكتب كتاب التدقيق في الجمع والتزويق...

ذكر فيه الأمراض وما تشابه فيه والتفرقة بين كل واحد منها وبين الآخر مما تشابه
في أكثر الأمر، وهو علم هام الآن لتثبيت الفهم في المجال الطبى وله مؤلفات كثيرة:

وشرح أحاديث نبوية تتعلق بالطب

كتاب المدخل إلى الطب

كتاب العلل والأعراض

كتاب الإشارات المرشدة في الأدوية المفردة.

عز الدين بن السويدي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد من ولد سعد بن معاذ من الأوس مولده في سنة
ستمائة بدمشق ونشأ بها وهو علامة أوانه. اشتغل بصناعة الطب حتى أتقنها إتقاناً لا
مزيد عليه قرأ علم الأدب حتى بلغ فيه أعلى الرتب. وكان أبوه رحمه الله تاجراً من
السويداء بحوران حسن الأخلاق طيب الأعراق لطيف المقال جميل البيمارستان النوري،
كتب كتباً كثيرة جداً في الطب "أروع من الرياض المونقة وأنور من الشمس المشرقة"، وحكى
لي أنه كتب ثلاث نسخ من كتاب القانون لابن سينا.

وله قصة جميلة لطيفة في حرصه على العلم لما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .
وصل إلى دمشق تاجر من بلاد المعجم ومعه نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتاب
مناافع الأعضاء ، وهي صحيحة معقولة من خط المصنف ولم يكن قبل ذلك منها نسخة
في الشام ، فكتب إليه عز الدين بن السويدي قصيدة مديحاً
وأمنن فأنت أخو المكارم وأعلى بكتاب شرح منافع الأعضاء
وعارة الكتب الغريبة لم تسزل من عادة العلماء والفضلاء
فبعت إليه الكتاب وهو في جزمين فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة
النقط والضبط!!
استعار الكتاب ليتسخه وكتبه سريعاً بأروع خط وتقسيم للفقرات فسبحان الله على
الحرص...

ولعز الدين بن السويدي من الكتب كتاب الباهر في الجواهر وكتاب التذكرة الهادية
والذخيرة الكافية في الطب .

عماد الدين الدنيسري

هو حكيم عالم أديب أريب ، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي الخطيب
الريعي
ذو النفس الفاضلة والذكاء الوافر كان له خلق الطيف من التيسيم ولفظ أحلى من
مزاج التمنيم . فسبحان الله طبيب يفرح المريض لقاءه ويشاشته وحسن منطقته
ومن شعره

بالله يا قارئاً شعري وسامعه أسبل عليه رداء الحكم والكرم
واستر بفضلك ما تلقاه من زلي فإن علمي قد أثرى من العدم
ولعماد الدين الدنيسري من الكتب المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة وكتاب نظم
الترياق .

وأود أن نرحل مع ابن سينا قليلاً فلننظر في نبوغ ابن الحضارة الإسلامية الطبيب
العلامة الأريب .

ابن سينا له في الطب مؤلفات كثيرة ، أقيمها كتاب القانون في الطب
ولا يقل عدد كلمات كتاب القانون عن المليون كلمة .
وقد فضله أطباء كثر على كتب جالينوس نفسه .

ومع جو التحري والتمحيص الإسلامي وعدم تقليد أحد بلا برهان، فلم يصبر ابن سينا معصوما كما صار جالينوس قبله، بل نقده طيبب علامة من قرطبة هو ابن زهر، وألف كتاب "التيسير في مداواة والتدبير"، ومثله ابن رشد (المتوفى 595هـ/819 م) مؤلف كتاب "الكليات".

ولد ابن سينا منذ عشرة قرون تقريبا، بمكان في تركستان ((تعرف اليوم باسم أوزبكستان))، وكانت مشعلا إسلاميا للنهضة في الفترة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي.

تعلم الفارسية والعربية وحفظ القرآن في صباه، واجتهد في طلب العلم، والتقى بعلماء بخارى مثل البيروني وتجاوز معهم في الطبيعة والفلك.

اشتهر كطبيب وبلغ في عام 1017 م منصب طبيب خاص مقرب لحاكم همدان، وبعد موته رحل لأصفهان حيث أمضى حياته طبيبا لمطاء الدولة.

وقد كتب جرونر، في رسالته عن طب ابن سينا التي نشرت في لندن عام 1930 م، أن إنجازات ابن سينا الطبية وأفكاره هي ما يعتبره البعض الآن إنجازات حديثة، ومنها العلاقة القوية بين المشاعر والتغيرات الجسدية وفسيولوجية النوم، وأهمية تنقية مياه الشرب، وتأثير المناخ على الأمراض، وأهمية اتباع نظام صحي في الطعام، وإدخال العقاقير في مجرى البول، واستعمال الحمام المهبلي، واستعمال التخدير بالفم، واختبار مدى قوة العقار بالتجربة من الشرج، وعلاج الأمراض العقلية باستعمال الملاريا المفتعلة. نجح ابن سينا في وصف عدد من الأمراض بدقة مثل التيتانوس، والسل. وكان أول من شخص مرض التهاب العصب الخامس، وفرق بين أنواع شلل الوجه المختلفة، كذلك كتب عن تأثير يؤيؤ العين بالضوء.

ابن سينا والصيدلة

إن كتاب القانون يحنوي، علاوة على المعلومات الطبية، أجزاء خصصت للصيدلة وصنف ابن سينا العقاقير تبعا للون والرائحة والتأثير، ففي الطعم فقط جعلها ثمانية مجموعات، وبالتأثير صنفها إلى 41 مجموعة.

وذكر ابن سينا الأخطاء التي يمكن أن تحدث أثناء تحضير العقاقير، والتغيرات التي تنتج عن طبخها وتسخينها، ثم شرح طرق تحضيرها بمنهاج صحيح مثل الطحن والعجن والتكسير والتسخين... الخ.

ويشرح في تلك الأجزاء كذلك الفرق بين العقاقير المركبة، والعقاقير البسيطة، ويشمل هذا الجزء من كتاب القانون اثني عشر مقالا، وتشمل بجانب العقاقير أنواع الترياقات المضادة للسموم وكيفية حفظ الفواكه والمريى والحبوب والزيت والمراهم وكذلك طرق التخزين السليم.

ثم يتبع هذا بمناقشة مفصلة عن الاستعمال السليم للعقاقير بالكميات السليمة تبعاً لمرحلة المرض، ففي المرحلة الأولى يصف الدواء الوقائي، وفي المراحل المتأخرة الأدوية المعالجة، ورسائله الألواحية توضح ذلك.

وفي حالة عدم القدرة على تشخيص العلاج يصف في بادئ الأمر دواء مسكناً للأعراض حتى يتم التعرف على التشخيص الصحيح. محتويات كتابه الضخم "القانون" تتكون هذه الموسوعة الطبية من خمسة كتب: الكتاب الأول ويسمى "الكليات"، والكتاب الثاني "في الأدوية المفردة"، والكتاب الثالث "في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان ظاهراً وباطناً"، والكتاب الرابع "في الأمراض التي لا تختص بعضو بعينه"، والكتاب الخامس "في الأدوية المركبة".

وقد طبع "القانون" مرات باللغة العربية، وترجم للعبرية واللاتينية، وبقي محورياً لمناهج التعليم الطبية في جامعات العالم كله لمئات السنين.

ومن أمثلة نبوغ ابن سينا شرحه المبهر لعملية التنفس، وكتب فيها الفاضل الدكتور أحمد عروة من الجزائر، موضحاً أنه إذا كانت فسيولوجيا التنفس تظهر لنا اليوم في أتم الوضوح فإنه ليس من السهل أن نتصور تلك المراحل الشاقة التي مر عليها الإنسان في معرفة هذه الظاهرة البيولوجية الأساسية.

وكان شرح ابن سينا مرحلة هامة في فهم التنفس والدورة الدموية، أتمها وصوبها ابن النفيس على الوجه الصحيح...
فمثلاً :

... الدورة الدموية الكبرى يشير إليها في تشريح العروق الدموية حيث يقول "الشريانات هي أجسام ثابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا ومأطية الجوهراً لها حركات منبسطة ومنقبضة تنفصل بسكونات؟ أنظر دقة الوصف.

... وآلية التنفس ودور العضلات والحجاب الحاجز وصفها بعناية فقال "وحركة التنفس المعتدل الطبيعي الخالي من الآفة ((أنظر الوعي: هنا يراعى الحالات المرضية

التي تتغير فيها الآلية)) يتم بحركة الحجاب فإن احتياج إلى زيادة قوة. شارك الحجاب في هذا، المعونة عضل الصدر كلها حتى أعاليها".

ووصف بدقة الأعصاب التي تأتي لتتحكم في عضلات التنفس! وهو ما نعني به الآن من دراسة الإمداد العصبي بعد تشريح العضلات والعظام! ولابن سينا سبق وتميز في استعمال التخدير للجراحات:

كان ابن سينا أول من فكر واستعمل التخدير عن طريق الفم، وأدرك أن الأفيون أقوى مخدر، وعرف أنواع أخرى أخف مثل اللقاح والشوكران وحبوب الخس والثلج والماء البارد. اخترع ابن سينا الإسفنجة المنومة أو المخدرة، وهي إسفنجة مبللة بروائح مخدرة وذات رائحة قوية، وتمسك قريبة من أنف المريض. ونقل الطبيب الفاضل لنا عن ابن سينا شيئاً من لفتاته القيمة من الناحية العلاجية:

"على الطبيب أن يعرف ما يجب أن يخلطه بالدواء لكي يصل إلى العضو بسرعة كما تخلط بأدوية أعضاء البول المدرات وبأدوية القلب الزعفران. وأن يعرف جهة اتصال الدواء، فإذا كانت القرحة في الأمعاء العليا أوصل الدواء إليها بالشراب، وإذا كانت في السفلى استعان بالحقنة... أما الأشياء الملائمة للشفاء فالهواء أولى ما يجب مراعاة أمره، وهل هو معين للدواء أو للمرض. وإذا كان المرض خطيراً ويخشى الطبيب هبوط قوة المريض مع تأخير العلاج الواجب فعلى الطبيب أن يبدأ بالعلاج القوي أولاً، وإذا لم يكن هناك خطر فعليه أن يتدرج إلى الأقوي".

وينصح ابن سينا بما لوحظ حديثاً من تكيف الجسم مع الدواء، فيقول:
"لا يجب أن تقيم على علاج واحد بدواء واحد بل تبدل الأدوية، فإن المألوف لا يفعل عنه. ولكل بدن، بل لكل عضو بل للبدن والعضو في وقت دون وقت، خاصية في الانفعال عن دواء دون دواء".

"وإذا أشكلت العلة فخل بينها وبين الطبيعة ولا تستعجل، فإن الطبيعة إما أن تقهر العلة وإما أن تظهر العلة".

"Wait and see" وهو ما نسميه اليوم في الطب "وإذا اجتمع مرض مع وجع أو شبه وجع، أو موجب وجع كالضربة والسقطة فابدأ بتسكين الوجع" وهو ما نفعله لتخفيف الهبوط والصدمة العصبية من شدة الألم ولتخفيف إخفاء الأعراض الحقيقية للمشكلة من شدة الألم وتقلص To avoid shock and confusion العضلات وتوتر المريض ولا يفوت طبيبنا أن يذكر وسائل العلاج التي تؤثر في النفس، فيقول للطبيب: "واعلم أن من

المعالجات الجيدة الناجمة الاستعانة بما يقوي القوى النفسانية والحيوانية، كالفرح ولقاء ما يستأنس به وملازمة من يسره (وربما نفعت ملازمة المحتشمين ومن يستحيا منهم، فتمنت المريض عن أشياء تضره) ومما يقارب هذا الصنف من المعالجات الانتقال من بلد إلى بلد، ومن هواء إلى هواء، والانتقال من هيآت إلى هيآت".

وبلا شك تلك الأمور الآن صارت بدهية في العلاج الشامل، الذي يمارس الآن من نظرة للمريض ككيان إنساني يتأثر بما حوله ومن حوله وتتأثر خواص جسمه الفيزيائية والكيميائية وحالة مناعته بحالته النفسية..

الله أحكم خلق ذلك كله	صنعا وأتقن أيما إتقان
قل للطبيب الفيلسوف بزعمه	إن الطبيلة علمها برهان
أين الطبيلة عند كونك نطفة	في البطن إذ مشجت به المآن
أين الطبيلة حين عدت عليقة	في أريمين وأريمين تواني
أين الطبيلة عند كونك مضفة	في أريمين وقد مضى العدنان
أترى الطبيلة صورتك مصورا	بمسمامع ونواظر ويننان
أترى الطبيلة أخرجتك منكسا	من بطن أمك وأهي الأركان
أم فجرت لك باللبان ثديها	فرضعتها حتى مضى الحولان
أم صيرت في والديك محبة	فهما بها يرضيك مفتبطان
يا فيلسوف لقد شغلت عن الهدى	بالمتطق الرومي واليوناني
وشريعة الإسلام أفضل شرعة	دين النبي الصادق العدنان
هو دين رب العالمين وشرعه	وهو القديم وسيد الأديان
هو دين آدم والملائك قبله	هو دين نوح صاحب الطوفان
وله دعا هوذا النبي وصالح	وهما لسيدين الله معقدان
وبه أتى لوط وصاحب مدين	فكلاهما في السدين مجتهدان
هو دين إبراهيم وأبيه معا	وبه نجا من نفرة السنيان
وبه حمى الله الذبيح من البلا	لما فداه بأعظم القرينان

هو دين يعقوب النبي ويونس
هو دين داود الخليفة وابنه
هو دين يحيى مع أبيه وأمه
وله دعا عيسى بن مريم قومه
والله أنطقه صبيًا بالهدى
وكمال دين الله شرع محمد
الطيب الزاكي الذي لم يجتمع
الطاهر النسوان والولد الذي
وأولو النبوة والهدى ما منهم
بل مسلمون ومؤمنون برهم
ولمة الإسلام خمس عقائد
لا تمصر ربك قائلًا أو فاعلا
جمل زمانك بالسكوت فإنه
كن حلس بيتك إن سمعت بفتنة
أد الفرائض لا تكن متوانيا
أدم السواك مع الوضوء فإنه
سم الإله لدى الوضوء بنية
فأساس أعمال الورى نياتهم

وكلاهما في الله مبتليان
وبه أذل له ملوك الجان
نعم الصبي وحذا الشيخان
لم يدعهم لعبادة الصليبان
في المهدي ثم سما على الصبيان
صلى عليه منزل القرآن
يوما على زلزل له ابوان
من ظهره الزهراء والحسنان
أحد يهودي ولا نصراني
حنفاء في الإسرار والإعلان
والله أنطقني بها وهدياني
فكلاهما في الصحف مكتوبان
زينن الحليم وسفرة الحيران
وتوق كل منافق فتان
فتكون عند الله شر مهان
مرضى الإله مطهر الأسنان
ثم استعد من فتنة الولهان
وعلى الأساس قواعد البنيان

وقفة ثانية مع التشريح في كتاب القانون:

سنجده دقيقا جدا وراقيا جدا، فلو Classification ننظر إلى التقسيم تبعته بعناية
تصير متمكنا من علم التشريح وفهم تركيب الجسم كجراح بارز ماهر، فتدرك - ولو كنت
مفهم العين - حين تضع يدك على المريض ما تحتها من عصب وعضل وعروق، بل وما
دوره للجسم وما الملاحظات التي تهمل فيه ... !

Applied anatomy وهو التشريح التطبيقي العملى أنظر للتقسيم الذى اتبعه وكيف
يسمى لتثبيت المعلومة بشتى الطرق:

- البحث الأول تقسيم العظام بحسب منفعتها في البدن
- البحث الثاني تقسيم العظام بحسب تجاوبها ما تحتوي عليه من التجاويف
- البحث الثالث المفاصل وتقسيم العظام بحسبها
- الفصل التاسع تشريح فقار الظهر ومنافعها
- البحث الأول منفعة الأضلاع جملة
- البحث الثاني هيئة الأضلاع والمنفعة في خلقتها كذلك
- الفصل السابع عشر تشريح الكتف
- البحث الأول منفعة عظم الكتف
- البحث الثاني صورة هذا العظم
- الفصل الثامن والعشرون تشريح مشط الكف
- الفصل الثالث والعشرون تشريح الأصابع
- الجملة الثانية العضل
- الفصل الأول كلام كُلي في العصب والعضل والوتر والرباط
- الفصل الثاني تشريح عضل الجبهة
- الفصل الثالث تشريح عضل المقلة
- الفصل الرابع تشريح عضلات الجفن ١
- الفصل الخامس تشريح عضل الخد
- الفصل السادس تشريح عضل الشفة
- الفصل السابع تشريح عضل الحنجرة
- البحث الأول تشريح الحنجرة ١
- أنظر كيف يتحدث من مئات السنين وبأي دقة ١
- البحث الثالث العضلات التي تبسط الصدر وتقضضه
- البحث الأول تعريف هيئة الشريان النازل
- البحث الثاني المواضع التي لا تصاحب الشرايين فيها الأوردة
- البحث الخامس تشريح الغشاءين المحيطين بالدماغ وهما الأمان الغليظة والرفيعة
- فصل تولد الجنين

ابن النفيس

فَقَوْمُوا إِلَى سَيْفٍ وَعِلْمٍ وَمَعُولٍ فَكَلِمَتِ نَفْسِي عِنْدَ الْخُطُوبِ الذَّرَائِعِ
وَكُوبُوا إِلَى الْقُرْآنِ يَا خَيْرَ أُمَّةٍ فَمَا عَزَّوْهُمْ لَمْ تُصْنِ الشَّرَائِعِ

هو الفقيه اللغوي الطبيب علي بن أبي الحزيم القرشي، من أعلام القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، ولد بدمشق سنة 670 هجرية وهناك درس الطب، ثم ارتحل إلى القاهرة وأقام بها حتى وفاته سنة 678 هجرية. عاصر عهد سيف الدين الأيوبي أخى الناصر صلاح الدين الأيوبي.

أبدع في الطب والصيدلة. أصبح رئيساً لقسم الكحالة (طب العيون) في البيمارستان الناصري، وتولى في أواخر حياته رئاسة الأطباء في البيمارستان المنصوري. وكان يدرس اللغة أيضاً في المدرسة المسروية.

كان شيخاً طويلاً، نحيفاً، وقوراً، ذا هيبة واحترام، دمث الأخلاق، لطيف المعاملة، ذا مروءة وورع، لا يحجب عن الإفادة ليلاً ولا نهاراً. وكان يحضر مجلسه في داره جماعة من الأمراء والمهذب بن أبي حليفة رئيس الأطباء وأكابر الأطباء. وكان قد وقف جميع أملاكه وأمواله وكتبه وداره البيمارستان المنصوري لتصير صدقة جارية لنفع الناس وتعلم الطب...

والمشهور طبعا أنه أول من شرح دورة الدم بين القلب والرئتين في شرحه لجزء (التشريح) من كتاب القانون لابن سينا، ثم عاد ووصف الدورة الدموية كاملة في مؤلفاته الأخرى.

وعبقريته كما رأينا متعددة الجوانب، فله إسهامات طبية جدا في مجال توضيح منهج البحث العلمي ومجالي البصريات والصيدلة، وله اجتهادات في مجال اللغة والنحو. ولقد كان ذا ذاكرة خارقة، فكان إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية ويدير وجهه إلى الحائط ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا تحدر فإذا كل القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الزمان في بري القلم.

ومن المواقف الشهيرة

قال أحد تلاميذه "اجتمع ليلة ابن النفيس والقاضي جمال الدين بن واصل وأنا نائم عندهما، فلما فرغا من صلاة العشاء شرعا في البحث وانتقلا من علم إلى علم، والشيخ علاء الدين بن النفيس في كل ذلك يبحث برياسة ولا انزعاج وأما القاضي جمال الدين فإنه ينزهج ويملو صوته وتحمر عيناه وتتفتخ عروق رقبته ولم يزال كذلك إلى أن أسفر الصبح، فلما انفصل الحال قال القاضي جمال الدين: يا شيخ علاء الدين أما نحن

فعندنا مسائل ونكت وقواعد ، وأما أنت فعندك خزائن علوم! وصدق، ويدل عليه ضخامة تراثه وانتشاره وحفاوة الدنيا به، فالموجز في الطب توجد نسخ منه في برلين ومانشستر وباريس وأستنبول والقاهرة ودمشق وحلب وغيرها من المدن والعواصم العربية والأجنبية. ومن أهم مؤلفاته:

الشامل في الصناعة الطبية (موسوعة كبرى تقع في ثمانين مجلدًا)
شرح التنبيه للشرار في فروع الفقه الشافعي المختصر في علم الحديث النبوي
صلى الله على صاحبه وسلم
الموجز في الطب، شرح القانون لابن سينا
شرح فصول أبقراط.

ونقف مع اكتشافه الرائع حين تحدث عن تشريح القلب وصوب كلام السابقين بثقة وعلم حيث قال في تشريح القلب "ولكن ليس بينهما (أي بين بطيني القلب) منفذ فإن جرم القلب هناك سميك ليس فيه منفذ ظاهر، كما ظن جماعة، ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم كما ظن جالينوس".

وكان وصفه للدورة الدموية الرئوية وصفاً علمياً صحيحاً مبنياً على الملاحظة الواعية والملاحظة الدقيقة، لأول مرة في التاريخ، وتصويبه لأقوال جالينوس وابن سينا وغيرهما في هذا الموضوع هو أبرز ماميزه.

فهو من النقلات الكبرى في عالم الطب، ولم يقر له بالسبق سوى في القرن الماضي فقط، فمن المعروف في كتب تاريخ الطب حتى عام 1924 أن المكتشف الأول للدوران الدموي هو العالم الإنجليزي ويليام هارفي عام 1628 م. W. Harvey. ثم يسر الله للطبيب المصري الدكتور/ محيي الدين التطاوي تقديم ، رسالة الدراسات العليا إلى جامعة فرايبورغ في ألمانيا عام 1924 وأعلن فيها أن ابن النفيس قد وصف الدوران الرئوي وصفاً صحيحاً في كتابه (شرح تشريح القانون) مستنداً في ذلك إلى مخطوطة موجودة في عميد كلية الطب (برلين ، وأقر بالأمر الأستاذ (ليون بيني في باريس في كتابه "على هامش المؤتمرات المنشور عام 1947 . ثم المؤرخ سارتون" نشر عنها هذا الخبر في آخر جزء من كتابه المشهور (المدخل إلى تاريخ العلوم) بعدها كانت رسالة دكتوراة من باريس للدكتور عبد الكريم شحادة .

و كان الأقدمون يظنون أن الأوردة تحمل الدم في حين تنقل الشرايين الهواء والروح وأن حركة الدم بين مد وجزر وليس دورانا وأن الرئة تبرد الدم فقط .

و توصل ابن النفيس إلى معرفة أن العضلة القلبية تتغذى بأوعيتها الخاصة بها ، وهو أول من اكتشف تلك الأوعية ووصفها عالمياً .

فيقول ابن النفيس في كتابه شرح تشريح القانون (في معرض كلامه على تغذية العضلة القلبية :

” وجعله للدم الذي في البطن الأيمن منه يفتذي القلب لا يصح البتة، فإن غذاء القلب إنما هو من الدم المنبث فيه من العروق المثبتة في جرمه“

فقد عارض رأي ابن سينا وكل من سبقه في موضوع تغذية العضلة القلبية ، ويكون أول من وصف تغذيتها من الأوعية الخاصة بها .

الحقُّ أَصْدَقُ والحياة سُبْحانُ
والظلم يذهب والزمان تَقْلُبُ
ولكلُّ ليلٍ ظُلْمَةٌ لا تنجلي
ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ
يا نفس هل تبكين مجداً ضائعاً
أم هل يشوقك للعلوم مقالُ
يا نفس لا تبكي فإن فلاحنا
بالمعلم لا بالدمع حين يسألُ

أبو الوليد بن رشد

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد مولده ومنشؤه بقرطبة، تميز في علم الطب وهو جيد التصنيف حسن المعاني وله في الطب كتاب الكليات وقد أجاد في تأليفه وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة ولما ألف كتابه هذا في الأمور الكلية قصد من ابن زهران يؤلف كتاباً في الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب !

فهى سابقة في التأليف المشترك لمرجع واحد كما نرى الآن

ومن كلام أبي الوليد بن رشد قال " من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله "

ولأبي الوليد بن رشد من الكتب

كتاب نهاية المجتهد في الفقه

كتاب الكليات شرح الأرجوزة المنسوبة إلى ابن مينا في الطب

كتاب الحيوان

تلخيص كتاب الحميات لجالينوس

تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس
تلخيص النصف الثاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس
مسألة في نواثب الحمى
مقالة في حركة الفلك

أبو جعفر بن الفزّال

كان خبيراً بتركيب الأدوية ومعرفة مفرداتها وكان المنصور يعتمد عليه في الأدوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه وكان المنصور قد أبطل الخمر وشدد بأن لا يأتي بشيء منه إلى الحضرة أو يكون عند أحد .

فلما كان بعد ذلك بمدة قال المنصور لأبي جعفر بن الفزّال أريد أن تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه ، فامتثل أمره وجمع حوائجه وأعوّزه الخمر الذي يمجّن به أدوية الترياق وأنهى ذلك إلى المنصور ، فقال له تطلبه من كل ناحية وأنظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لنكمل الترياق فتطلبه أبو جعفر من كل أحد ولم يجد شيئاً منه فقال المنصور والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لأعتر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا ؟

أبو العباس بن الرومية

وهو عبقرى في الصيدلة

أحمد بن محمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية من أهل إشبيلية ومن أعيان علمائها وأكابر فضلائها . قد أتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الأدوية ومنافعها ومواطنها . وله الذكر الشائع والسمعة الحسنة كثير الخير موصوف بالديانة محقق للأموز الطبية قد شرف نفسه بالفضائل وسمع من علم الحديث شيئاً كثيراً عن ابن حزم وغيره . وله رحلة عظيمة لم تكن للهو ولا السباحة بل للحج والعلم . فقد وصل سنة ثلاث عشر وستمائة إلى ديار مصر وأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين وانتفع الناس به وأسمع الحديث وعان نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبث بالمغرب وشاهد أشخاصها في منابها ونظرها في مواضعها ولما وصل من المغرب إلى الإسكندرية سمع به السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب رحمه الله وبلغه فضله وجودة معرفته بالنبات وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الإسكندرية وتلقاه وأكرمه . وله من الكتب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ومقالة في تركيب الأدوية .

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر

خلف الطولوني

طبيب العيون، له كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وأدويتهما
وجمع الكتاب في سنين طويلة، يقول فيه: إن معاناته كانت لتأليف هذا الكتاب في
سنة أربع وستين ومائتين وفراغه منه في سنة اثنتين وثلاثمائة.

التميمي

صيدلاني عبقرى أساسا

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي كان مقامه أولاً بالقدس ونواحيها، وله
معرفة جيدة بالنبات وماهياته، وكان متميزاً أيضاً في أعمال الطب والاطلاع على دقائقها
وصنف كتاباً كبيراً في عدة مجلدات سماه مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من
ضرر الأوباء!

وقد صنف وركب ترياقاً سماه مخلص النفوس وقال فيه هذا ترياق الفته بالقدس
وأحكمت تركيبه لدفع ضرر السمومات الفاتلة، ولما كان بمصر
صنف مهضمًا وركبه وسماه مفتاح السرور من كل الهموم ومفرج النفوس ألفه لبعض
إخوانه بمصر، وحكى صورة تركيبه وأسماء مفرداته.

وللتميمي من الكتب:

رسالة إلى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق ونمت أشجاره الصحيحة وأوقات
جمعها وكيفية عجنه وذكر منافعه وتجربته، ومقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه
وعلاجه، وكتاب الفاحص والأخبار.

علي بن سليمان

كان طبيباً فاضلاً متقناً للعلوم الرياضية. له من الكتب اختصار كتاب الحاوي في
الطب، كتاب الأمثلة والتجارب والأخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب
أبقراط وجالينوس وغيرهما.

الأمير الطبيب المبشر بن هاتك

هو الأمير محمود الدولة أبو المبشر بن هاتك الأمري من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها دائم الاشتغال محب للفضائل والاجتماع بأهلها ومباحثهم والانتفاع بما يقتبسه من جهتهم ، وكان ممن اجتمع به منهم العلامة أبو محمد بن الحسن بن الهيثم وكذلك أيضاً اجتمع بالشيخ أبي الحسين المعروف بابن الأمدى وأخذ عنه كثيراً من العلوم. وللمبشر بن هاتك تصانيف وكان محباً للقراءة له دأب على المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده.

له من الكتب كتاب الوصايا والأمثال والموجز من محكم الأقوال وكتاب في الطب.

بلمظفر بن معرف

هو بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف كان ذكياً فطناً كثير الاجتهاد والعناية والحصص في العلوم وصناعة الطب والأدب.

وكان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ولم يزل بلمظفر في معظم أوقاته في ذلك المجلس مشغولاً في الكتب وفي القراءة والنسخ.

ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن وأن جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه

ومن شعر بلمظفر بن معرف

وقالوا الطبيعة مبدأ الكيان فيها لبت شعري ما هي الطبيعة

أقدرة طبعت نفسها على ذاك أم ليس بالمسـتـطـيعة

وقال أيضاً

وقالوا الطبيعة معلومنا ونحن نبين ما حدها

ولم يعرفوا الآن ما قبلها فكيف يرومون ما بعدها

ابن جميع

أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن ابن إفرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي من الأطباء المشهورين.

خدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان رفيع المنزلة عنده، وكان له نظر في العربية وتحقيق للألفاظ اللغوية وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح للجوهري حاضر بين يديه ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حق المعرفة إلا ويكشفها منه ويعتمد على ما أورده الجوهري في ذلك.

ويروي صاحب عيون الأنباء عنه:

حدثني بعض المصريين أن ابن جميع كان يوماً جالساً في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر وقد مرت عليه جنازة فلما نظر إليها صاح بأهل الميت وذكر لهم أن صاحبهم لم يميت وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنوه حياً قال فبقوا ناظرين إليه كالمتعجبين من قوله ولم يصدقوه فيما قال،

ثم إن بعضهم قال لبعض هذا الذي يقوله ما يضرنا إننا نمتعنه فإن كان حقاً فهو الذي نريد وإن لم يكن حقاً فما يتغير علينا شيء فاستدعوه إليهم وقالوا بين الذي قد قلت لنا فأمرهم بالمسير إلى البيت وأن ينزعوا عن الميت أكفانه وقال لهم أحملوه إلى الحمام ثم سكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونظله بنطولات وغطسه فראوا فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال أبشروا بما فيته ثم تم علاجه إلى أن أفاق وصلى فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم وظهرت عنه كالمعجزة ثم إنه سئل بعد ذلك من أين علمت أن ذلك الميت وهو محمول وعليه الأكفان أن فيه روحاً فقال إني نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الذين قد ماتوا منبسطة فحدست أنه حي وكان حدسي صائباً.

وفي رثائه قيل:

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجعي	وإن نضدت منك الدموع فبالدم
فحق بأن تذري في على فقد سيد	فقدنا به فضل العلا والتكرم
وأفضل أهل العصر علماً وسؤداً	وأفضلهم في مشكل القول مبهم
وأرحبهم صدرأ وكفأ ومنزلاً	ووجهأ كمثل الصبح عند التسم
وأنجد من يمهته للممة	وأنجد من أملكه لتالم
ولو كان يفدى من حمام قديته	بنفس متى تقدم على الموت تقرم
وما رد بقرطاً عن الموت طبه	وقد كان من أعيانه في التقدم

ولا حاد جالينوس عن حتف يومه
 لا كسر كسرى ثم تابع تبعاً
 فلا فرج إلا ويعقبه الأسى
 ولا كل من أجرى المدامع تاكل
 فلا تعذلونى إن بكيت تأسفاً
 ووالله ما وهيت واجب حقه
 وأنسى لأفنى مدة العمر والهأ
 فسلم ما أعياه للمتسلم
 وعاد بعاد ثم جر بجرهم
 ولا غاية البنيان غير التهدم
 وأين جميل في الأسى من متم
 فقدر عظيم الحزن قدر المعظم
 ولو أن جسمي كل عين يمرزم
 تصرم أيامي ولم يتصرم
 وله رسالة في الطب كتبها لقاض لم يجد طبيباً، وهي سابقة في باب طب نفسك وله
 كتاب اسمه مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه مقالة في الراوند ومنافعه مقالة في علاج
 القولنج واسمها الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية.

القاضي نفيس الدين بن الزبير

هو هبة الله الكولي والكولم من بلاد الهند وهو ينسب من جهة أمه إلى ابن الزبير
 الشاعر المشهور الذي كان بالديار المصرية.
 تميز في صناعة الطب وأتقن أيضاً صناعة الكحل وعلم الجراحة. وولاه الحاكم
 رئاسة الطب بالديار المصرية وطب العيون في البيمارستان الناصري.
 توفي القاضي نفيس الدين بن الزبير رحمه الله بالقاهرة في سنة ست وثلاثين
 وستمائة.

رشيد الدين أبو حليقة

هو العالم رشيد الدين بن الفارس أبي الخير قيل فيه: أوجد زمانه في الطب والمعالجة
 لطيف المداواة. كان رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للأموال الشرعية التي هو
 عليها كثير العبادة.
 ويقول ابن أبي أصيبعة عنه: ولقد اجتمعت به مرات ورأيت من حسن معالجته
 وعشرته وكمال مروءته ما يفوق الوصف... فسبحان الله علم وأدب حفظ كتاب الفصول
 لأبقراط، وكان طبيباً مقرباً من الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح وبقي في خدمته.

ومن جملة نوادره أنه حكم معرفة نبض الملك الكامل حتى أنه في بعض الأيام خرج من خلف الستارة فرأى نبض الجميع ووصف لهم فلما انتهى إلى نبضه عرفه فقال هذا نبض مولانا السلطان وهو صحيح بحمد الله فتعجب منه غاية العجب وزاد تمكنه عنده. ومن حكاياته أن الملك الكامل كان عنده مؤذن يعرف بأمين الدين جعفر حصل له حصاة سدت مجرى البول وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها على الموت فكتب إلى الملك الكامل وأعلمه بحاله وطلب منه دستوراً يمشي إلى بيته يتداوى فلما حضر إلى بيته أحضر أطباء العصر فوصف كل منهم له ما وصف فلم ينجع فاستدعى الحكيم أبا حليقة المذكور فأعطاه شربة من ذلك الترياق فبمقدار ما وصلت إلى معدته نفذت قوتها إلى موضع الحصاة ففتنتها وخرجت من الإراقة وهي مصبوعة بالدواء. وله من الكتب

مقالة في حفظ الصحة وكتاب في الأدوية المفردة سماه المختار في الألف عقار كتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداوئها بالأدوية المفردة والمركبة التي قد أظهرت التجربة نجحها ولم يداو بها مرضاً يؤدي إلى السلامة إلا ونجحت بفضل الله، التقطها من الكتب المصنفة في صناعة الطب من آدم عليه الصلاة والسلام وإلى وقتنا هذا ونظم متشتتها ومتفرقها، وله مقالة في ضرورة الموت .

ابن البيطار

هو الحكيم العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النباتي، علامة وقته في معرفة النبات واختياره ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها . سافر إلى اليونان وإيطاليا وعاین كل نبات في مواضعه، واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات وعاین منابته. ويقول عنه المؤرخ: رأيت أيضاً من حسن عشرته وكمال مروءته وطيب أمراقه وجودة أخلاقه ودرأيته وكرم نفسه ما يفوق الوصف ويتعجب منه .

وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس فكانت أجده من غزارة علمه ودرأيته وفهمه شيئاً كثيراً جداً . وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس وإلفاقي وأمثالها من الكتب الجليلية في هذا الفن فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعت وصفته وأفعاله ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعت ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ويذكر أيضاً جملاً من أقوال

المتأخرين وما اختلفوا فيه ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته، فكنيت أراجع تلك الكتب معه ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها!

... يعني يحفظ نصوص كل عالم بكل لغة والتعليق على ما قال ونقده علمياً!
وأعجب من ذلك أيضاً أنه كان ما يذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة!
... يعني ذاكرة موسوعية قياسية

وكان في الديار المصرية رئيساً على سائر العشابين، وخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب. وتوفي ضياء الدين العشاب رحمه الله بدمشق في شهر شعبان سنة ست وأربعين وستمائة فجأة.

ولضياء الدين بن البيطار من الكتب
كتاب الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام شرح أدوية كتاب ديسقوريدس كتاب الجامع في الأدوية المفردة وقد استقصى في ذكر الأدوية المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه ولم يوجد في الأدوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه وصنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب.
كتاب المغني في الأدوية المفردة وهو مرتب بحسب مداواة الأعضاء الآلة
كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة.

الشريف الكحال

هو برهان الدين أبو الفضل سليمان أصليته من مصر وانتقل إلى الشام.
شريف الأعراق لطيف الأخلاق حلو الشمائل مجموع الفضائل!
وكان عالماً بصناعة الكحل وافر المعرفة والفضل، متقناً للعلوم الأدبية، بارعاً في فنون العربية متميزاً في النظم والنثر متقدماً في عمل الشعر، وخدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن توفي رحمه الله.
ومن ملح ما للقاضي الفاضل فيه أنه كان قد أهدى الشريف أبو الفضل الكحال المذكور إلى شرف الدين بن عنين خروفاً وهو يومئذ بالديار المصرية فلما وصل إليه وجده هزياً ضميماً فكتب إليه يقول على سبيل المداعبة:

أتحتي أياديك التي لا أعدها لكثرتها لا كفسر نعمى ولا جهل
ولكنني أنبيك عندها بطرفة تروك ما وافى لها قبلها مثل

أتاني خرووف ما شككت بأنه حليف هوى قد شفه الهجر والعذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته خيالاً سبرى في ظلمة ما له ظل
فناشدته ما تشتهي قال قته وقاسمته ما شفه قال لي الأكل
فاحضرها خضراء مجاجة الثرى مسلمة ما خص أرافقها الفتل
فضل يراعيها بعين ضعيفة وينشدها والدمع في العين منهل
أتت وحياض الموت بيني وبينها وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

الصاحب نجم الدين بن اللبودي

هو أبو زكريا يحيى بن الحكيم الإمام شمس الدين محمد بن عبدان ولد بحلب سنة 670.

نادر في العلوم مفرط الذكاء فصيح اللفظ شديد الحرص في العلوم متفنن في الآداب.
وله من الكتب

مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا

مختصر كتاب المغص لابن خطيب الري

مختصر كتاب المعاملين في الأصولين

مختصر كتاب إقليدس

غاية الغايات في المحتاج إليه

المتوسطات

تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية على طريق المسائل خلاف
الفقهاء.

أبو الفضل عبد الكريم المهندس

هو محمد بن عبد الكريم الحارثي مولده ومنشؤه بدمشق وكان يعرف بالمهندس
لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل أن يتحلى بمعرفة صناعة الطب ، وكان في أول
أمره نجاراً بأربعة شهور ، وأكثر أبواب البيمارستان الكبيرة الذي أنشأه الملك العادل نور
الدين ابن زنكي رحمه الله من نجارته وصنمته.

وأول اشتغاله بالعلم أنه قصد إلى أن يتعلم كتاب إقليدس ليزداد في صناعة النجارة جودة ويطلع على دقائقها وحل كتاب إقليدس بأسره وفهمه فهماً جيداً وقوي فيه ثم نظر أيضاً في كتاب هندسي شهير هو المجسطي وشرع في قراءته وحله وانصرف بكليته إلى صناعة الهندسة وعرف بها .

ثم ورد دمشق في ذلك الوقت الشريف الطوسي وكان فاضلاً في الهندسة والعلوم الرياضية ليس في زمانه مثله فاجتمع به وقرأ عليه وأخذ عنه شيئاً كثيراً من معارفه . وقرأ أيضاً صناعة الطب على أبي المجد محمد بن أبي الحكم ولازمه حق الملازمة ، ونسخ بخطه كتباً كثيرة في صناعة الطب ووجدت بخطه الكتب الستة عشر لجالينوس وقد قرأها على أبي المجد محمد بن أبي الحكم وعليها خط ابن أبي الحكم له بانقراءة يعنى شهادة وإجازة أنه شرحها له .

وهو الذي أصلح الساعات التي للجوامع بدمشق وإصلاح الساعات الكبيرة في تلك الأزمان كان مهمة المهندسين ، ومارس الطب في البيمارستان الكبير وكان فاضلاً في صناعة الطب جيد المباشرة لأعمالها محمود الطريقة . وكان قد سافر إلى مصر وسمع علم الحديث بالإسكندرية من رشيد الدين الحارثي وأبي طاهر السلفي الأصفهاني . واشتغل أيضاً بالأدب وعلم النجوم وعاش نحو السبعين سنة .

ومن شعره في مقالته في رؤية الهلال ألفها للقاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين ويقول فيها يمدحه

ضد الثغور تساهم أن بلسوهم	وقد يسمى بصيراً غير ذي بصر
والنمت ما لم تك الأفعال تعضده	اسم على صورة خطت من الصور
وما الحقيق به لفظ يطابقه المعنى	كنجل القضاء الصيد من مضر
فالدین والمسلک والإسلام قاطبة	برأيه في أمآن من يد الغير
يرجو بذاك نعيماً لا نضاد له	جوار ملسك عزيز جل مقتدر
فأله يكلؤه من كل حادثة	ما غردت هاتقات الورق في الشجر

وله من الكتب أيضاً

رسالة في معرفة رمز التقويم ، مقالة في رؤية الهلال ، كتاب في الأدوية المفردة على ترتيب حروف أبجد .

موفق الدين عبد العزيز

شيخ إمام عالم، هو عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي، كان كثير الخير مؤثراً للجميل عزيز المروءة وأقر العربية شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً لمن كان منهم ضعيف الحال! يفتقدهم ويمالجهم ويوصل إليهم النفقة وما يحتاجونه من الأدوية والأغذية وكان كثير الدين طلق الوجه يحبه كل أحد! وكان في أول أمره في المدرسة فقيهاً في المدرسة الأمينية بدمشق عند الجامع واشتغل بعد ذلك على إلياس بن المطران بصناعة الطب وأتقن معرفتها وعملها وصار من المتميزين فيها وكان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين محمود بن زنكي.

رضي الدين الرحبي

هو أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي من الأكابر في صناعة الطب والمتعينين من أهلها وله القدر، كان كبير النفس حسن السيرة محباً للخير وأهله شديد الاجتهاد في مداواة المرض رؤوفاً بالخلق طاهر اللسان ما عرف منه في سائر عمره أنه أدى حداً ولا تكلم في عرض غيره بسوءاً وكان يجاور صلاح الدين الأيوبي في بيمارستانه وقلعته دوماً.

ويقول المؤرخ بلفظه وفاء لمعرفته وفضله:

كنت قد قرأت عليه كتاباً في الطب ولا سيما فيما يتعلق بالجزء العملي من كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي وغيره وانتفعت به. وكان الشيخ رضي الدين محباً للتجارة، وكان يراعي مزاجه ويمتني بحفظ صحته، وقال لي: الذي ينبغي أن تعتمد عليه أنك تأكل وقت تكون الشهوة للأكل صادقة في أي وقت كان سواء أكان مرتين في النهار أو مرة أو ليل أو نهار فالأكل عند الشهوة الصادقة للأكل هو الذي ينفع وإذا لم يكن كذلك فإنه مضرة البدن. وصدق في قوله، وقد لزم في سائر أيامه أشياء لا يخل بها وذلك أنه كان يجمل يوم السبت أبداً لخروجه إلى البستان وراحته فيه ويتركه يوم بطالة عن الاشتغال، وكان في يوم الجمعة يقصد من يريد رؤيته وزيارته من الأعيان.

وله من الكتب تهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لأبقراط واختصار كتاب المسائل لابن اسحاق .

موفق الدين عبد الملطيف البغدادي

هو الشيخ الإمام الفاضل ، موصلي الأصل بغدادي المولد ، كان مشهوراً بالعلوم متعلّياً بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف وكان متميزاً في النحو واللغة العربية عارفاً بالطب.

وكان بيته بيت علم والده يوسف مشتغلاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات وسليمان عمه فقيهاً .

يقول عن نفسه : وتربيت في حجر أبي النجيب لا أعرف اللعب واللهو وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث وأخذت لي إجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر وقال لي والذي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد وألحقتك في الرواية بالشيوخ، وكنت في أثناء ذلك أتعلم الخط وأتحفظ القرآن والفصيح والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو، فلما ترعرت حملني والذي إلى كمال الدين عبد الرحمن الأنباري وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدي صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية فقرأت عليه خطبة الفصيح...

إلى أن قال : وتخرجت إلى أن صرت أسبقه في الحفظ والفهم وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار وأقمنا على ذلك برهة . ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة حفظاً متقناً وفي أثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضال بنادر الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب . وأقبلت على الإشتغال وشمريت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم والذات!

إنما الأيام والعيش كتاب كل يوم فيه للعبرة باب

إن رزقت العلم زله بالبيان ما يفيد العقل إن عي اللسان

قال : ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبي ويملا عيني ويحل ما يشك علي ودخلت الموصل فلم أجد فيها بقيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جيداً في الرياضيات والفقه قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها ...

وسافرت إلى مصر... إلى أن قال : وشاع أن صلاح الدين عاد إلى القدس فقادتني الضرورة إلى التوجه إليه فأخذت من كتب القدماء ما أمكنتني وتوجهت إلى القدس فرأيتها عظيماً يملأ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً محبباً وأصحابه يتشبهون به يتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى "ونزعنا ما في صدورهم من غل" وأول ليل حضرته

وجدت مجلساً حفاً بأهل العلم يتذكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتقنه في ذلك... يحمل الحجارة على عاتقه ويتأسى به جميع الناس الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ويأتي داره ويمد الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المساء ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار. ورجعت إلى دمشق وأكبت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع وكلما أمعنت في كتب القدماء ازدادت فيها رغبة وفي كتب فلسفة ابن سينا زهادة...."

ومن كلامه:

" ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة إذا آويت إلى منامك وتظهر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها وترتب في نفسك مما تعمل في غدك من الحسنات وتسال الله الإعانة على ذلك. وإذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم أن الكتاب قد عدم وأنت مستغن عنه لا تحزن لفقدته. وإذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتهمه فأياك أن تشتغل بآخر معه ولصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره إليه. وإياك أن تشتغل بعمليين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله فإذا قضيت منه وطرك فانتقل إلى علم آخر ولا تظن أنك إذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج إلى مراعاته لينمو ولا ينقص ومراعاته تكون بالذاكرة والتفكير واشتغال المبتدئ بالتلفظ والتعلم ومباحثة الأقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف...."

وينبغي للإنسان أن يقرأ التواريخ وأن يطلع على السير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عبره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم."

قال وينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاهراً سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتتبع أفعاله وأحواله واقتف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدرك طاقتك وإذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطبيه وتمتمه وتطبيه ومعاملته مع ربه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد."

قال "وينبغي أن تكثر إيهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل، ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة، ومن لم يخلطه لم يبعثه الناس، ومن لم يبتكوه لم يسد، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يفلح.

وإذا خلوت من التعلم والتفكير فحرك نسانك بذكر الله ويتسبيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتمجن في خيالك وتكلم به في منامك، وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات، وإذا أحزنك أمر فاسترجع، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر، وأجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك إلى الآخرة وإذا أردت أن تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه وأعلم أن الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وإن أخفاه وشره وإن ستره فباطنه مكشوف لله والله يكشفه لعباده، فعليك أن تجعل باطنك خيراً من ظاهره وسرك أصبح من علانيتك، ولا تتألم إذا عرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل وقلم يتعمق في العلم ذو الثروة إلا أن يكون شريف الهمة جداً أو أن يثري بعد تحصيل العلم وإني لا أقول إن الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها لأن همته مصروفة إلى العلم فلا يبقى له التفات إلى الدنيا والدنيا إنما تحصل بحرص وفكر في وجوها فإذا غفل عن أسبابها لم تأتته وأيضاً فإن طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم، وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها وحذر فيها وصرف الزمان إليها والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وإنما ينتظر أن تأتية الدنيا بلا سبب وتطلبه من غير أن يطلبها.. وهذا ظلم منه وعدوان ولكن إذا تمكن الرجل في العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون، وأعلم أن للعلم عقبة وعرفاً ينادي على صاحبه ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفي مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يمشي بمشعل في ليل مدهم، والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان لا يجد إلا من يميل إليه ويؤثر فيه ويأنس به ويرتاح بمدانته، وأعلم أن العلوم تغور ثم تغور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه وتتقل من قوم إلى قوم ومن صقع إلى صقع."

ومن كلامه أيضاً:

"اجعل كلامك في الغالب بصفات أن يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم"
 وقال إياك والهذر والكلام فيما لا يعني وإياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع
 النوبة إليك إما لاستخراج حق أو اجتلاب مودة أو تنبيه على فضيلة، وإياك والضحك مع
 كلامك وكثرة الكلام وتبذير الكلام بل اجعل كلامك سرداً يسكون بحيث يستشعر منك أن
 وراءه أكثر منه وأنه عن خميرة سابقة ونظر متقدم" وقال إياك والغلظة في الخطاب
 والجفاء في المناظرة فإن ذلك يذهب ببهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب
 الضغائن ويحقق المودات"

وقال "انتزع عن عادات الصبا وتجرد عن مألوفات الطبيعة واجعل كلامك في الغالب
 لا ينفك من خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر". وقال: تجنب الوقعية
 في الناس والغلظة على المعاش وكثرة الغضب وتجاوز الحد فيه".

وقال "استكثر من حفظ الأشعار الأمثالية والنوادر الحكيمة والمعاني المستغنية"
 ومن دعائه رحمه الله قال اللهم أسلس لنا مقاد التوفيق وخذ بنا في سواء الطريق يا
 هادي العمي يا مرشد الضلال يا محيي القلوب الميتة بالإيمان يا منير ظلمة الضلالة
 بنور الإتيقان خذ بأيدينا من مهواة الهلكة طهرنا من درن الدنيا الدنية بالإخلاص لك
 والتقوى إنك مالك الآخرة والدنيا سبحانه من عم بحكمته الوجود واستحق بكل
 وجه أن يكون هو المعبود لتألات بنور جلالك الأفاق وأشرق شمس معرفتك على
 النفوس إشرافاً وأي إشراق.

وله من الكتب

كتاب غريب الحديث

كتاب الواضحة في إعراب الفاتحة

شرح أربعين حديثاً طيبة

اختصار كتاب العمدة لابن رشيقي

كتاب الجلي في الحساب الهندي

اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة

شرح كتاب الفصول لأبقراط

شرح كتاب مقدمة المعرفة لأبقراط

اختصار شرح جالينوس لكتب الأمراض الحادة لأبقراط

اختصار كتاب الحيوان لأرسطوطاليس

اختصار كتاب الصوت

اختصار كتاب آلات التنفس

اختصار كتاب العضل

اختصار كتاب الحيوان للجاحظ....

مقالة في إحصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار
مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية

تركيبها

مقالة في البادئ بصناعة الطب

مقالة في شفاء الضد بالضد

مقالة في ديابيبلس والأدوية النافعة منه

مقالة في الراوند

مقالة في الرد على اليهود والنصارى

مقالة في تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

ووجدته أيضاً وقد ترجمها

مقالة في السياسة العملية

كتاب الممددة في أصول السياسة

خاتمة

نختم هذا العمل بحمد الله تبارك وتعالى، كما بدأناه بحمده سبحانه اللهم لك الحمد كله، علمتنا وكفيتنا وأويتنا اللهم إنا رأينا من حاج الحق كيف رفعنا وأنهض أمتنا، لكننا ظلمنا أنفسنا....

أفقر الفقراء إلى عفوك عبدك ابن عبدك، من لا يستحق حتى ذكر اسمه لولا أنه منك

إسلام بن صبحي المازني

المراجع

1. مفتاح رمزي، _ إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية
2. السويدي، _ مختصر التذكرة
3. ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله، _ تحفة ابن البيطار في العلاج بالأعشاب
4. ابن كثير، إسماعيل، _ البداية والنهاية
5. تركماني، المظفر يوسف، _ المعتمد في الأدوية المفردة
6. بلخي، أبو زيد، _ مصالحي الأبدان والأنفس، _ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية (فؤاد سكرتية)، جامعة فرانكفورت، ألمانيا
7. ابن سينا، _ القانون في الطب، _ دار الحلبي للنشر
8. الرازي، _ الحاوي في الطب، _ موقع الوراق
9. ابن النفيس، _ شرح تشريح القانون،
10. حسين، محمد كامل وعقبي، محمد عبد الحليم، _ طب الرازي: إدارة الثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الشروق القاهرة 1977 م
11. موسوعة الشمر العربي، _ المجمع الثقافي، الإمارات
12. ابن أبي عمير، _ عيون الأنباء في طبقات الأطباء
13. حمادة، حسين، _ تاريخ العلوم عند العرب، _ الشركة المالكية للكتاب
14. كعدان، عبد الناصر، _ الجراحة عند الزهراوي، _ دار القلم العربي، حلب
15. مظهر، جلال، _ آثار العرب في الحضارة الأوروبية، _ دار الراشد، بيروت
16. شاكر، محمود، _ الدولة الأموية
17. الخطري، _ الدولة العباسية
18. المسمودي، _ مروج الذهب
19. ابن خلدون، عبد الرحمن، _ مقدمة ابن خلدون
20. جبرتي، عبد الرحمن، _ عجائب الآثار في التراجم والأخبار
21. شلبي، أحمد، _ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.
22. الشوقيات
23. موقع إسلام أون لاين
24. موقع المنظمة الطبية للعلوم الإسلامية
25. موقع الوراق

الفهرس

5	مقدمة
24	تمهيد
26	موقف الاسلام من الطب
30	طب المسنين
33	التشريح
35	تحرير أطباؤنا من رق جالينوس
42	التقنية وصناعة الحيل النافعة الطبية في كتب الجراحة
43	المستشفيات
45	المستشفيات عند العرب
50	الصيدلة العربية
55	الترخيص بمزاولة الطب
59	التمرير في العصر الإسلامي
62	تعليم الطب في العصور الإسلامية
92	نشوء تخصصات الطب في الأندلس
96	ومن الكتب التعليمية التي حوت كنوزنا في علم الصيدلة:
99	جراحة الجمجمة والدماغ عند الأطباء العرب
100	التخدير الموضعي في حالة آلام الأسنان والأذن والرأس
101	التخدير بالتبريد
102	تطور تخصص الأنف والأذن والحنجرة في الطب الإسلامي
103	علاج أمراض الحنجرة:
103	جراحة الحنجرة:
104	جراحة النساء
109	الحصى البولية:
109	تفتيت الحصى:
110	تحليل البول:

110.....	علاج البواسير؛
111.....	طب الأسنان عند العرب والمسلمين
112.....	كسور الفك
112.....	ثابت بن قرة
113.....	ثابت بن سنان
113.....	ابن الهيثم
116.....	أبو الفرج يحيى بن التلمذ
117.....	بديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي
117.....	المنقري
118.....	فخر الدين المارديني
119.....	أبو نصر بن المسيحي
119.....	ابن سدير
121.....	أبو منصور الحسن بن نوح القمري
121.....	أبو الريحان البيروني
122.....	ابن مندويه الأصفهاني
123.....	إسحاق بن عمران
125.....	ابن السمع
125.....	ابن خلدون
125.....	أبو مروان بن أبي الملاء بن زهر
129.....	عمر بن حفص بن برثق
129.....	عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم
129.....	أبو العرب يوسف بن محمد
130.....	أبو الصلت
130.....	داود الأنطاكي
133.....	أبو سعيد الهمامي
133.....	أحمد بن أبي الأشعث
133.....	سعيد بن هبة الله

134.....	يحيى بن عيسى بن علي
134.....	الزهراري
143.....	رشيد الدين ابن الصوري
144.....	سديد الدين بن رقيقة
146.....	صدقة السامري
147.....	مehذب الدين يوسف بن أبي سعيد
147.....	بدر الدين المظفر بن القاضي
148.....	أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس
150.....	شمس الدين محمد الكلي
151.....	نجم الدين بن المنفاخ
151.....	عز الدين بن السويدي
152.....	عماد الدين الدنيسري
153.....	ابن سينا والصيدلة
159.....	أبن التقيس
161.....	أبو الوليد بن رشد
162.....	أبو جعفر بن الغزال
162.....	وهو عبقري في الصيدلة
163.....	طبقات الأطباء المشهورين من أملاء ديار مصر
163.....	خلف الطولوني
163.....	التميمي
163.....	علي بن سليمان
164.....	الأمير الطبيب المبشر بن فاثك
164.....	بلمظفر بن معرف
164.....	ابن جميع
166.....	القاضي نفيس الدين بن الزبير
166.....	رشيد الدين أبو حليقة
167.....	ابن البيطار

168.....	الشريف الكحال
169.....	الصاحب نجم الدين بن اللبودي
169.....	أبو الفضل عيد الكريم المهندس
171.....	موفق الدين عبد العزيز
171.....	رضي الدين الرحبي
172.....	موفق الدين عبد الصلّيف البغدادي
177.....	خاتمة
178.....	أهم المراجع

تاريخ

الطبيب والإطباء المسلمين



إن من دواعي السرور أنه قد بدأ بالفعل الاعتراف بأن الطب والصيدلة من فروع العلم التي كان للإسلام أثر حاسم في الأبحاث الموجودة فيهما وفي تطويرهما، وأن الترجمة المنظمة لآلاف المؤلفات العربية كانت مصدر ثراء للمعرفة وساعدت على نقل الطب العربي إلى أوروبا في العصور الوسطى. وعلى نفس المنوال، فقد أنشأ العرب مستشفى مجهزاً تجهيزاً كافياً قبل أن يقوم مثله في العالم الغربي بألف عام تقريباً.

وبعد مضي قرن من الزمان كان في بغداد ستة آلاف دارس للطب وحوالي ألف ممارس طبي، ثم بعد مضي مائة عام أخرى وجد في دمشق مستشفى مركزي تتبعه كلية كبيرة للطب. وفي ذلك الوقت أيضاً أقيم المستشفى الكبير في القاهرة. ويتضح من هذا أن المستشفيات كانت ابتكاراً إسلامياً وبعد أن انتشرت في العالم العربي انتقلت إلى أوروبا مع الحروب الصليبية.

كذلك فقد أنشئت في العالم الإسلامي أولى الصيدليات ومعامل الكيمياء وكانت تعد بالآلاف في قرطبة وبغداد والقاهرة وكثير من المدن الأخرى، وكان العرب هم أول من قدموا لأوروبا الأدوية وإن الموسوعات العظيمة التي ينسب ابتكارها خطأ إلى أوروبا لها أساسها في العمل الشاق والطويل لمؤلفي الموسوعات المسلمين، ويفتخر الغرب بظهور الموسوعات في القرن الثامن عشر على الرغم من أن مؤلفي الموسوعات ظهروا في العالم الإسلامي قبل ذلك بأربع أو خمس أو ست قرون قبل زمانهم في أوروبا.

ففي عام ٩٥٣ م أرسل أوتو العظيم ملك الألمان سفيراً من لدنه إلى قرطبة إلى راهب يدعى جون الذي عاش ما يقرب من ثلاث سنوات في عاصمة الخلافة الأندلسية. وقد تعلم العربية بإتقان وعند عودته إلى موطنه حمل معه مئات المخطوطات الطبية العلمية القيمة والتي ساعدت على نشر جوهر علم العظيمة في أوروبا الغربية بصورة سريعة (مدهشة).

Bibliotheca Alexandrina



1213485



لِلدَّائِمَةِ وَالنَّشْرِ وَالنَّشْرِ